الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
كلية العلوم الانسانية و الحضارة الاسلامية
Faculté des sciences humaines et de la civilisation islamique
www.univ-oran.dz
جامعة وهران
Université d'Oran
قسم ا ضارة الإسلامية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير

تخصص تاريخ وحضارة إسلامية الموسومة بـ :

الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني

إعداد الطالب: عبد القادر بلغيث **إشراف: د. أحمد الحمدي**

أعضاء لجنة المناقشة : 2014/06/15

أ.د: عبد المجيد بن نعمية	رئيسا
د. أحمد الحمدي	مشرفا مقررا
أ.د : محمد بن معمر	عضوا
د: محمد بوركبة	عضوا

السنة الجامعية: 2013- 2014 م/ 1434-1435هـ

الإهـــداء

إلى أبي وأمي والأسرة الكريمة

وإلى جميع الأحباب والأصدقاء

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف الدكتور أحمد أحمدي الذي لم يبخل علي بتوجيهاته المنهجية، والعلمية، إضافة إلى تشجيعاته المتواصلة.

كما أتقدم بالشكر لكل من ساعدني من أجل انجاز هذا البحث

وأخص بالذكر منهم:

العروي هواري، وبوحلوفة محمد الأمين، وصلاح جلول، و كرطالي أمين،

وشرماط عبد القادر، ومصطفى بزحاف، ومبارك بن عبد الله.

المقـــــــدمـــــــة

تتناول هذه الدراسة الحياة السياسية، والاجتماعية، التي عاشتها مدينة وهران خلال الحقبة العثمانية، وأهم الأحداث والقضايا السياسية التي مرت بها المدينة، إضافة إلى إلقاء الضوء على أهم الشرائح الفئات الاجتماعية، التي كانت تعيش في هذه المدينة، ومحاولة فهم طبيعة أدورها السياسية، والاقتصادية، ومكانتها الاجتماعية.

إن الباحث يلاحظ النقص الكبير في دراسة تاريخ المدينة خلال هذه الفترة، فلا توجد ولا دراسة تخصصت في تاريخ وهران خلال العهد العثماني.

وبناءا على ذلك جاءت فكرة اختيار هذا البحث، من أجل محاولة الكشف عن تاريخ المدينة خلال الفترة العثمانية، التي تعتبر من أهم فتراتها التاريخية .

والتي كانت خلالها عاصمة لبايلك الغرب، وحضيت بمكانة سياسية، واقتصادية مهمة، فلذلك وجب على الدارس أن تكون دراسته للحياة السياسية للمدينة بمجموعة من المرجعيات المؤثرة، وهي الإقليم الداخلي، والخارجي للمدينة، والظروف الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية

فكل هذه العوامل حددت المصير للسياسي للمدينة خلال العهد العثماني، فقد شهدت عدة أحداث سياسية، وعسكرية، خاصة الثورة الدرقاوية، وثورة الباي بوكابوس التي حركتها مجموعة من العوامل الداخلية، على مستوى المدينة وإيالة الجزائر، وخارجيا بحكم كون هذه المدينة تتميز بموقع استراتجي على مستوى البحر الابيض المتوسط .

إن هذه المكانة السياسية لم تكن معزولة عن الواقع الاجتماعي في المدينة من خلال تنوع السكان ثقافيا، وفكريا، واقتصاديا. الذين شكلوا نسيجا حضريا متميزا .

ولدراسة هذه الإشكالية تم تقسيم هذا البحث إلى فصل تمهيدي وأربعة فصول .

تناولت في الفصل التمهيدي لمحة عن التاريخ السياسي، والاجتماعي للمدينة، قبيل العهد العثماني خلال القرن التاسع الهجري، وحاولت أن أبين مدى الأهمية السياسية، والاقتصادية، والمكانة الثقافية التي تمتعت بها. كل هذا جعلها تكون قبلة لأطماع الاحتلال الاسباني، الذي تمكن من الاستيلاء عليها، وبقيت تحت حكمه ما يقرب من ثلاثة قرون.

وفي الفصل الأول درست كيف تم تحرير مدينة وهران من الاحتلال الاسباني. وكيفية إعادة تأسيس المدينة وإرجاعها لطابعها الإسلامي، كما تم البيان في هذا الفصل عن التنظيمات الإدارية، والسياسية التي كانت تتمتع بها.

وقمت في الفصل الثاني بعرض الأحداث السياسية التي مرت بها المدينة أثناء حصارها من قبل الثوار الدرقاويين، وثورة الباي بوكابوس، ثم الصراع السياسي الذي كان قائما بين الشيخ محي الدين والباي حسن. كما قمت في هذا الفصل بإبراز العلاقات الداخلية مع إيالة الجزائر، وعلاقة المدينة مع محيطها الخارجي خاصة مع اسبانيا، والمغرب الأقصى.

أما الفصل الثالث فقد عرفت فيه على الفئات الاجتماعية التي كانت موجودة بمدينة وهران ومكانتها السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية. كما بينت خلال هذا الفصل الظروف المعيشية والصحية التي كان يعيش فيها المجتمع الوهراني. وكيف تأثر هذا المجتمع بمختلف الأمراض والأوبئة التي كانت تنتشر في مختلف مدن وأرياف إيالة الجزائر. إضافة المجاعات وغلاء أسعار المواد الغذائية، التي مرت بها وهران في فترات مختلفة، من تاريخها خلال العهد العثماني.

وقد خصصت الفصل الرابع للحديث عن النشاط الاقتصادي، والثقافي لمختلف فئات مجتمع مدينة وهران. فحاولت إبراز المكانة الاقتصادية المهمة التي كانت تتمتع بها المدينة في النشاط الاقتصادي الداخلي، والخارجي، خاصة أنها كانت محور تجاري مهم في الحوض الغربي للبحر والمتوسط، كما حاولت إبراز مدى التطور السريع النشاط الثقافي،

وظهور نخبة من المثقفين، والفقهاء، والقضاة، والمؤرخين رغم حداثة تحرير المدينة من الاحتلال الاسباني.

وأثناء القيام بالبحث واجهتني عدة صعوبات، لعل من أهمها قلة المصادر، والمراجع، التي يمكن الرجوع إليها من أجل انجاز البحث، خاصة ما يتعلق بالجانب الاجتماعي للمدينة، فاغلب المصادر ركزت على التاريخ السياسي فقط.

كما أن المصادر ركزت على جوانب فقط من التاريخ السياسي، وأهملت جوانب أخرى، فتجد في أغلب المصادر مثلا يركزون على الثورة الدرقاوية، ويتوسعون في ذكر أحدثها، وأهملوا أحداثا أخرى ، كما ركزوا على الأحداث السياسية في بايلك الغرب وأهملوا من كان جاريا في مدينة وهران.

ومن الصعوبات أيضا، هو تشابه المصادر في نقل الأحداث، هذا ما جعل الباحث لايستطيع التوسع في عرض الأحداث السياسية للمدينة، فمثلا تجد أغلب ما نقله الزياني كتابه دليل الحيران، منقول عند المزاري في طلوع سعد السعود، وكذلك الأمر بالنسبة لكتاب أنيس الغريب والمسافر لمسلم بن عبد القادر، فتشابه المادة العلمية التي نقلها هؤلاء المؤرخين الذين عاشوا في وهران في الفترة المدروسة، لم تساعد الباحث من أجل أن يتوسع في نقل الأحداث السياسية، والإجتماعية للمدينة .

ولدراسة هذا البحث اتبعت المنهج التاريخي التحليلي، فقد اعتمدت على جمع المادة التاريخية التي تتعلق بموضوع البحث، وقمت بإعادة ترتيبها وفق التسلسل التاريخي، والبناء المنهجي للدراسة، وقمت بتحليل هذه المادة بالاستعانة بمختلف المراجع، وفي الأخير حاولت الخروج بمجموعة من النتائج في كل مبحث من مباحث الدراسة. كما لجأت في بعض الأحيان الى المقارنة بين مختلف الروايات التاريخية المتضاربة، وحاولت ترجيح بعضها على البعض الأخر.

من أهم المصادر التي تم الاعتماد عليها من أجل انجاز هذا البحث كتاب طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا، للمزاري بن عودة، الذي ساعد الباحث

في معرفة الأحداث السياسية التي تعرضت لها مدينة وهران، خاصة ثورة درقاوة، وثورة الباي بوكابوس، إضافة إلى أهم انجازات البايات الذين حكموا وهران وسياسيهم الداخلية، والخارجية، وعلاقتهم مع الجزائر العاصمة. إضافة الاستفادة منه في أهمية قبائل المخزن وقادتها في الحياة السياسية في مدينة وهران.

ومن الكتب التي تم الاعتماد عليها أيضا، كتاب أنيس الغريب والمسافر لمسلم بن عبد القادر، الذي كان معاصرا للأحداث التي كانت تعيشها وهران في تلك الفترة، فقد تعرض كذلك مثل المزاري لأهم الأحداث السياسية، والعسكرية، التي مرت بها المدينة .

ومن المصادر التي تم الرجوع إليها أيضا كتاب حياة الأمير عبد القادر لشارل هنري تشرتشل، الذي يعتبر بمثابة مذكرات للأمير عبد القادر الذي عاش بعض الوقت في مدينة وهران، خلال العهد العثماني، والذي نقل خلال هذا الكتاب بعض مظاهر الحياة الثقافية الاجتماعية بهذه المدينة، ومن أهم ما استفاد منه الباحث في هذا الكتاب، هو فصول الأزمة السياسية التي كانت بين الشيخ محي الدين والد الأمير القادر والباي حسن، أخر بايات وهران. إضافة إلى الوضع السياسي للمدينة عشية الاحتلال الفرنسي لها.

ومن المصادر التي اعتمدت عليها، كتاب ياقوتة النسب الوهاجة، للشيخ العربي بن عبد القادر المشرفي، والذي ساعد الباحث في التعرف على الحياة الثقافية في مدينة وهران، وأهم المثقفين، والفقهاء، والقضاة الذين كان لهم دور كبير في النهوض الحياة العلمية والثقافية في المدينة.

وبخصوص المصادر الفرنسية التي تحدثت عن تاريخ المدينة خلال العهد العثماني فهناك كتاب

Histoire d'Oran avant, pendent et apres la domination espagnol

لفاي، والذي تكلم عن تاريخ هذه المدينة منذ تأسيسها، إلى غاية بداية الاحتلال الفرنسي، ورغم قلة ما نقله عن تاريخ المدينة خلال العهد العثماني، والذي كان في أغلبه

من الجانب السياسي، فانه دعم البحث فأضاف إليه بعض الروايات التاريخية، خاصة فيما يتعلق بحصار الثوار الدرقاويين للمدينة.

ويعتبر الكتاب الذي كتبه لابان حول تاريخ وهران بعنوان

la province doan1792-1851

من الكتب المتخصصة تاريخ المدينة خلال العهد العثماني، ولكنه حجمه كان صغيرا جدا، وركز هو الأخر على الجانب السياسي للمدينة خلال هذه الفترة، مع بعض الشذرات حول الحياة الاجتماعية.

ومن المصادر الفرنسية المهمة أيضا، ما كتبه الضابط الفرنسي استرازي حول تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني وعنوانه

domination turque dans l'ancienne régence d’Alger

والذي تحدث في أثنائه عما كان يحدث في مدينة وهران، فقام بتدعيم الروايات الفرنسية التي لم تنقلها المصادر العربية الوهرانية .

وهناك نوع أخر من المصادر التي أفادت البحث في بعض مباحثه، وهي المصادر المغربية، والتي أبدت رأيها وروايتها فيما يخص العلاقات السياسية بين وهران والمغرب، وما يخص كذلك بالثورة الدرقاوية التي كان أصل شيخها مغربيا، وكانت للمملكة المغربية بعض الأدوار في تسيير فصول هذه الأزمة . ومن بين هذه المصادر كتاب الاستقصا للناصري وكتاب تاريخ الضعيف الرباطي، وكتاب الحسام المشرفي، وصاحب الكتاب من أصول جزائرية، ولكن يمكن اعتباره من مؤرخي المغرب لكتابته المتعددة حوله، فهذه المصادر تكلمت عن الثورة الدرقاوية وعلاقات وهران بالمغرب، ورغم تعارض رواياتها في بعض الأحيان، ولكنها دعمت البحث.

ويعتبر كتاب Israelites d'Oran de 1792 , a 1815, لمؤلفه إسحاق بلوش، من أهم المصادر التي أرخت ليهود وهران خلال العهد العثماني، فلذلك فقد نفع البحث كثيرا بخصوص هذه الفئة، التي كانت تعيش في مدينة وهران، والتي كان لها دور اقتصادي، وسياسي مهم.

وكما تم الاعتماد في هذا البعض الوثائق الأرشيفية الموجودة في المكتبة الوطنية الجزائرية، وهي عبارة عن رسائل بين إبراهيم وكيل الحرج، وباي وهران الباي حسن، وبين هذا الأخير والداي حسين، وقد ساعدت هذه الوثائق الباحث في بيان طبيعة العلاقات السياسية الداخلية بين وهران عاصمة الإيالة الجزائرية .

كما تمت الاستعانة ببعض المراجع من أجل انجاز هذا البحث، لعل من أهمها الدراسة المهمة التي قام بها الباحث بن قادة الصادق بعنوان:

Espace urbaine et structure social a Oran de (1792-1830)

التي أفادت البحث خاصة في الجانب الاجتماعي، ومختلف الفئات الاجتماعية التي كانت تعيش في المدينة، ونشاطاتها الإدارية، والاقتصادية، والثقافية.

وتعتبر الدراسات والبحوث التي قام بها ناصر الدين سعيدوني حول تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، المعنونة بورقات جزائرية ، إضافة إلى كتابه الجزائر خلال العهد العثماني، وكتاب النظام المالي في الجزائر خلال العثماني، من البحوث الدراسات التي نفعت البحث في مختلف جوانبه السياسية، والاجتماعية .

و ومن البحوث التي تم الاستعانة بها، رسالة الماجستير الموسومة الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري، والتي ساعدت الباحث في دراسة الفترة التي كان فيها الباي محمد الكبير حاكما على مدينة وهران، ودوره السياسي، والاقتصادي في إعادة إحياء المدينة، واستفدت من هذه المذكرة فيما يخص مرحلة فتح المدينة وتحريرها من الاحتلال الاسباني.

كما استفدت من رسالة الماجستير التي قامت بها فتيحة الواليش، حول الحياة الحضرية لبايلك الغرب خلال العهد العثماني، بخصوص الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، في المدينة، والمكانة الاجتماعية، والسياسية للفئات المجتمع.

ويعتبر كتاب أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ليحي بوعزيز، من أهم المراجع التي دعمت البحث بخصوص الحياة الثقافية والعلمية في مدينة وهران.

ومن المقالات التي أفادت الباحث، مقال مولاي بالحميسي، الثورة على الأتراك في الجزائر، الذي جمع وثائق مهمة ساعدت الباحث من أجل إعادة بناء الأحداث التاريخية التي مرت بها وهران خلال ثورة الباي بوكابوس.

الفصل التمهيدي

الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران



الفصل التمهيدي

الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران

قبيل العهد العثماني

مدينة وهران، الموقع والأهمية

إن دراسة الموقع الجغرافي لأي مدينة يفسر للباحث الكثير الأبعاد الاقتصادية، والتجارية، والسياسية، والحضارية في تاريخ المدينة، فلذلك لايجب إغفال هذا الجانب المهم من أجل فهم تاريخ أي مدينة، وهذا ما يحتاجه الدارس لتاريخ مدينة وهران في أي حقبة وحقباتها التاريخية .

فمدينة وهران تقع في غرب إفريقيا الشمالية عند مدخل مضيق جبل طارق[1]. وتمتد من السفح الشرقي لجبل المايدة (مرجاجو) الذي يحمل كذلك اسم جبل سيدي "هيدور"، وذلك فوق شاطئ خليجي بحري هادئ عرضه حوالي 21كلم، وكانت نواة هذه المدينة على الضفة اليسرى لوادي الرحى[2]، وهذا الواد الذي يقول عنه الحميري أنه كان يشرب

[1]- ابن ميمون، محمد الجزائري ،التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق:محمد بن عبد الكريم، ط2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1981 ص: 307.

[2] - الذي يعرف حاليا باسم(وادي رأس العين) ينظر: بوعزيز، يحي، مدينة وهران عبر التاريخ، الجزائر، دار البصائر، ص ص:29-30.

منه سكان هذه المدينة[1]. كما كان لها عيون وأودية صغيرة أخرى، فلذلك توفرت على الكثير من البساتين والثمار[2].

وأهم ما يميز المدينة تموقعها على مرفأ طبيعي هام يجعل السفن بمنأى عن العواصف، ويساعد على رسوها، فهو ممتاز في أغلب الفصول[3]، وزاد من أهميتها وقوعها بين ميناء أرزيو وميناء المرسى الكبير[4]، هذا الأخير الذي يقع قريبا جدا منها، فهو لا يبعد إلا ميلين وبه ترسوا السفن الكبار، وهو يحمي السفن من الرياح، لا مثال له في المراسي،[5] كل هذا ساعد هذه المدينة أن تحضي بأهمية جغرافية واقتصادية.

كما تقع بالقرب من السواحل الإسبانية فهي تقابل مدينة المرية[6]؛ فلذلك كانت هذه المدينة منذ تأسيسها في علاقات على مختاف الأصعدة مع السواحل الشرقية لشبه الجزيرة الإيبرية. وهي لا تبعد أيضا عن مدينة تلمسان إلا مسيرة يوم[7]، ووقوع وهران قرب هذه المدينة المهمة حضاريا، واقتصادية، زاد من أهميتها من حيث الروابط التجارية، والسياسية.

---

1 - الحميري، محمد بن عبد المنعم, الروض المعطار في خبر الأقطار, تحقيق إحسان عباس, بيروت، مكتبة لبنان،, 1984, ج:1، ص:613.

2 - المصدر نفسه ج:1، ص:612.

5 - شالر، وليام ، مذكرات، ترجمة :إسماعيل العربي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ص: 35.

4 - ابن ميمون، مصدر سابق، ص:307.

5- الحميري ، مصدر سابق، ج:1 ،ص:316 .

6 - المصدر نفسه، ج:1، ص:613 .

7 - الحموي، ياقوت بن عبد ا أبو عبد ا ، معجم البلدان، بيروت، دار الفكر، ج: 5، ص: 385.

الحياة السياسية

كانت مدينة وهران خلال القرن التاسع الهجري إحدى المدن الأساسية والإستراتيجية في الدولة الزيانية، وعرفت حضورا سياسيا بداية من القرن السابع للهجري، خاصة بعد سقوط دولة الموحدين، وهذا ما جعلها قبلة للصراع بين المرينيين والحفصيين، كما كانت إحدى الملاجئ، والحصون المهمة للمنشقين عن سلطة الأسرة الزيانية في تلمسان.

ففي سنة 838هـ استولى الأمير أبو يحي ابن أبي حمو استولى على وهران، وكانت بينه وبين أخيه السلطان أحمد العاقل حروب عديدة، واستمر حكمه للمدينة إلى غاية شعبان من سنة 851هـ /1447م، حيث تمكن أنصار أخيه من إسقاط المدينة، مما اضطره للفرار عبر طريق البحر، وتوجه إلى المشرق فنزل في بجاية، ثم واصل مسيره إلى تونس، التي توفي بها في أوائل سنة 855هـ/1451م[1].

ولم تمضي مدة طويلة حتى ثار محمد المتوكل على أحمد العاقل، ففرض سيطرته على وهران مرة أخرى، إضافة إلى مدن أخرى في المغرب الأوسط مثل مليانة، والجزائر، والمدية، وواصل زحفه إلى عاصمة الزيانيين تلمسان، فاستولى عليها، وألقى القبض على عمه أحمد العاقل في سنة 866هـ/1461م ، فنفاه إلى غرناطة، فحاول أن يستعيد عرشه ثانية مع أنصاره، وحاصر تلمسان ولكنه أخفق في محاولته[2].

---

[1]- التنسي, محمد بن عبد ا ، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان, تحقيق محمود بوعياد, الجزائر, مؤسسة الوطنية للكتاب والمكتبة الوطنية الجزائرية, 1985م، ص: 249.

[2] - بوعزيز، المرجع السابق، ص: 37.

وبعد سقوط غرناطة في سنة 897 هـ/1492م، لجأ الكثير من الأندلسيين إلى مدينة وهران، فدخلها بعض الأعيان والوجهاء، ففي سنة 895 م/1490 م هاجر إليها أبو عبد ا محمد بن سعد الزغل، عم أخر ملوك غرناطة، رفقة عدد كبير من سكانها، ثم انتقل إلى مدينة تلمسان حيث توفي بها بعد أربع سنوات[1]. كما هاجر إليها قبل ذلك مولاي أحمد القشيري سلطان غرناطة، واستقر بها بعد أن تلقى من الأمير الحفصي في تونس وعدا بمساعدته كي يستعيد عرشه في غرناطة، بعد أن اتخذ المرسي الكبير قاعدة له[2].

لعل الأهمية السياسية التي عرفتها وهران خلال القرن ال9 هـ/15م ، ترجع إلى أهميتها الاقتصادية، فأصبحت تنافس مدينة تلمسان، فبعد استقرار أبو يحي الزياني فيها سنة 838هـ الذي خضع للسلطان الحفصي أبو فارس، وحكم المدينة لمدة أربعة عشر سنة، وبعد وفاته خضعت المدينة لحفيد أخيه أبو عبد ا ، وجعل منها عاصمة له، وهاجم السلطان الزياني أبو العباس وخلعه[3].

وكانت وهران خلال هاته الفترة، مصدرا مهما لمداخيل الدولة الزيانية، وهذا ما نلاحظه بعد سقوط المدينة في يد الإسبان، فقد فرضت السلطة الزيانية على رعاياها المزيد من الضرائب، مما سبب التذمر في أوساط السكان، وبذلك تعرض الاقتصاد الزياني

---

[1] - بوعزيز المرجع السابق، ص: 38.

[2] - المرجع نفسه ، ص: 36 .

[3] - بورويبة وهران فن وثقافة ، وزارة الاعلام ، الجزائر المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية 1983 ،ص: 39 .

لصدمة وتضرر كبير، حيث كانت الدولة الزيانية تحقق مردودا كبير يقدر بثلاث مائة ألف دينار، ووصل إلى أربع مائة ألف دينار طوال المدة التي كانت وهران تابعة لها[1] .

وكان بها من يتولى جمع المكوس المختلفة، يسمون بموظفي الديوان ـ ديوان البحر[2]، وكانت السلع التي تدخل إلى الدولة الزيانية تمر عبر ميناء وهران، فقد التزم التجار المسيحيون على تفريغ البضائع، وشحنها، حتى يتم جمع الجبايات على كل ما يرد وما يصدر عنها[3].

الحملات الاسبانية والبرتغالية على مدينة وهران

كانت وهران عرضة للحملات الاسبانية، والبرتغالية، ففي أواخر سنة 870 هـ/ 1465م ظهرت أربعة مراكب مشحونة بالعساكر، والأسلحة من جهة المغرب، فخاف وفزع أهل وهران، ولكنها اجتازت المدينة ولم تهاجمها، وواصلت سيرها إلى أن هاجمت مدينة بجاية، وأحدثت أضرارا بها، وأسرت الكثير من المسلمين[4].

وخلال مطلع القرن 10هـ/16م تعرضت المدينة إلى غزو برتغالي في ذي الحجة 906 هـ/1501م، وقد كانت الحملة البحرية البرتغالية مكونة من ثلاثين سفينة، وثلاثة

---

1 - فكاير، عبد القادر، أثار الاحتلال الاسباني على الجزائر خلال العهد العثماني من(ـ16ه-18م)، الجزائر، دار هومة ، ص: 227 .

[2] - تشير بعض المصادر ان النصارى كانو يشاركون في جمع الضرائب . ينظر: بشاري، لطيفة، العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد امارة بني عبد الواد من القرن السابع الى القرن العاشر الهجريين 13م /16م ، منشورات وزارة الشؤون الدينية الجزائرية،2011، ص: 178.

[3] - بشاري، المرجع نفسه، ص: 178.

[4] - ابن خليل أبو المكارم عبد الباسط, رحلة عبد الباسط الظاهري في بلاد المغرب والأندلس866-871هـ/1462-1467م, تحقيق عمر عبد السلام تدمري, مجلّة التّاريخ العربي, عدد17, شتاء2011م, ص: 66.

ألاف جندي، لكن المدينة استطاعت المقاومة، مما اضطر البرتغاليون إلى الفرار، بعد أن خلفوا وراءهم عددا كبيرا من الأسرى، والجرحى، والغنائم[1].

ولكن بعد أربع سنوات، وفي سنة 910 هـ/1504م تعرض المرسى الكبير لهجوم إسباني، قاده الدوق "داه مينا"، وكانت عدد قواته أربعمائة جندي، حيث حاول الاستيلاء على المرسى الكبير بطريقة مفاجئة، لكن الأهالي تفطنوا لهذا التخطيط، فهاجم الجيش الوهراني الموجود بها هذه السفن، فانسحبت[2].

وما يمكن ملاحظته خلال هاته الفترة هو تعرض المنطقة الممتدة من وهران إلى المرسى الكبير لهجومات متواصلة، خاصة برج بن زهوا، وحصن سانتا جريجور، وأغلب هاته الهجمات كانت في الليل، إضافة إلى منطقة شرق فلكون، التي يوجد بها مجموعة من القرى منها كراز، وبوسفر، والأنزا، ومن أعنف تلك الهجمات، الحملة التي قادها الدون مانويل البرتغالي، الذي كان حاكما على طنجة، وأصيلا المغربيتين، ولكنها فشلت[3].

أما سكان وهران فكانوا يردون على تلك الهجمات، بغارات متكررة على السواحل الاسبانية، فقد ألقوا القبض في سنة 906هـ/1506م على ستين شخصا بالقرب من قرطاجنة، وفي 910هـ/1504م هاجموا السواحل الاسبانية، وأحرقوا سفنا برشلونية،

---

[1] - بورويبة، المرجع السابق، ص: 40-41.

[2] - بورويبة، المرجع السابق، ص: 41.

[3] - حساني مختار تاريخ الدولة الزيانية، الجزائر، منشورات الحضارة، 2009، ص ص: 63، 64 .

وفلمنكية، وانجليزية، ومالطية، وفي نفس السنة هاجموا ضواحي مدنية أليقنت، ورجعوا بعدد كبير من الأسرى[1].

و يمكن القول أن سياسة الإغارة بين وهران وإسبانيا، كان يقودها من الجانب الوهراني الأندلسيون، الذين هاجروا من الأندلس إلى وهران، وكانت حملاتهم توجه إلى الموانئ الاسبانية، كألمرية، ومالقة، وما سهل مهمتهم قرب المسافة بين الضفتين، فكانت لا تتعدى 24 ساعة[2].

سقوط المرسى الكبير

بعد المحاولات المتكررة للإسبان قصد احتلال السواحل الشمالية لإفريقيا، نجحت أخيرا في الاستيلاء المرسى الكبير، ففي يوم الاثنين 21 صفر912هـ /13جويلية 1506م احتل الميناء الاستراتيجي لمدينة وهران، والدولة الزيانية كلية، وقد أعد الإسبان لهذه الحملة العسكرية أسطولا تشكل من 37 سفينة، تحمل 1595 رجل، إضافة إلى 31 سفينة مخصصة لنقل المواد الغذائية، والأسلحة، لتموين الجنود، وأول ما قاموا به احتلال الأماكن الإستراتيجية، مثل ينابيع الماء، ثم نصبت المدافع، وحاصروا المدينة، حتى لا تصلها أي مساعدات، وقد تحمل سكان المرسى الكبير صعوبات من أجل الدفاع عن المدينة، إلا أنهم لم يستطيعوا صد هذا الهجوم لقلة عددهم، فلم يكونوا يتجاوزون الأربعمائة، وبعد مقاومة شديدة استسلم قائد حامية المدينة، فرفع العلم الأبيض، واتفقوا على خروج السكان، وترك أموالهم، وأملاكهم[3].

---

[1] - بورويبة، المرجع السابق، ص: 41.

[2] - حساني، المرجع السابق، ص: 63 .

[3] - المرجع نفسه، ص ص: 70-72 .

بعد هذا العمل العسكري الذي قام به الإسبان، شرعوا في ترميم أسوار المدينة، التي حطمتها قذائف المدافع، كما أصلحوا ونصبوا المدافع على أسوارها، وذلك لمعرفتهم أنهم سوف يتعرضون لهجمات الأهالي المجاورين للمدينة، وخاصة جنود وسكان مدينة وهران، ويعتبر احتلال المرسى الكبير المرحلة الأولى لاحتلال المدينة، التي كانت بمثابة الهدف الرئيسي للأعداء، فالمرسى كانت نقطة ارتكاز، وقاعدة هجوم للمدينة، والمناطق المجاورة[1]. وظهر ذلك بالهجوم على قرية مسرغين القريبة منهم، ولكنهم منيوا بهزيمة كبيرة.

أسباب وعوامل سقوط مدينة وهران

هناك مجموعة من الأسباب والعوامل التي دفعت الإسبان لإحتلال المدينة، لعل من أهمها، أنها كانت ضمن المشروع الإسباني الذي كان يطمح لاحتلال مناطق المغرب الإسلامي، المطلة على البحر المتوسط، بعد الاتفاق مع البرتغاليين، الذين توسعوا في المناطق المغربية المطلة على المحيط الأطلسي، كما كانت الأراضي الزيانية وخاصة منها وهران، والمرسى الكبير، تشكل خطرا على السواحل الاسبانية[2].

واعتبر الإسبان أن هجومهم على المرسى الكبير، ووهران، كان ردا على الهجومات والحملات التي كان يقوم بها بحارة وهران على السواحل الاسبانية القريبة، والتي كان هدفها تحرير المسلمين الأندلسيين من الاضطهاد الاسباني، ويجب الإشارة هنا

---

[1] - فكاير، المرجع السابق، ص: 53 .

[2] - حساني، المرجع السابق، ص: 68 .

أن عدد المسلمين الذين عاشوا في الأندلس حتى إصدار مرسوم 1609م، كان قد قدر بثلاثة ملايين مسلم، فكان مبرر للإسبان احتلال المرسى الكبير، ووهران[1].

ومن العوامل المساعدة أيضا هو معرفة الإسبان أن مدينتي وهران، والمرسى الكبير غير محصنتين جيدا، لكي تستطيع الدفاع عن نفسها، خاصة أن الصلح الذي كان بين الزيانيين والإسبان، هو الذي سمح وساعد على سقوط الموانئ الزيانية، بما فيها هذين المدينتين[2]، إضافة إلى أن مدينة وهران كانت شبه مستقلة عن السلطة الزيانية، فلذلك كانت ضعيفة من الناحية العسكرية، ولم تكن تحت سلطة قوية، أمام تنامي قوة ونفوذ الإسبان في حوض البحر المتوسط .

سقوط مدينة وهران

قبل احتلال المدينة كانت هناك حركة تجسسية يقوم بها التجار الأوربيين، وفي مقدمتهم التاجر البندقي جيرمينو فانيلي، الذي ذكر للكاردينال خيمينيس أن المرسى الكبير هو باب إفريقيا، وأن مدينة وهران تعد من أغنى المدن وأجملها[3]، فلذلك فتحت شهية هذا الكاردينال، وتشجع من أجل احتلال المدينة، فتمكن من إقناع الملك الاسباني بهذا المشروع، فصدر قرار ملكي في ديسمبر1509م، تمت فيه الموافقة على غزو المدينة، وبهذا شرع الكاردينال خمينيس في التحضير لحملته العسكرية الكبيرة بمساعدة القائد العسكري بيدرو نفارو، فجمعت القوات العسكرية الموجودة في خارج اسبانيا وداخلها.

---

[1] - فكاير، المرجع السابق، ص: 41 .

[2] - حساني، المرجع السابق، ص ص: 66- 68 .

[3] - فكاير، المرجع السابق، ص ص: 206 -207.

ولأهمية هذه الحملة شارك فيها كبار القادة العسكريين، منهم صديق خمينيس، ديغو نثاليو دي كوردوبا، والدون ديغو فييرا[1].

وبعد التحضيرات قام الملك الاسباني في 4 ربيع الثاني914 هـ /02 أوت 1508م بتعيين القادة العسكريين لهذه الحملة وفي مقدمتهم بيدرو نفارو[2]، وانطلقت الحملة في26 محرم 915هـ/ 16 ماي 1509 التي تألفت من عشرة ألاف جندي من المشاة، وأربعة ألاف حصان، وثمانمائة متطوع، وكانت وجهتهم المباشرة مدينة المرسى الكبير، التي تعتبر القاعدة العسكرية، لانطلاق الحملة البرية على وهران، ولما علم سكان المدينة بهذا الهجوم المرتقب، صعدوا إلى المرتفعات المطلة على البحر، التي تمتد بين المرسى الكبير ووهران، فعند انطلاق الجيش الاسباني، هاجم السكان من تلك المرتفعات بالسهام، والحجارة، ودفعوا عليهم الصخور من المناطق العالية، إلا أن التفوق العددي للإسبان، وسلاح المدفعية، مكنهم من إجبار المقاومين على التراجع إلى المدينة، من اجل الدفاع عنها[3].

و لكن الإسبان تمكنوا من دخول المدينة بسهولة، قبل وصول المقاومين، وذلك بسبب الخيانة، والمؤامرة التي قام بها اليهودي زاوي بن كبيسة، الذي يعرف بابن زهوة، بمساعدة بوابي المدينة، وهما عيسى بن غريب، والعباس بن طاهر العبدلاوي، ولكن الأمر لم يتوقف هنا، بل قاموا بمجزرة وإبادة ضد سكان المدينة، وكان احتلال مدينة وهران في شهر صفر من سنة 915هـ الموافق لشهر ماي 1509م في عهد السلطان

---

[1] - المرجع نفسه، ص: 53 .

[2] - حساني، المرجع السابق، ص ص: 75-79 .

[3] - فكاير، المرجع السابق، ص: 54 .

الزياني بوقلمون[1]. ويقول ابن القاضي في درة الحجال أن احتلال المدينة كان في سنة 914 ه/1508م ـ في أواخر محرم ووصف هذا الاحتلال بقوله "أخذ النصارى وهران، ونكب أهلها، فما منهم إلا أسير أو قتيل"[2].

وأدت هذه الحملة إلى هلاك أكثر من أربعة ألاف شخص، وأسر أكثر من خمسة ألاف، أما الغنائم والأسلاب التي استولى عليها الإسبان، فقد بلغت حسب بعض التقديرات خمسة ألاف أوقية ذهبية، والتي عادت بالثراء على القادة العسكريين، أما الكاردينال خمينيس فقام بتحويل المساجد إلى كنائس، فحول المسجد الأعظم إلى كاتدرائية، وبذلك طمست معالم المدينة الإسلامية، وأصبح الدون ديغو دي كوردوبا أول حاكم على وهران[3].

وبذلك تدخل مدينة وهران في مرحلة جديدة من تاريخها وهي مرحلة الاحتلال الاسباني التي استمرت حتى عام1120هـ ـ/ 1708م ، ففي هذه السنة قام الباي مصطفى بوشلاغم بمساعدة الداي بكتاش وصهره حسن أوزون بتحرير المدينة، ولكن هذا الاستقلال لم يستمر طويلا، فأعاد الإسبان إحتلالها في سنة 1144هـ/ 1732م، ولكن ما تلبث حتى قام الباي محمد الكبير بتحريرها ثانية، حيث دخلها فاتحا سنة1206هـ/ 1792م.

الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة

---

[1] - حساني، المرجع السابق، ص: 83 .

[2] - ابن القاضي، أحمد, درة الحجال في أسماء الرجال, تحقيق محمد الأحمدي أبو النّور, القاهرة، مكتبة دار التّراث, ج:3 ص: 300 .

[3] - فكاير، المرجع السابق، ص: 54.

عرفت مدينة وهران خلال القرن9هـ/ 15م تطورا اقتصاديا، واجتماعيا كبيرا، بحكم موقعها التجاري المهم، الرابط بين تجارة أوربا، وتجارة غرب إفريقيا، فلذلك عرفت توسعا عمرانيا، فكانت توجد فيها الفنادق، والحمامات[1]، والمدارس، والمساجد، ويعتبر مجتمع مدينة وهران مجتمعا نشيطا في الصناعة، وغيرها من الحرف، ويصفهم الوزان بأنهم ظرفاء، وكرماء، ويحبون الغرباء[2].

إن أهم ما ميز المدينة كونها محطة تجارية كبيرة في البحر المتوسط، فقد فكانت تفد إليها القوافل الصحراوية القادمة من الجنوب، التي تحمل بضائع المنطقة، أما ميناؤها فكانت ترسوا فيه السفن التجارية القادمة من المدن الأوربية الايطالية، والاسبانية، والفرنسية، مثل البندقية، وجنوة، ومرسيليا، والمرية، وبرشلونة، وغيرها[3]، فلذلك كانت المدينة مهبط للتجار، ويقول الوزان أنه مازال في المدينة دار تسمى دار الجنويين، لأنهم كانوا يقيمون بها [4].

أما السلع القادمة من أوربا فتتوجه عبر وهران إلى سجلماسة، وتافيلالات، وتمر عبر طريق وجدة، وفاس، وتادلة، وأغمات، ثم تتجه إلى ولاتة، وتكرور، ومملكة مالي، في غرب إفريقيا، وتجلب من هناك السلع الإفريقية، خاصة تبر الذهب، وريش النعام، والعبيد[5].

---

[1] - المرجع نفسه، ص ص: 204 -205 .

[2] - الوزان، حسن بن محمد الفاسي، وصف افريقيا ، ترجمة، محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983م، ج: 2، ص: 30.

[3] - فكاير، المرجع السابق، ص: 204-205 .

[4] - الوزان ، المصدر السابق، ج: 2، ص:30.

[5] - فكاير، المرجع السابق، ص: 206 .

أما الدولة الزيانية فتوفر الأمن لأرواح، وأموال التجار الأوربيين، وتضمن لهم حرية البيع والشراء، ولعل هذا من أهم الأسباب الذي ساعد على التطور الاقتصادي والتجاري لهذه المدينة الساحلية[1].

وشهدت تنوعا في جنسيات التجار الذين كانوا يقيمون في وهران بشكل مؤقت، فكان يتواجد التجار الجنويون، الذين يشترون الجلود المدبوغة، والفواكه، والزيت، أما التجار البنادقة فكانوا يقيمون في المدينة أكثر من عشرة أيام، خلال رحلتهم الموسمية ، وكان لهم نشاط كبير في المدينة استمر إلى غاية منتصف القرن ال 10هـ /16م، فقد ملكوا فنادق في وهران، وتلمسان، أما التجار الجنويون، فتألفت سفنهم من 200 رجل، ولها مجموعة من المحطات في سواحل البحر المتوسط، بما فيها وهران، التي تتوقف فيها لمدة لا تقل عن عشرة أيام، بينما لا تخصص سوى أربعة أيام في كل من بجاية، والجزائر، وذلك يرجع لتنوع وكثرة السلع، والبضائع الموجودة في مدينة وهران، وكان التجار البنادقة متخصصون في تصدير الأقمشة، والأواني الزجاجية، والتوابل، والعطور، والصمغ، والمسك، والجواهر، والأحجار الكريمة، وتستورد الصوف، والجلود، والقطن، إضافة إلى الأغطية، والبرانس، والزرابي، والعبيد، أما التجار الفلورنسيون الذين كان لهم نشاط تجاري في حوض البحر المتوسط، فكانوا يتوقفون في وهران لمدة ستة أيام، أما في الجزائر، وهنين، فيتوقفون مدة ثلاثة أيام فقط[2].

وفي صفر من سنة 871هـ / سبتمبر 1466م رست في ميناء وهران مجموعة كبيرة من مراكب تحمل الفرنسيين، والجنويين، قادمة من المحيط الأطلسي من فلنادا، وعند مواصلة مسيرها إلى تونس، ركب فيها الكثير من التجار الوهرانيين، والتلمسانيين، ومن

[1] - بشاري، المرجع السابق، ص: 174.

[2] - فكاير ، المرجع السابق، ص ص: 205 -206 .

الذين ذهبوا فيها أيضا عبد الباسط ابن خليل صاحب الرحلة، عائدا الى بلاده بعد زيارته لمختلف مدن المغرب والأندلس بما فيها مدينة وهران[1]. كما كانت هناك علاقات تجارية مع تلمسان فذكر ابن خليل انه عاد إلى وهران بشيء تسوقه من تلمسان لأجل بيعه بالأندلس[2].

و بحكم أن المدينة ساحلية فقد قصدها السكان الأندلسيين الفارين من القمع الاسباني، بعد سقوط غرناطة، خاصة بعد لجوء محمد الأيساري الذي كان ملكا لغرناطة، وأبا عبد ا الزغل عم أخر ملوك غرناطة[3]. كما تم الإشارة إليه سابقا.

كما استقبلت المدينة أيضا اليهود القادمين من أوربا، والأندلس، فاستقر بها مجموعة كبيرة منهم، تزعمها الحاخام سيمون بن رماح، وأغلبهم جاء من قشتالة، وبرشلونة[4]، وأغلبهم من التجار، فكانوا ينتقلون بين وهران، والسواحل الأوربية[5]، فلذلك زاد عددهم خلال القرن ال10هـ/16 م في المدينة، بسبب المعاملة الحسنة التي تلقوها من قبل الدولة الزيانية، والمناصب المهمة التي حضوا بها، فكانوا يشرفون على جمع الضرائب، والمكوس من التجار الوافدين على المدينة، إذ يشير المقري بقوله : انهم استقروا في كل من تلمسان، ووهران وتعاطو مهنة التجارة[6]، وكونوا روابط مع إخوانهم

---

[1] - ابن خليل، المصدر السابق، ص: 67.

[2] - المصدر نفسه، ص: 50.

[3] - بورويبة، المرجع السابق، ص: 40.

[4] - حساني، المرجع السابق، ص: 250.

[5] - المرجع نفسه، ص: 251 .

[6] - المقري، أحمد بن محمد, نفح الطّيب من غصن الأندلس الرطيب, تحقيق: إحسان عباس, بيروت:دار صادر، 1988م، ج: 1، ص: 166.

المتواجدين في بقية السواحل الأوربية[1]، إضافة إلى مزاولتهم لمختلف الحرف كالخياطة، وصياغة الحلي، وكان بذلك لهم دور في مهم في بعث الحركة الصناعية، والاقتصادية في المدينة[2].

وكان في مدينة وهران مجموعة من الحرفيين والنساجين[3] إضافة إلى الأنشطة الفلاحية فيذكر كربخال أن سكان مدينة وهران كانوا يمارسون الزراعة والرعي إلا أن أرضها لا تصلح للحنطة فكانت تتلقاها من مدن أخرى[4]. كما عرفت المدينة سعة في العيش يذكر ابن خليل[5] عند وصفه لعيد الأضحى بوهران أن الأضحية بها في غاية الرضا، فبيع بها كل أربعة من جياد الغنم بدينار واحد، في سنة 869هـ/1490م .

الحياة العلمية والثقافية

عرفت هذه مدينة وهران تطورا ثقافيا، ودينيا كبيرا، فكانت تضم المساجد، والمدارس، والزوايا، و التي كانت بمثابة مراكز لنشر الثقافة الإسلامية، إضافة إلى وجود علماء وطلبة، كما كانت المدينة محطة للعلماء القادمين من مختلف الحواضر الإسلامية.

---

[1] - حساني، المرجع السابق، ص: 254 .

[2] - المرجع نفسه، ص: 257.

[3] - مارمول، كربخال, إفريقيا, ترجمة محمد حجي وآخرون, منشورات الجمعية المغربية للتّأليف والتّرجمة والنّشر، الرباط، مكتبة المعارف, 1984م، ج: 2، ص ص: 329-331.

[4] - المصدر نفسه، ج2، ص ص: 328-329 .

[5] - ابن خليل، مصدر سابق، ص: 51 .

ويتحدث القلصادي في رحلته[1] عن الحياة الثقافية في المدينة خلال النصف الثاني من القرن التاسع الهجري 15م، فذكر مجموعة من الشيوخ والعلماء وهم أبو عثمان سعد الشلوني، واعتبره من الشيوخ المتبرك بهم، وكان أصله من شاطبة وهاجر إلى وهران، والفقيه يحي الهنيني، والشيخ الفقيه أبو الحسن علي بن القاسم الشهير بالحداد، والفقيه أبو الربيع سليمان الحميدي. إن الفترة التي زار فيها القلصادي وهران كانت من أخصب الفترات، حيث كثر فيها العلماء، وتعددت فيها التأليف، والمناظرات العلمية[2]. ومن الرحالة أيضا الذين دخلوا وهران خلال هذه الفترة التاريخية، وتحدثوا عن الحياة الثقافية والدينية في المدينة، الرحالة المصري عبد الباسط بن خليل، الذي حضر حفل ختم أحد الطلبة لحفظ القران الكريم، ومن مظاهر الحياة الثقافية التي كشف عنها في رحلته، وجود مفتي المدينة الذي لقيه، وهو الشيخ أبو العباس أحمد بن أبي العباس المالكي، ووصفه بأنه صاحب كبار العلم، والفضل، والصلاح بالمدينة[3].

كما استقر بالمدينة عدد كبير من العلماء القادمين من الأندلس، من بينهم محمد الشرف الحسني، ومحمد بن سعيد الشريف الغرناطي، الذي كان قاضيا على وهران عام 860هـ. وقد زار المدينة مختلف العلماء في ذلك العصر من بينهم الشاعر القسنطيني ابن الفكون، الذي أعجب بالمدينة[4] .

---

[1] - القلصادي، أبو الحسن علي, رحلة القلصادي "تمهيد الطّالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب", تحقيق: محمد أبو الأجفان, تونس:الشّركة التّونسية للتّوزيع, 1978, ص ص: 110-112 .

[2] - الحمدي، احمد، وهران من خلال كتب الجغرافيا والرحلات؛ مجلة الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية جامعة وهران، العدد 15، ص: 221 .

[3] - ابن خليل، المصدر السابق، ص: 47 .

[4] - حساني، المرجع السابق، ص: 239 .

كما أقام العقباني التلمساني في المدينة قاضيا عليها، والذي كان يلقب بأمير العلماء، ويعد الحافظ التنسي المؤرخ والأديب المشهور أحد تلامذته، إلا أن وهران اشتهرت بعالمها ووليها الصالح الشيخ محمد بن عمر الهواري، وهو من أشهر صوفية المغرب الإسلامي، فقد درس في مختلف حواضر المشرق الإسلامي كالقاهرة، ومكة، والمدينة، ثم قصد مدينة بجاية، وفاس، ليستقر أخيرا في وهران، التي أسس بها زاويته، وكانت محجا لطلبة العلم، والمسافرين، والفقراء[1]. وتحتوي هذه الزاوية على مكتبة كبيرة تضم مختلف الكتب في العديد من فنون التراث الإسلامي، ولكن وبعد سقوط المدينةن تم نهب المكتبة، واستولى على محتوياتها النفيسة الكاردينال خيمينس، وقد أخذها إلى مسقط رأسه بالقلعة، القريبة من مدريد[2].

ومن أشهر تلاميذ الهواري الذين واصلوا طريقته في التعليم، والتربية، والسلوك، في مدينة وهران، الشيخ إبراهيم التازي، الذي ترجع أصوله إلى مدينة تازة المغربية[3]؛ الذي كان له دورا بارزا في ازدهار الحركة العلمية في المدينة، فقد أسس زاوية، والتي أصبحت مدرسة يقصدها الطلبة، من كل مكان، وملجأ للغرباء، والمسافرين[4].

وكان للتازي أثر كبير في تطور الحركة العلمية، إذ يقول ابن صعد عن أثره: "أقام في وهران سوق الأدب وبنى لها معالم الإسلام، والإيمان، ورتب له المواسم الشرعية وركز على الآداب الدينية، والدنيوية، وفصل أهلها عما كانوا فيه من التدني في الحضارة،

---

[1] - بورويبة، المرجع السابق، ص: 47 .

[2] - حساني، المرجع السابق، ص: 238.

[3] - بورويبة، المرجع السابق، ص: 51 .

[4] - حساني، المرجع السابق، ص: 236 .

فاتسعت وعظمت فيها العمارة، وارتحل إليها كثيرا من أهل الجزيرة"[1]، كما كان له دور اجتماعي فقد قام بإيصال الماء إلى المدينة، بعد أن بنى مخزنا وقناة لأجل ذلك، بعد أن اقترض المال الكثير من التجار، من أجل انجاز هذا المشروع، وقد أقام الناس احتفالا كبيرا فرحا بهذا العمل الاجتماعي المهم[2]. وقد زار الشيخ التازي وزاويته العديد من العلماء منهم الرحالة المصري بن خليل[3]، والشيخ محمد بن يوسف السنوسي، الذي كانت له صحبة مع هذا الشيخ[4].

وقد حفلت هذه المدينة بالعديد من العلماء، منهم أبو العباس أحمد ابن جمعة النجار المغراوي، الذي اشتهر بالفتوى المتعلقة بالهجرة الأندلسية، ومن أهم مؤلفاته الاختصار والبيان فيما يتعرض من المعلمين وأباء الصبيان[5]. ومن علماء هذه المدينة أيضا أبو عبد ا بن القصار التلمساني، الذي قال عنه ابن خليل أنه كان خطيب جامع البيطار، وكان زاهدا، عابدا، وهو من أعيان أصحاب إبراهيم التازي[6].

---

[1] - بن صعد، روضة النّسرين في التّعريف بالأشياخ الأربعة المتأخّرين, تحقيق: يحيى بوعزيز، الجزائر، دار البصائر، ص: 139.

[2] - بورويبة، المرجع السابق، ص: 52.

[3] - ابن خليل، المصدر السابق، ص: 47 .

[4] - المنجور،أحمد, فهرسة المنجور, تحقيق: محمد حجي, الرباط، دار الغرب للتّأليف والتّرجمة والنّشر, 1976م, ص75.

[5] - حساني، المرجع السابق، ص ص: 242-243.

[6] - ابن خليل ، المصدر السابق، ص: 53

و من علماء وهران أيضا محمد بن عمر بن عكاشة، الذي تلقى العلم في فاس، والشيخ بختي الذي كان شيخا في الطريقة الزروقية الشاذلية[1]، والشيخ أحمد صبيح الذي خرج من وهران بعد احتلالها من طرف الإسبان، ومن بين العلماء المشهورين بوهران أبو زيد عبد الرحمن بن مقلاش، الذي أخذ العلم عن مختلف علماء عصره في المغرب الأوسط، خاصة قسنطينة، وبجاية، وتلمسان، وبونة، ومن أهم أثاره ثلاثة شروح لقصيدة البردة للبوصيري في مدح سيدنا النبي صلى ا عليه وسلم، شرح كبير، وصغير، ووسيط، كما أورد له الونشريسي في المعيار عدة فتاوي في مختلف أبواب الفقه، وخلف مجموعة من الرسائل التي خص بها أصحابه من الفقهاء، والعلماء، وجماعات من المسلمين في الأندلس، والذي كان يحثهم على الهجرة والخروج من دار الكفر إلى دار الإسلام [2].

ويعتبر محمد ابن أبي جيدة الوهراني من أشهر العلماء الذين ذاع صيتهم في المغرب الأقصى، فقد أجاز العديد من علمائه عن الوهرانيين كأبي عبد ا بن أبي جمعة، والتلمسانيين، والفاسيين وغيرهم[3]. كما أشار إلى ذلك تلميذه ابن منجور في فهرسته. وقد درس ابن أبي جيدة على فقهاء وهران، وتلمسان، وقد أدرك تلاميذ وأصحاب الشيخ

---

[1] - حساني، المرجع السابق، ص: 242 .

[2]- ابن مقلاش، عبد الرحمان بن محمد، شرح البردة البوصيرية، الشرح المتوسط ، تحقيق: محمد مزراق، الجزائر، بوسعادة، دار كرادة، 2011 م ، ص: 54 .

[3] - المنجور، المصدر السابق، ص: 17.

السنوسي، وابن مرزوق الكفيف، وأخذ التصوف عن إبراهيم التازي، وتوفي بفاس سنة 951هـ[1].

[1] - ابن القاضي، أحمد، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، الرباط، دار المنصور، 1973م، ص: 158.

الفصل الأول

التنظيم الإداري بوهران في نهاية القرن الثامن عشر

الفصل الأول

التنظيم الإداري بوهران في نهاية القرن الثامن عشر

تمهيد

تعتبر وهران في العهد العثماني من أهم المدن الساحلية في إيالة الجزائر، فهي عاصمة القطاع الغربي، فبالرغم من قصر هذا العهد الذي لم يتجاوز الأربعة عقود، حيث كانت بدايتها مع نهاية القرن الثامن عشر بعد أن وطأ الاحتلال الاسباني سواحلها، وبفضل جهود الباي محمد الكبير الذي أعادها إلى السلطة العثمانية، وتمتعت بجهاز إداري متميز الذي كان يسير مصالحها المختلفة .

المبحث الأول

الفتح الثاني لمدينة وهران

تمهيد

تعد فترة الثلاث قرون التي عاشتها وهران تحت الاحتلال الإسباني كافية لتبعث طموحات التحرر من هذا الغزو، ولم يكن ذلك إلا بمجيء الباي محمد الكبير، والذي عمل من أجل تحرير المدينة، حتى تم له ذلك في سنة 1792م/1206هـ، ليعيدها إلى أصولها الإسلامية، ويدخلها في حاضرة السلطة العثمانية تحت قيادة إيالة الجزائر، في عهد الداي حسن باشا[1]، وتصبح عاصمة بايلك الغرب، وتنال بذلك الأهمية السياسية، والاقتصادية إلى غاية احتلال فرنسا لها في بداية سنة1246هـ/ 1831.

المحاولات الأولى لتحرير مدينة وهران

لقد كان الإسبان ذووا قوة كبيرة، إلا أن هذا لم يمنع بايات الغرب لتحرير وهران، وقد تجسدت أولى المحاولات مع حسن بن خير الدين لكنه فشل، ثم تلت بعد ذلك محاولة الباي شعبان الزناقي،[2] الذي تولى أمر بايلك الغرب عام 1679م، ولكنه استشهد قبل

---

[1]- الداي حسن باشا، تولى الجزائر بعد وفاة الباي محمد عثمان في سنة 1205هـ-1790م، وكان عاقلا وله فطانة في الأمور؛ وفي عهده فتحت وهران، وبقي في منصبه إلى أن توفي سنة 1212هـــــ- 1797م ، ينظر: الزهار، مصدر سابق، ص:82.

[2]- الباي شعبان الزناقي: تولى بايلك الغرب سنة 1679م إلى غاية استشهاده في سنة 1686م وهو يحاول تحرير مدينة وهران. ينظر: بوعزيز، مدينة وهران، ص: 52.

فتحها[1]، ليخلفه الباي مصطفى بن يوسف المسراتي[2] المدعو بوشلاغم، الذي أبدى اهتمام كبير بأمر فتح وهران[3]، إضافة إلى الدعم الكبير الذي لقيه من طرف داي الجزائر محمد بكداش[4]، وبعد محاولات عديدة، تم فتح المدينة حيث اقتحموها يوم 26 شوال 1120هـ/ 19 جانفي 1708م، بعدما فتحت العديد من الحصون والقلاع من حولها، وعلى إثر هذا الانتصار الكبير قام الباي بنقل عاصمته من معسكر إلى وهران، إلا أن استقلال المدينة لم يدم طويلا ففي سنة 1144هـ/ 1732م نجح الإسبان في احتلالها للمرة ثانية، فعادت بذلك وهران إلى النصارى إلى غاية سنة 1792م/1206هـ.

المرحلة الأولى: حرب الاستنزاف (الحرب الخاطفة) 1194ه-1199هـ/1780م-1785م:

1[1]- بوعزيز، مدينة وهران، ص: 87.

[2]- مصطفى بوشلاغم :هو يوسف بن محمد بن إسحاق المسراتي الذي جمع له في توليه بين الإيالة الشرقية والغربية، تولى بايا على مازونة وتلمسان، وهو أول من جمعت له الايالة الغربية بأكملها عام1686م، وبعدها نقل كرسي حكمه إلى القلعة ثم إلى معسكر، لكونها تتوسط مازونة وتلمسان. ينظر: الزياني، محمد بن يوسف، دليل لحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق، المهدي البوعبدلي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978، ص:275.

3- بوعزيز، مدينة وهران، ص: 91.

[4]- الداي بكداش: هو أبو عبد ا محمد خوجة بن علي داي الجزائر تولي الحكم يوم 5 مارس 1707. ينظر: المزاري، الأغا بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق، يحي بوعزيز، الجزائر، دار البصائر، ج: 1، ص: 234.

لقد دفع الباي محمد الكبير في الدخول في هذه الحرب جملة من الأسباب، كان منها الهجومات الاسبانية المتكررة على ضواحي مدينة وهران، ومهاجمة القبائل المجاورة، ومحاولة الإسبان التوغل داخل أراضي بايلك الغرب[1]. لذلك كانت هجومات الباي محمد الكبير على الإسبان في ضواحي وهران، ومحاولة محاصرتهم بداخل بمدينتهم، حيث كان يقصف بمدافعه حصونها، وأسوارها، والتي تخلف القتلى، والجرحى، وهذا في كل سنة من شهر رمضان[2]. كما كان يرابط في ضواحي المدينة من أجل وضع الكمائن للعدو الاسباني، وقبائل المغاطيس[3]، المساندة له.

فكان من نتائج هذه الحملات المتكررة، إرغام الإسبان في سنة1194هـ/ 1780م على خوض معركة معه خارج أسوار المدينة، فانتصر عليهم . وتمكن أيضا في يوم 28 شوال 1198هـ / 14 سبتمبر 1784م من قطع مجرى الماء الذي يشرب منه أهل المدينة[4]. وفي 11ذي القعدة/26 سبتمبر من نفس السنة هاجم حصون المدينة هجوما عنيفا، فتمكن من الاستيلاء على البرج الأحمر، ثم استمرت المعارك بعد ذلك.[5]

---

[1] - بن عتو، بلبراوات، الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري ، رسالة ماجستير، جامعة وهران، ص: 11.

[2] - عميراوي، حميدة، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني مذكرات تيدنا أنموذجا، الجزائر، دار الهدى، 2005، ص: 73 .

3 - المغاطيس، مجموعة من القبائل التي كانت تقيم في ضواحي وهران وكانت متعاونة مع الاسبان. ينظر: المشرفي عبد القادر ، بهجة الناضر في الداخلين تحت ولاية الإسبان كبني عامر، تحقيق: محمد بن عبد الكريم ،بيروت لبنان :مكتبة الحياة، د ت، ص: 22.

[4] - أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا(1492-1792م)، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1976 م. 523، بوعزيز، مدينة وهران، ص: 59.

[5] - المدني، المرجع السابق، ص: 523، بوعزيز، مدينة وهران، ص: 60.

كما كان اعتماد الباي محمد الكبير خلال هذه المرحلة على بعث السرايا، ودوريات عسكرية، لنصب الكمائن، والقيام بحرب العصابات، التي تعتمد على أسلوب الكر والفر، فألحق بالإسبان هزائم كثيرة[1].

مرحلة الهدنة(1199هـ -1201هـ 1785م-1787م)

بسبب هذه الحملات المتكررة، التي أزعجت الإسبان، اضطروا للدخول في مفاوضات مع الباي، من أجل توقف هذه الحملات العسكرية. ففي 22 ذو القعدة 1199ه/26 سبتمبر1785م ظهرت بوادر المصالحة، والتفاوض، بشأن الوجود الاسباني في مدينة وهران، والمرسى الكبير، فقد كتب الباي محمد الكبير رسالة إلى الوزير الاسباني الأول الكوندي دي فلوريدا، يخبره بأنه ذهب إلى مدينة الجزائر، وحضر الاجتماع بين الداي ومبعوث اسبانيا الكوندي سيبي الذين تفاوض معهم حول مشروع الصلح بين الجزائر واسبانيا، والذي عفا من خلاله عن الجزائريين الموجودين بوهران، ويطلق سراحهم، وقد طالب أن يكلف الحاكم الاسباني بوهران بذلك، فأجاب الوزير الإسباني الأول عن سروره بهذا الاتصال، وطالب الباي بترسيم الحدود بين مدينة وهران وبايلك الغرب، وأكد له بالكف عن مهاجمة المسلمين، وأبدى استعداده لإقامة الصداقة بين الطرفين[2] .

وتم تأكيد هذا الموقف من خلال إرسال ملك إسبانيا كارلوس الثالث للداي محمد عثمان باشا[3]، يخبره بأنه كلف مبعوث اسبانيا في الجزائر بالذهاب إلى معسكر من

1- بلبروات، المرجع السابق، ص: 114.

[2] - بوعزيز، وهران في التاريخ، ص: 60 .

[3] - الداي محمد عثمان باشا تولى الجزائر بعد وفاة الداي علي باشا الملقب ببوصباع في سنة 1179ه- 1766 م، وكان من أعظم دايات الجزائر، ولقب بالمجاهد لكثرة حروبه مع دول أوربا، وكان مؤثرا للعدل ملتزما بالأحكام

أجل التفاوض مع الباي، لإبرام اتفاق الهدنة بين الباي وحاكم وهران[1]. وقد تواصلت بين الطرف الجزائري والاسباني مسارات الصلح من سنة1199هـ/ 1785 إلى سنة 1204هـ/ 1789م.

وفي سنة 1200هـ/1786م وقع الطرف الجزائري والاسباني شروط الصلح وبخصوص قضية وهران، فقد جاء في البند العشرين من الاتفاق أن تبقى المدينة، وحصونها، وقاعدة المرسى الكبير، على ما كانت عليه بدون اتصال بالضواحي. ولا يهاجمها داي الجزائر أبدا، ولا يقوم باي معسكر بأي غارة إذا لم يتلقى أمرا من الداي، وبما أن الباي هذا يحكم الناحية باستبداد، فان داي الجزائر سيوافق على أي اتفاق يحصل بين إسبانيا والباي، الذي تلقى أمرا بمنع الاعتداء على القواعد والحصون الاسبانية.[2]

ورغم هذه المساعي، والجهود بين الطرفين، إلا أنها لم تحقق أي نتيجة، لأن الباي محمد الكبير أصبح عازما على تحرير المدينة .

المرحلة الثانية: 1201هـ-1204هـ/ 1787-1790 م

إن من بين العوامل التي ساعدت على الدخول في هاته المرحلة، هو استغلال الباي محمد الكبير الهدنة الأولى التي كانت في سنة 1199هـ/1785م مع الإسبان، وهذا لأجل الهجوم على قبائل الهضاب، وفرض الاستقرار السياسي، والعسكري، في بايلك الغرب،

الشرعية، وانتصر في جميع حروبه، وبنى عدة أبراج في مدينة الجزائر، مثل برج سردينيا، والبرج الجديد، وبرج راس عمار، ينظر: الزهار، أحمد الشريف، مذكرات أحمد الشريف الزهار؛ نقيب الأشراف، تحقيق: أحمد توفيق المدني: الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974، ص: 36.

[1]- بوعزيز، مدينة وهران، ص:61 .

[2]- بلبروات، المرجع السابق، ص: 116.

إضافة إلى أن داي الجزائر محمد عثمان باشا لم يعارض مشروع تحرير المدينة، كما وقعت مناوشات بين القبائل العربية والقبائل التابعة للإسبان، بضواحي وهران، فاضطر الباي إلى تجديد حروبه مع الإسبان، فكل هذا ساعده من أجل تحرير المدينة.

ولقد أدرك الباي محمد الكبير أن أسلوب حرب الاستنزاف لا جدوى منه، فكان لابد من ابتكار أساليب أخرى ذات فعالية كبيرة، ففي سنة1201ه/ 1787م فرض على وهران حصار طويل المدى، امتد إلى غاية سنة1205هـ/1791م، وقد تم الاعتماد على مداومة الرباط في ضواحي المدينة، والقيام بحرب العصابات، فكان من نتائج هذا الأسلوب، قطع الإمدادات التي كانت يتلقاها الإسبان من القبائل المتعاونة معهم.

المرحلة الثالثة: 1204-1205هـ/ 1790-1791م

واستمر الوضع العسكري على هذا النحو إلى غاية يومي29- 30 محرم 1205هـ/ 8 و9 أكتوبر 1790م الذي ضرب فيه زلزال كبير المدينة، وحطم معظم منازل الإسبان، ومات على إثرها حوالي ثلاثة ألاف نسمة، من بينهم حاكم المدينة الاسباني، الدون نيكولا غارسيا. وخرب هذا الزلزال أكثر من ثلثي بنايات المدينة[1]، كما إلتهمت النيران بعض السفن[2]؛ ومختلف منازل المدينة وعلى إثر ذلك انتشرت الفوضى في المدينة فاستغل بعض الاسبانيين ذلك من أجل سرقة ونهب المنازل المنكوبة[3]. واستمرت الهزات الأرضية إلى يوم15 ربيع الاول 1205هـ/ 22 نوفمبر 1791م[4] .

---

[1]- بوعزيز، مدينة وهران، ص: 62 .

[2]- المدني، المرجع السابق، ص: 524 .

[3] -C. Kehl, "Oran et l'Oranie :avant l'occupation française ,géographie et d’archéologie de la province, Oran1942. p 48.

[4]- المدني، المرجع السابق، ص: 525 .

كان هذا الزلزال فرصة مناسبه من أجل إعلان الحرب الشاملة، وبدأ الباي محمد الكبير يهاجم المدينة التي لم يبقى فيها سوى 1528 جندي اسباني يدافعون عنها رغم الخسائر الكبيرة التي أحدثها الزلزال[1] .

وقد واصل الباي في تكثيف الهجومات بمختلف الأسلحة المتوفرة، فقد جمع أكثر من خمسين ألف جندي خلال أسبوع واحد، كما تلقى إمدادات بالذخيرة، حيث يذكر ابن سحنون[2] بأنه: "كتب إلى ناحية زواوة من أتاه بكثير من البارود، فحصلت له بجميع ذلك أتم الإعانة"[3]. إلا أن اسبانيا استدركت الخسائر التي أحدثها الزلزال، فأرسلت مساعدات عسكرية في يوم05 جمادى الاخرة 1205ه/ 9 فيفري 1791م[4].

وفي يوم الخميس 13 صفر1206/22اكتوبر1791 تمكن جيش الباي من الاستيلاء على حصن برج العيون، لكن سرعان ما استرجعه الإسبان.[5] وفي اليوم الموالي ضرب الباي بالمدفعية مدينة وهران، من جبل المائدة، وحاول هدم برج مرجاجو – سانتا كروز –، إلا أنه فشل في هذه العملية، فرجع بعد ذلك إلى معسكر، فترك الطلبة [6] في

---

[1]- Kehl, ibid, p: 49.

2- ابن سحنون، أحمد بن أحمد بن علي الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي، قسنطينة، ص 247.

3- ابن سحنون، المصدر السابق، ص 247.

[4] -Kehl, ibid, p: 49.

[5]- بورويبة، مرجع سابق، ص: 106.

[6]- ومن الفئات التي ساعدت في تحرير المدينة فئة الطلبة والعلماء والمرابطين، فقد طلب منهم الباي محمد الكبير الذهاب إلى جبل المايدة، للمرابطة فيه، وكان هؤلاء الطلبة يدرسون ويحاربون، فكان هذا الرباط قلعة حربية من جهة وزاوية، ومدرسة من جهة أخرى، وقد استشهد بعض العلماء خلال هذا الحصار من بينهم الطاهر بن حوا، قاضي

جبل المائدة، وكان ينقسم هؤلاء الطلبة إلى مجموعة من الفرق، كل فرقة تضم 25 جندي، أما عددهم الإجمالي فكان 2000 طالب[1]، وجعل الباي كل من الشيخ الموفق بوجلال[2]؛ والطاهر بن حوا قاضي معسكر، قادة على جموع هؤلاء الطلبة، إضافة إلى الشيخ محمد بن علي الشارف المازوني. وجهز هذا الجيش بالأسلحة والعدة، ولكن كتيبة هؤلاء الطلبة لم تكون موفقة في العمل العسكري، لأنها لم تكن متعودة على حمل السلاح، فقد كادوا يقعون في قبضة الإسبان، لولا فرارهم في الوقت المناسب[3]، وقد وقعت بينهم وبين الإسبان أول معركة في شهر شعبان1205هـ / ابريل 1791م، ولكن الطلبة فقدوا عددا كبيرا من أصحابهم.[4]

وقد ازدادت ضربات الحصار على المدينة بقيادة الباي، إلا أن الإسبان واصلوا استماتتهم في الدفاع عن المدينة، وفي تلك الأثناء تلقى الإسبان المؤن، والذخيرة، من دولتهم قوامها 7000 سبعة ألاف رجل، بعد أن كانوا 1526 جندي فقط، واستمرت المعارك طوال سنة 1205هـ/1791 [5].

معسكر، سعد ا ، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981،ج:1 ص: 329.

[1] - بورويبة، المرجع السابق، ص: 107.

[2] - الشيخ بوجلال هو من علماء مدينة معسكر وكان يدرس الفقه والحديث والمنطق والاصول والبلاغة والنحو وكان قد طلب العلم في فاس التي اشتهر بها كما انه ذهب الى الحج ولقي علماء المشرق . ينظر: أبو القاسم سعد ا ، المرجع السابق، ج: 1ص 205 .

[3] - أبو القاسم، سعد ا ، المرجع السابق، ج: 1ص 203 .

[4] - بورويبة، المرجع السابق، ص: 107.

[5] - بوعزيز، مدينة وهران، ص ص: 62-63 ، المدني، مرجع سابق، ص: 525.

وفي خضم هذه المعارك قامت الحكومة الاسبانية بمفاوضات مع داي الجزائر في شهر جمادى الأخر 1205هـ/ فيفري 1791م ثم تجددت في شهر رجب 1205هـ/ أفريل1791م[1]. ورغم هذه المفاوضات فقد بقيت الحروب متواصلة بين الطرفين، فقد استعان الباي محمد الكبير في هذه الحرب بالانجليز، من أجل أن يشتري منهم مدافع، وكور، وقنابل، إضافة إلى كمية كبيرة من البارود والرصاص، إضافة إلى ما كان يصنعه الحدادين، والنجارين، الذين أتى بهم من ناحية فقيق، وأمر بإصلاح الطريق بين معسكر ووهران، من أجل مرور المدفعية، وأطلق سراح المساجين، ليكونوا عونا له في هذه الحرب[2].

واستأنف الباي هجوماته على مدينة وهران، بعد أن غادر معسكر في 8 رجب 1205هـ/ 4 مارس 1791م.[3] وعلى إثر هذا الحصار الذي ضربه الباي، طلب منه الإسبان الهدنة، فوافق عليها، وقد شرعوا في هذه المفاوضات بداية من 22 شعبان 1205هـ/12أفريل1791، واستغل الباي هذه الفرصة للذهاب إلى مدينة مستغانم،[4] من أجل جلب المدافع، ثم يسير بها إلى حصن سيق القريب من وهران .

---

[1] - Kehl, ibid, p: 49.

[2] - الحمدي، المرجع السابق، ص 228 .

[3] - بورويبة، المرجع السابق، ص: 108 .

[4] - مستغانم: تقع على ساحل البحر المتوسط، وتقع على بعد أربعة عشر ميلا من مصب واد الشلف جنوبا، ويكثر الأعراب في ضواحيها، كما يوجد في خارجها بساتين جميلة، ولها ميناء صغير، تأتيه بعض السفن الأوربية . ينظر:الوزان، المصدر السابق، ج:2 ص: 32.

وبعد رفض الإسبان للاستسلام، استأنف القتال في 03 رمضان1205هـ /07 ماي 1791م[1]. فغادر الباي سيق وتوجه إلى تليلات ثم إلى رباط إفري. وفي 18 رمضان1205هـ /28 ماي 1791م نقل الباي المدافع إلى جبل المائدة، وبقي إبنه يراقب عن كثب المرسى الكبير. وفي 05 شوال1205هـ/ 05 جوان1791م تواصلت حرب المدفعية بين الطرفين، فاستطاع جيش الباي تخريب سور برج سانتا كروز، ولكن الإسبان واصلوا المقاومة.

وفي 29 شوال1205هـ/ 02 جويلية1791م سقطت قنبلة في أحد المنازل الإسبانية المغطاة بالتبن، فأدت إلى انتشار الحريق في البيوت الأخرى. إضافة إلى نسف بيت البارود الموجود بالقرب من برج العيون، عن طريق قذيفة مدفعية، وبعد ذلك استطاع الباي نسف باب برج بني زروال، وفي هذه الأثناء بلغته أوامر الداي من الجزائر، بتوقيف الهجومات، لاستئناف المفاوضات[2]، بين الطرفين الجزائري والاسباني[3] .

وقد أبدت اسبانيا قبولها بالتخلي عن وهران، ولكن بشروط، بعد أن تأكدت من عزم الباي محمد بن عثمان من استرجاع المدينة، فكتب ملك اسبانيا رسالة إلى داي الجزائر البابا حسان، الذي أبدي له نيته في التخلي والجلاء عن المدينة. فوافق الداي على ذلك، فطلب منه الإسبان المتواجدين في مدينة وهران مدة ستة أشهر من أجل إخلائها .

---

[1] - بورويبة، المرجع السابق، ص: 108.

[2] - بوفاة الداي محمد عثمان باشا الذي كان يرفض أي علاقات مع اسبانيا ما دامت تحتل وهران، فبعد أن تولى من بعده الداي حسان، والذي في عهده دخلت اسبانيا والجزائر في مرحلة جديدة من المفاوضات.

[3] - بورويبة، المرجع السابق، ص: 109.

وقد تمت مبادلة المراسلات بين الطرفين، فوقع الداي الجديد حسن باشا معاهدة تسليم اسبانيا للمرسى الكبير ووهران بشكل نهائي في يوم12 ربيع الاخر1206هـ/09 ديسمبر1791م انتهت بالتوصل إلى هذه البنود:

1. تنسحب اسبانيا من وهران، والمرسى الكبير، دون قيد أو شرط.
2. تدفع للجزائر 120 ألف فرنك سنويا.
3. تعيد للجزائر كل ما غنمته من وهران عام1120هـ/ 1732م، من مدافع وأسلحة.
4. تسمح الجزائر لإسبانيا شراء ثلاثة ألاف كيلة من القمح الجزائري.
5. تسمح لها كذلك بأن تؤسس مركزا تجاريا بالغزوات، مع السماح لها كذلك بصيد المرجان على السواحل الغربية للجزائر[1].

مدينة وهران عشية تحريرها

ونتيجة لجهود الباي في تحرير مدينة وهران، قلده داي الجزائر نيشان الريشة التي تقدم للمنتصرين على الكفار، ووعد الداي أيضا الباي محمد الكبير، بأن مدينة وهران سوف تكون تحت إمرته في المستقبل، وقال له "هي بلادك فتحتها بجدك، واجتهادك، وأعدتها دار إسلام بجهادك، فأمرها موكل لأمرك، لا يتقدم فيها نظر على نظرك". وكافأ ابني الباي، فقام بتعيين ابنه عثمان خليفة للغرب، وابنه الثاني قائدا لفليتة.[2]

---

[1] - Kehl, ibid, p: 49.

[2] - بورويبة، المرجع السابق، ص: 111.

ويذكر المؤرخ الفرنسي لابان أن الداي حسن باشا منحه لقب الكبير بفضل جهوده وخصاله[1]، ويبدوا انه أخطأ في ذلك لأن الكبير ليس لقب إنما هو إسم يكون مقرون باسم محمد الذي كان معروفا في ذلك الوقت، وذلك للتميز عن أخيه الأصغر، وهو محمد الصغير الملقب ببوكابوس .

وفي 02 جمادى الثاني 1206هـ/27 يناير 1792م بعث الباي ابنه عثمان إلى وهران ليستطلع درجة جلاء الإسبان. فرجع بعد أيام بمفاتيح المدينة والبعض من مياهها التي أخذت من جميع العيون، وبعثت إلى الجزائر ثم إلى استنبول[2]. وقد قال الشريف الزهار[3] أن "الداي حسن بعث ببشارة الفتح ومفاتيح مدينة وهران إلى السلطان سليم، ولما وصل الرسول إلى إسطنبول وقابلوا الوزير، وبلغوا له الرسالة، قام الوزير بدوره تبليغ البشارة للسلطان، ففرح بذلك، وبعد أن استراح الرسل، سرحهم السلطان بعد أن أكرمهم، ووجه معهم الخلعة السلطانية لحسن باشا".

وقبل دخول الباي محمد الكبير مدينة وهران، بعث كاتبه محمد بن هطال التلمساني إليها ليكتشف أوضاع وأخبار المدينة، فرأى مخلفات الإسبان، وما هدموه، ووجد أنهم تركوا مائة وثلاثة عشر مدفعا، وبعض الذخيرة، من البارود، والكور، وذلك امتثالا لما جاء في معاهدة الاستسلام[4]. ثم بعث الباي مرة أخرى صهره إلى مدينة وهران لمعاينة ظروف جلاء الإسبان، فاستقبلوه استقبالا حسنا، ورأى أنهم يحضرون للجلاء، ولكن

---

[1] -M. Lapene, la province doan1792-1851,lamort,imprimeur de l agademie,metz,1842 p:12.

[2] - بورويبة، المرجع السابق، ص: 111.

3 - الزهار، المصدر السابق، ص: 63.

[4] - بلبروات، المرجع السابق، ص: 116 .

الطقس لم يكن مناسب لانطلاق السفن. و في بداية سنة 1206/1792 أخلا الإسبان المدينة[1].

دخول الباي مدينة وهران

توجه الباي محمد الكبير إلى مدينة وهران، محولا مقر عاصمته إليها بعد أن كانت في معسكر[2]. فتوجه في موكب عظيم، وأمر العلماء، والطلبة، أن تقرأ البردة، والمدائح النبوية، إضافة إلى طلقات البارود[3]. وارتفعت الأصوات بالصلاة على الرسول صلى ا عليه وسلم، وضربات المدافع، والطبول، وأمر الباي برفع الأعلام الإسلامية على شرفات الأبراج الباقية،[4] و أمر بهدم الكنائس التي تركها الإسبان، من أجل أن يعيد للمدينة وجهها الإسلامي.[5]

ثم انتقل إلى وادي راس العين، واستطاع أن يرى الإسبان يغادرون المدينة، ويتوجهون إلى المراكب، ثم دخل في موكبه المدينة في وسط هتافات الناس، وأصوات البارود، والطبول، فنزل بالبرج الأحمر، فصلى ركعتين شكرا ، ثم دخل عليه الناس

---

[1] - Kehl,ibid, p: 49.

2 - المزاري، المصدر السابق، ج: 1، ص: 458.

[3] - بورويبة، المرجع السابق، ص: 113.

4 - ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص: 458.

5 - الناصري؛ أبو رأس، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته: حياة أبي رأس الذاتية والعلمية، تحقيق محمد عبد الكريم ، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،1990م، ص: 100.

لتهنئته بهذا النصر[1]. وكان دخوله مدينة وهران[2] في يوم الاثنين من شهر رجب1206هـ/28 فيفري 1792[3].

بعد دخوله وهران توجه إلى المرسى الكبير، ليتأكد من خروج الإسبان منه، وفي يوم 6 رجب 1206هـ ـ /1 مارس 1792م ، قام بتقسيم الدور بين رعيته، والذي أشرف عليه ولده البكر عثمان،[4] فأمر بتسجيل كل من أراد أن يسكن في المدينة، ليأذن في بيع قمحه بالسعر الذي يحدده الباي.[5]

كما أمر الباي محمد الكبير ببناء قصره، الذي اختار مكانه في البرج الأحمر، والذي كان يسمى عند الفرنسيين بالقصر الجديد، وقد اضطر لبناء قصر خاص به، بعد أن تهدم قصر الحاكم الاسباني، إثر زلزال1204هـ/ 1790م ليجعله مركزا لحكمه[6].

ومن الإجراءات التي قام بها الباي عند دخوله وهران قيامه بهدم الأبراج الموالية للبر، وهي برج مرجاج، وبرج راس العين الكبير، والصغير، وبرج فراندا، وبرج كارلوس، وغيرها من الأبراج الموالية للبر، وذلك تصحيحا للخطأ الذي وقع فيه الباي

---

[1] - بورويبة، المرجع السابق، ص: 113- 114 .

[2] - يذكر المزاري أن فتح وهران كان في أوائل محرم عام 1206هـ الموافق ل سبتمبر1791م، أما دخولها كان يوم الاثنين من شهر رجب الموافق ل28 فيفري 1792م. ينظر: المزاري، مصدر سابق، ج:1، ص:291.

[3] - المزاري، المصدر السابق، ج: 1، ص:291.

[4]- ابن سحنون، المصدر السابق، ص: 168.

[5] - بلبروات، المرجع السابق، ص: 167 .

[6] - المرجع نفسه، ص: 168 .

بوشلاغم، الذي لم يهدم هذه الأبراج عند فتحه الأول للمدينة. فلما عاد الإسبان لم يستطع استرجاع المدينة، لتحصنهم بهذه الأبراج.[1]

ثم واجه الباي قضية سكان مدينة وهران العرب، الذين كانوا متعاونين مع الإسبان، فاستشار في شأنهم العلماء، فاتفقوا على مسامحتهم، فلذلك كلف كل من عبد ا بن حوا، وأحمد بن سحنون الراشدي، بالاتصال بهم والصفح عنهم وتأمينهم، وقد عادوا مصحوبين بأربعين شخصا من هؤلاء السكان، فاستقبلهم الباي وعفا عنهم[2]. ولكنهم لم يستطيعوا البقاء في المدينة، كما أنهم لم يكونوا مقبولين بالعيش في اسبانيا، فلذلك لجأوا إلى مدن مليلية، وسبتة، وتطوان[3].

تعمير مدينة وهران

ولتعمير مدينة وهران وإعادة الحياة إليها، قام الباي بجلب السكان من المدن الجزائرية الأخرى، في بايلك الغرب، وخارجه، مثل مليانة،[4] والمدية، ومازونة، وتلمسان، وتلمسان، ومعسكر، واستدعى أيضا بعض السكان من خارج إيالة الجزائر، خاصة مدن

---

[1] - المزاري، المصدر السابق، ج:1، ص:294.

[2] - ابن هطال، التلمساني، رحلة الباي الكبير الى الغرب الجزائري، تحقيق، محمد بن عبد الكريم، القاهرة، عالم الكتب 1969م، ص: 23.

[3] - Kehl ibid p .50

[4] - مليانة، مدينة قديمة، وتقع على بعد اربعين ميلا جنوب البحر المتوسط، وعن مدينة شرشال، وتقع على سفح جبل زكار، ويكاد يكون كل سكانها صناع. ينظر: الوزان، المصدر السابق، ج: 2، ص:32.

وجدة،[1] وفاس، ومراكش المغربية[2]، كما وفد إليها مجموعات من قبائل المنطقة، مثل الدواير، والزمالة، والغرابة، واستقر بها بعض زعماء بني عامر[3].

وبذلك أخذ مجتمع مدينة وهران يتشكل، ويأخذ صبغة جديدة خاصة به، فأصبح يتشكل من عرب، وبربر، ومغاربة، ويهود ، وأصبح سكان هذه المدينة في تزايد، حيث قدر ريني ليسي عددهم في مطلع القرن التاسع عشر، مابين خمسة، وستة ألاف نسمة[4].

ويبدوا أن هذا الإجراء الذي قام به الباي، هو محاولة لإحياء المدينة بالطابع الإسلامي، وبعث النشاط الاقتصادي بها، لأن السكان الذين استدعاهم، من أصحاب الحرف، والتجارة، والثقافة .

وما يمكن استخلاصه أن تحرير مدينة وهران لم يكن بالأمر السهل، ويرجع ذلك لحصانة المدينة، وقوة اسبانيا في ذلك الوقت، ورغم ذلك فإنها عرفت عدة محاولات من أجل تحريرها، ليأتي دور الباي محمد الكبير و الذي إستطاع في نهاية الأمر من إجلاء الإسبان من المدينة، ولعل الذي ساعد الباي في فتح المدينة، هو الزلزال الذي ضربها، وخلف خسائر كبيرة في بناياتها وفي الجيش الاسباني، الذي أصبح عاجزا في الدفاع عن مدينة وهران. ومع نهاية سنة 1206ه/ 1792 م ـ كانت المدينة قد إسترجعت هويتها

---

[1] - مدينة وجدة، تقع في سهل واسع في جنوب البحر المتوسط نحو اربعين ميلا، وهي قريبة من مدينة تلمسان في غربها، وكانت لها أراضي غزيرة الإنتاج. ينظر الوزان، المصدر السابق، ج: 2، ص ص :12 ، 13 .

[2] - بلبراوات، المرجع السابق، ص: 170 .

3 - H. L. Fey: Histoire d'Oran avant, pendent et apres la domination espagnole ,Adolphe Perrier, Oran, 1958. p269.

[4] - بلبراوات، المرجع السابق، ص: 171 .

الإسلامية و بذلك دشن عهد جديد ستبعث من خلالها حركة علمية ثقافية و سياسية و إجتماعية .

المبحث الثاني

التنظيم الإداري لمدينة وهران

تمهيد

بعدما حررت المدينة خضعت لسلطة الإيالة والتي كان مقرها مدينة الجزائر، وبذلك أصبحت عاصمة لبايلك الغرب، تخضع لجهاز إداري عثماني يشبه في الغالب الأجهزة الإدارية الموجودة في القطاعات الأخرى، مثل قسنطينة، والمدية؛ أما الجهاز فمكون من مجموعة من الموظفين يسيرون المدينة، وما يوجد بها من فئات اجتماعية، ونشاطات اقتصادية، ومصالح سياسية .

الباي

كان الباي يشرف على الموظفين المكفلين بتسيير شؤون المدينة، إضافة إلى مهام أخرى، إذ له الحق في تسيير شؤون البايلك وهو المقاطعة الغربية لإيالة الجزائر، وبذلك فهو يشرف على القوات المسلحة المكونة من جنود الانكشارية الأتراك، وجنود المخزن، كما أنه يشرف على جمع الضرائب، ويصدر العقوبات على الأهالي أو أحكام الإعدام، أما

الأحكام الصادرة ضد الأتراك فكان يستشير الداي فيها[1]، وفي هذا يقول المزاري[2] عن الحرية المطلقة للبايات. "وللبايات هؤلاء القواعد الثلاث التصرف المطلق في الرعية بكل وجه من القتل، والقطع، والضرب، والعقوبة بالمال المسماة بالخطية، إلى غير ذلك دون متعرض لهم ... ولا يستطيع الباي قتل أحد من الأتراك، إلا بمشاورة الباشا". كما كان للباي الحق في مصادرة الأملاك[3].

ومن مهامه أيضا المحافظة على الأمن والسعي دون حصول انتفاضات، وثورات شعبية، ودفع أجور الحامية التركية في المدينة، و تأمين الطرق من أجل إبقاء الاتصال بمركز السلطة في الجزائر، إضافة إلى المحافظة على ضمان موارد لخزينة البايلك، من أجل دفعها للإدارة المركزية في العاصمة[4]. كما يشرف الباي مباشرة على قبيلتي بني

---

[1] - شويتام، أرزقي، المجتمع الجزائر وفعاليته في العهد العثماني أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، ص: 37 .

[2] - المزاري، المصدر السابق، ج 1، ص:272.

[3] - شويتام، المرجع السابق، ص: 37 .

4 - سعيدوني ناصر الدين والبوعبدي المهدي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني،ج2، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1884، ص: 20.

عامر[1]، والمجاهر[2]. وأثناء غيابه يتولى هذه الوظيفة خليفة الكرسي، بمساعدة قائدي القبيلتين[3].

ديوان البايلك

ويرجع إليها الباي من أجل المشورة في القرارات التي يجب أن يتخذها، ويتألف هذا المجلس من الخليفة والباش خزناجي، وأغا الدايرة، وشيخ البلد، ورباش سيار، ورباش مكاحلية.

الباش خزناجي أو الخزندار

وكان يشرف على نفقات وإيرادات البايلك، فكانت هناك مصاريف مختلفة يقوم بتولي الإنفاق فيها، ويساعده في ذلك كاتبين مكلفين بكتابة وجوه الإنفاق والمداخل، ويعرف كل واحد منهما بدفتردار[4]، كما يشرف على المصالح المالية من جمع ضرائب، وإعداد أموال الدنوش[5]، ويجب على الخزندار معرفة صحة الذهب والفضة، ويزن القطع النقدية، وأن يحسب النقود الواردة إلى الخزينة، وعند وضع النقود في المخازن يجب

---

[1] - بني عامر، تتشكل هذه القبيلة من ثلاثة بطون كبيرة، وهي شافع الذين ينتسبون الى شافع بن زغبة الهلالي، ويتألفون من أربعة بطون، وبني يعقوب يتألفون من خمسة عشر بطن، وبني حميد يتشكلون من ستة وستون بطن. ينظر: المشرفي عبد القادر، المصدر السابق ، ص: 14.

[2] - مجاهر، تتشكل هذه القبيلة من أولاد بوكامل، واولاد معاف، والغفارة، وأولاد عيناس، وأولاد شافع، ويقودهم قائد مستغانم. ينظر: طابي معمر، سميرة، القوى المحلية في بايلك الغرب أواخر العهد العثماني من 1792 إلى 1831؛ رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، ص: 98.

3 - طابي معمر، المرجع السابق، ص: 97.

[4] - سعيدوني، ناصر الدين، ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2000، ص: 243 ، سعيدوني، الجزائر في التاريخ، ص: 20 .

[5] - بوعزيز، مدينة وهران، ص: 48 .

التفريق بين نقود كل مقاطعة لتجنب الأخطاء في الحسابات، كما عليه معرفة الخدام الذين يعملون تحت إمرته، ويجب أن يكون متيقنا من أمانتهم، ويمكن له تغييرهم إذا أراد ذلك، كما يجب معرفة الذين يتقربون من الباي حتى تكون الأدوات الثمينة في مأمن[1].

وكان الخزندار يتمتع بنفوذ كبير فبواسطته تمنح الوظائف الإدارية، فيمكن له أن يقول للباي أنه سوف يعطيني فلان المبلغ الفلاني ليتم تعينه في منصب إداري معين، وإذا تنافس مجموعة على نفس المنصب ودفع كل منهم مبلغا من المال، يأخذ الباي منهم جميعهم ويختار واحدا منهم. أما أجرة الخزندار فتبلغ 10سكات كل شهر، بالإضافة إلى ما يمنحه له الموظفين عند نهاية وظيفتهم أو عند تعيينهم[2].

من الذين تولوا هذا المنصب، مردوخي دارمون في عهد الباي محمد الكبير، وهو من اليهود القادمين من معسكر، وكان مقدما لليهود بوهران[3]، وأصبح بعد ذلك مستشارا خاصا لهذا الباي، وبذلك لعب دورا هاما في سياسته الخارجية والداخلية، إلى أن أصبح أمين سره، ومحل ثقته ولمن جاء بعده من البايات[4]. ثم تولى هذا المنصب عمران دارمون، ثم شالوم لاسكار، وكان يهوديا من مليانة، ثم مردوخي بن عمار، فكل هؤلاء تولوا منصب الخزندار في وهران[5]، فكان بذلك لليهود بعض التأثيرات في مجلس الباي[6]؛

---

[1] - اعميراوي، مرجع سابق، ص: 62-63.

[2] - المرجع نفسه، ص: 64.

[3] - Benkada, saddek, espace urbain et structure sociale aoran de 1792 a 1831, mémoire de deplom d etudes approfondies oran 1988 ,p : 114

[4] - صحراوي، كمال، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في اواخر عهد الدايات، مذكرة ماجستير، جامعة معسكر، ص: 79 .

[5] - Benkada, ibid, p:114.

الباي[1]، لأن لهم علاقات خارجية، وأصبحوا مساعدين تجاريين له، وفي بعض الأحيان مساعدين دبلوماسيين، ولم يبقوا غرباء عن الأعمال الداخلية للباي[2]، وأصبحوا يقومون بالوساطة عند البايات في كل عملية تجارية[3].

أغا الدايرة أو خوجة الخيل

هو قائد فرسان العرب التابعين للبايلك، ويقوم بحملات تأديبية ضد العشائر المتمردة، وكان الفرسان التابعين له لهم أعلام خاصة، وزي خاص بهم، وقد توسعت مهامه ليكون له الحق في التصرف في جميع الفرق العسكرية، ويشرف على تنصيب البايات وتنفيذ أوامر عزلهم، وقد يتولى منصب الباي بصفة مؤقتة، ويذكر سعيدوني[4] أن توسع صلاحياته كان بعد وفاة كل من صالح باي، والباي محمد الكبير، وبذلك جعل الباي خاضعا بصفة مباشرة لسلطة داي الجزائر، كما تدعم هذا المنصب، وزاد في نفوذه وقوته وجود بايات ضعاف[5]. ولأهمية هذا المنصب كان يعينه الداي مباشرة، ويختاره بدقة

---

[1] - إلى جانب المكانة الاقتصادية التي حضي بها اليهود في مدينة وهران؛ كانت لهم مكانة مهمة في الحياة السياسية في المدينة، فقبل فتح مدينة وهران في عام 1792م، كانت عائلة دارمون اليهودية في خدمة الباي ابراهيم، فكان مروخي دارمون غنيا، وكان جودا دارمون راهبا قدم لكتاب عمه مردوخي، وكان كتاب يشرح فيه بعض الأسفار المختارة من التوراة، والتلمود، وقد طبع هذا الكتاب في لفرونة في ايطاليا في 1787م، أما دافيد دارمون فقد كان في سنة 1810م، مساعد قنصلي فرنسي في وهران. ينظر: Bloch Isaac ,Israelites d'Oran de 1792 , a 1815 jourdan editeur,alger 1886 p p 10-11.

[2] - Bloch, ibid, p: 10.

[3] – Benkada, ibid, p: 97

[4] - سعيدوني، ورقات جزائرية، ص: 243-244 .

[5] - طابي معمر، المرجع السابق، ص: 45 .

شديدة، لصعوبة المهمة الموكلة إليه، لاحتكاك المدينة بالريف الذي كانت تظهر به توترات وثورات، مما يشكل خطرا على المدينة[1]، فلذلك كان في بعض الأحيان يتلقى أوامره مباشرة من الداي، ومن وظائفه أيضا الإشراف على مجموعة من الموظفين منهم المزوار، والمحتسب[2].

الخليفتان

خليفة الكرسي وهو الخليفة الأول، وكان ينوب عن الباي في وهران بالجلوس على كرسيه، إذا خرج إلى الرعية أو تسليم الدنوش، والخليفة الثاني الذي يسمى خليفة الشرق، وهو الذي ينوب عن الباي في الخروج إلى الجهة الشرقية لأخذ الضرائب، ويتصرف الباي في هذه الأموال وفق مشيئته، كما يقوم هذا الخليفة بالذهاب إلى الجزائر، ويقال له خليفة الشرق[3]، وإذا كان للباي في عذر كالمرض، يبعث خليفة الشرق لتسليم الدنوش للداي الجزائر[4].

ومن المهام التي يقوم بها أيضا، قدومه مدينة الجزائر نيابة عن الباي، من أجل تقديم الدنوش الصغرى، مرتين في السنة في الربيع والخريف، كما يقوم بالإتصال بقياد البايلك، ورؤساء القبائل، وذلك من أجل الحصول على الضرائب والرسوم، ويعد هذا

---

[1] - شويتام، المرجع السابق، ص: 38 .

[2]- المرجع نفسه، ص: 39 .

[3] - المزاري، المصدر السابق، ج: 1، ص:272.

[4] - المصدر نفسه، ج: 1، ص:290 .

المنصب من المناصب المهمة في إدارة البايلك، فكان لا يتولاه إلا من كان مقربا من الباي، وفي بعض الأحيان يعين مباشرة من السلطة المركزية في الجزائر[1].

الوزيران

كان الباي محمد الكبير أول من قام بتقسيم المخزن إلى قسمين رئيسين[2]، وهما من العرب أحدهما الكبير ويسمى قايد أغا، ويسمى أيضا الأغا الكبير، ويكون في غالب الأحيان من الدواير، وهو يرأس قبائل الدواير ومجاهر وفليتة، وله جميع الجهة الغربية إلى وجدة ماعدا تلمسان وأحوازها، ويمتد حكمه إلى ثنية الحد، والوزير الثاني يكون من أعيان الزمالة، ويقال له قايد كبير، ويسمى أيضا بقايد الزمالة، الذي له دائرة صغيرة فيها خمسة أعراش، وهي الزمالة، والغرابة، واليعقوبية، ومجاهر، وحميان. وكان منصب أغا الدواير يشترى من الباي، فقبل أن يتولاه المزاري كان يبلغ عشرة ألاف فرنك، ولما تولاه وصل مبلغه إلى عشرين ألف. أما وظيفة هذين الوزيرين فتكمن في تلقي شكاوي القبائل ليتم عرضها على الباي، الذي يشاورهم كل في أمور إدارته، أو يجمعهما للمشورة[3]؛ ولأهمية هذين المنصبين وصفهما المزاري بقوله[4] "ولهما مدخل عظيم في ذلك، ولابد للباي من مشاورتهما ".

تولى رئاسة المخزن في عهد الباي محمد الكبير الأغا قدور الكبير ابن إسماعيل، وكان أغا الدواير في عهد الباي عثمان، هو عثمان بن إسماعيل بن البشير البحثاوي،

---

[1] - سعيدوني، ورقات جزائرية، ص: 243 .

[2] - المزاري، المصدر السابق، ج: 1، ص:299.

[3] - المزاري، المصدر السابق، ج: 1، ص:272.

[4] - المصدر نفسه، ج: 1، ص:273.

وقايد الزمالة هو قدور بن علي الثابت، ثم صار أغا الدواير بن عودة بن خدة وهو من أجواد غريس، أما في عهد الباي مصطفى فكان أغا الدواير عثمان بن إسماعيل ثم بن عودة ولد عدة البحثاوي ثم قدور الصغير بن اسماعيل[1]، ومن الزمالة محمد ولد قدور[2].

وكان أغا الدواير في عهد الباي المقلش الأغا قدور بن إسماعيل البحثاوي ثم قدور ابن شريف الكرطي، وبالزمالة محمد الوهراني الحنين، وعدة ولد محي الدين[3].

وعند تولي الباي مصطفى في المرة الثانية استمر الأغا قدور الصغير بن اسماعيل في قيادته لمخزن الدواير وكان قايد الزمالة محمد الوهراني بن قدور، وبقي نفس القائدين في رئاسة المخزن في عهد الباي بوكابوس، إلى أن قتلوا في الغزوة التي قاموا بها على قبيلة بني مناد، و تولى المزاري أغا الدواير في عهد كل من الباي قارة باغلي و الباي حسن، وكان قبل ذلك قايد بني مطهر[4].

قايد المرسى:

وهو أعلى رتبة من سائر القادة لكونه يتلقى مداخيل الميناء، من الضرائب الجمركية على السفن التي تدخل أو تخرج من الميناء، ويقوم أيضا بحراسته من الأعداء[5]. وكان يساعده بعض الأعوان أو الصرافين بتحصيل الجمارك في ميناء وهران، والمرسى

---

[1] - كان قدور الصغير ابن سماعيل في عهد الباي محمد الكبير سفيرا بين الباشا والباي، ثم قايد لبني مطهر، ثم رجع سفيرا بين الباي والباشا. ينظر: المزاري، مصدر سابق، ج:2ص: 302.

[2] - المزاري، المصدر السابق، ج: 1، ص: 309.

[3] - المصدر نفسه، ج: 1، ص:327 .

[4] - المزاري، المصدر السابق، ج: 1، ص:342.

[5] - المصدر نفسه، ج: 1، ص:290.

الكبير، وأصبح يفرض على كل سفينة ترسوا في الميناء 55 ريال، 40 منها لبيت المال، والباقي لقايد المرسى، وتفرض رسوم تقدر بـ 5 في المائة من البضائع الداخلة عبر الميناء من طرف المسلمين، و10في المائة على اليهود والأجانب[1].

الباش كاتب أو الكاتب العام:

هو الذي يكتب رسائل الباي، وكان له دفتر يسجل فيه أموال البايلك، كنقود الأحصنة، والبغال، و يختم رسائل الباي، كما يحرر رسائل الموظفين، و يشرف على ثلاث نواب يقومون بتحرير محاضر الجلسات والمراسلات بين الباي والخلفاء والقواد[2].

وكيل الباي:

يقوم بتقديم رسائل الباي إلى السيار، من أجل إرسالها إلى الداي، وكانت مهمته الرئيسية محاولة اكتشاف الدسائس، التي يمكن أن تحاك ضد الباي[3].

الباش سيار:

كان يحمل رسائل الباي إلى العاصمة، ويعود برسائل باشا الجزائر؛ ويساعده رجال المخزن في أداء مهامه في نقل هذه الرسائل، التي كانت تشمل تغطية مختلف مدن

---

[1] - دحماني، توفيق، النظام الضريبي لبايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني (1193 هـ /1779م -1246 هـ /1830م)، مذكرة الماجستير، جامعة الجزائر، ص ص: 90، 91 .

[2] - بوعزيز، مدينة وهران، ص ص: 48-49.

[3] - بوروبية، المرجع السابق، ص: 125.

البايلك[1]. وكان المزاري بن قدور قد عمل سيارا، في عهد الباي المقلش، وكان هذا المنصب من المناصب المعتبرة، كما يقول المزاري[2].

المناصب الإدارية الأخرى

إضافة إلى المناصب المذكوره، هناك مناصب لا ترقى في الأهمية للمناصب السابقة، وهي الباش سايس وهو المسؤول على حيوانات البايلك . وباش شاوش مكاف بتنفيذ الأوامر والأحكام الموجهة للأتراك، وكان يشرف على كتيبة تركية، وفرقة من فرسان المخزن، والكراغلة[3]

الحاشية العسكرية للباي

وتضم الحاشية العسكرية للباي خمسين فارسا تركيا، وهم الذين كانوا يرافقونه عند خروجه، ومن مهامهم جباية الأموال، والغرامات، والعشور من أنحاء البايلك. كما تضم المكاحلية الذين يبلغ عددهم خمسة عشر، وكان يرأسهم قائد، ويقومون بحراسة خزانة الباي بمساعدة الشواش[4]. الذين كان عددهم خمسة عشر، منهم خمسة أتراك، قائدهم باش شواش، وعشرة من رجال المخزن[5]. وهناك شواش يقومون بحراسة الباي ويبلغ عددهم

---

[1] - المرجع نفسه، ص: 123.

[2] - المزاري، المصدر السابق، ج: 2، ص:292.

[3] - يحي بوعزيز، مدينة وهران، ص: 48-49 .

[4] - بوروبية، المرجع السابق، ص: 123.

[5] - المرجع نفسه، ص: 116.

ثمانية ، لهم لباس خاص، أربعة من الأتراك يقومون بتنفيذ أوامر الباي في أحكام الإعدام، وأربعة من العرب للتقديم والتأخير، وضبط أحوال الباي وأموره[1].

الموظفين المشرفين على الخدمة الشخصية للباي

يشرف على الخدمة الشخصية للباي وإدارة القصر مجموعة من الموظفين، يسهرون على خدمته، ورفاهيته وأهله، وهم قايد المقصورة، ويعتبر بمثابة حاجب الباي، وكان يعتني بمسكنه الخاص. وقايد السيوانية الذي يحمل مظلة الباي أيام الحرارة والأمطار، وقايد السبسي، حامل غليون الباي، ويعد له حشيشة الدخان الخاصة به، وقايد الطاسة، الذي يحمل أدوات شرب القهوة وما يتناوله من مشروبات، وباش قهواجي، الذي يقوم بتحضير القهوة للباي وضيوفه بالقصر، وقايد الدربية، وهو بواب منزل الباي، ويكون من العبيد، وهؤلاء الموظفين يختارون من الأوربيين الذين اعتنقوا الإسلام، الذين يسمون بالعلوج، وكانت تعطى لهم الهدايا موسمية، مقابل القيام بمهامهم هذه، وهذا و تعويضا عن أجورهم[2].

قايد الدار[3]

ومن المناصب الإدارية المهمة التي كانت موجودة في مدينة وهران قايد الدار، وكان دوره يكمن في الحفاظ على أملاك الدولة، كما كان يوفر الحاجيات الضرورية

---

[1] - المزاري، المصدر السابق، ج: 1، ص:273.

[2] - سعيدوني ورقات جزائرية، ص: 246، بوعزيز، مدينة وهران، ص: 50.

[3] - وكان اللقب الذي يلقى عليه في مدينة وهران قايد البلاد، أما الجزائر وقسنطينة فكان يسمى قايد الدار وفي تلمسان كان يلقب بشيخ البلاد. ينظر: Benkada ibid,p: 93

للحامية العثمانية، المتواجدة في المدينة[1]. و كان له اتصال مباشر مع أمناء الحرف، فهو الذي يوصل مطالبهم وانشغالاتهم لدى سلطات البايلك. ويتسلم من أمناء الحرف الضرائب[2]. ومن مهام قايد الدار أيضا إشرافه على عقارات المدينة ومخازن الحبوب[3].

ومن وظائفه أيضا، إعطاء أجور الجيش، وتموين المساجد، وعمال المدينة، وكان يقضي في مختلف المنازعات، ويفرض الغرامات[4]، إلا أن هذا المنصب رغم أهميته، وخطورته، إلا أنه كان يشترى، وقد تكبر قيمة هذا المنصب أو تقل على حسب أهمية المدينة، وما يدره على صاحبه، إلا أن قيمته لا تقل عن عشر ألاف بوجو، وقد تصل ثلاثين ألف بوجو في بعض المدن المهمة[5].

الموظفين الذين يرأسهم قايد الدار

أما الموظفين الذين يخضعون لقايد الدار فهم:

قايد الباب: الذي كان مسؤولا على السلع التي تدخل المدينة، والتي يفرض عليها ضرائب الدخول، ويساعده في مهامه مجموعة من الموظفين، إضافة إلى كاتب خاص .

المحتسب: كان يراقب الأسواق وما فيها من السلع وقيمة أسعار البضائع، ويراقب الخضر، والفواكه، ويضمن إيفاء المكاييل والموازن، ويحرص على عدم التدليس

---

[1] - سعيدوني، الجزائر في التاريخ، ص: 21 .

[2] - المرجع نفسه، ص: 238 .

[3] - بوعزيز، مدينة وهران، ص: 48 .

[4]- Benkada, ibid, p: 93.

[5] - سعيدوني، ورقات جزائرية، ص: 245 .

والتزوير، ويساعد المحتسب في هذه المهمة، القاضي، والأمناء، فلذلك كان في اتصال مباشر بهم[1].

قايد القصبة: وكان مسؤولا على شرطة المدينة، وهذا المنصب يسمى في العاصمة بالمزوار[2]، ويقوم بمراقبة الأخلاق الاجتماعية، والآداب العامة في المجتمع، وله أعوان يساعدونه في ذلك، فكان له الحق في حجز المنحرفين، وينفذ فيهم الأحكام الشرعية، ويطبق العقوبات الجسدية، بالتعزير، والضرب، وقد تصل هذه العقوبة إلى درجة حكم الإعدام، ومن مهامه أيضا، المحافظة على أمن شوارع المدينة، وحراسة السجون[3].

البراح: الذي كان يبلغ الناس في الأسواق، والساحات العامة، حول أوامر قايد الدار، والباي، وكان يصحبه شاوش الباي[4]، و يقوم بإعلان القرارات، والأوامر الصادرة من إدارة البايلك، والأحكام الصادرة في حق المجرمين واللصوص[5].

باش حمار: كان مسؤولا على البغال، ويتولى تجهيزها عند الاحتياج لها في الحملات العسكرية وغيرها .

وكيل بيت المال: الذي كان يتصرف في المواريث التي لا صاحب لها، وكان يشرف على حفر القبور، وحمايتها، كما كان يقدم الإعانات للفقراء، والمساكين، وللقيام بهذه المهام كان الباي يضع تحت تصرفه مبلغا من المال من الخزينة العامة[6].

---

[1] - سعيدوني، ورقات جزائرية، ص: 238.

[2] - بوعزيز، مدينة وهران، ص: 51.

[3] - سعيدوني، ورقات جزائرية، ص: 239، 240؛ سعيدوني، الجزائر في التاريخ، ص: 19 .

[4] - بوعزيز، مدينة وهران، ص: 51.

[5] - سعيدوني، ورقات جزائرية، ص: 240.

[6] - بوعزيز، مدينة وهران، ص: 51 .

التنظيم الإداري للفئات الاجتماعية

كانت الفئات الاجتماعية المختلفة في مدينة وهران تخضع لتنظيم إداري، أما المناصب التي يشرف عليها قايد الدار، فهي بمثابة وسائط بين السلطة الحاكمة ومجتمع المدينة.

نقابة الأشراف: أما الأشراف فكانت لهم نقابة خاصة بهم، تدافع عن حقوقهم، وتقوم بتمثيلهم لدى الباي والسلطات التركية، ويتولاها ما يسمى بنقيب الأشراف، الذي كان من مهامه دراسة صحة نسب المنتسبين للشرف، وكان بعض المؤرخين الوهرانيين مثل المزاري، والزياني، يطلقون على نقيب الأشراف شيخ الجماعة، مثل الشيخ البحثاوي الحنفي في وهران، و الشيخ محي الدين بن مصطفى بن المختار في معسكر[1].

الجالية اليهودية: وكان مقدم اليهود هو الرئيس الإداري للجالية اليهودية بوهران، وهو في اتصال مع الباي، وقد كان المقدم يدفع ضريبة الجزية لشيخ البلد أو الباي[2].

فئة الحرفيين: انتظمت فئة الحرفيين في مدينة وهران على شكل نقابات وأمانات . فلكل حرفة ممثلها الذي يلقي عليه لقب الأمين، ومجموعة هؤلاء الأمناء يترأسهم شيخ البلد، أما دورهم فيتمثل في تسليم الرسوم والضرائب.[3]

الأوقاف والأحباس: هناك مجموعة من الموظفين يقومون بإدارة وتسيير مؤسسات الأوقاف والأحباس، مثل المساجد، والمدارس في مدينة وهران وهم.

---

[1] - Benkada, ibid, p: 87 .

[2] - ibid, p: 116 .

[3] - شرماط، عبد القادر، الاقتصاد والمجتمع في مدينة وهران مذكرة لنيل شهادة الماستر إشراف قبايلي هواري جامعة معسكر، ص: 59.

الشيخ الناظر: تتمثل مهامه في الإشراف على وكلاء الأحباس، فلذلك يجمع منهم مداخيل هذه الأحباس، لكي يقدمها إلى بيت المال، بعد أن يسجلها في دفتر خاص، وكان يتقاضى 40 ريالا[1].

الوكيل: الذي يشرف على الأحباس، ويقوم بصيانتها وتسيير مواردها، ويساعده مجموعة من الشواش، وكان يتقاضى أجره من عائدات الأوقاف[2].

التنظيم العسكري في المدينة

عرفت مدينة وهران بكثرة حصونها التي بناها الإسبان، فبعد تحرير المدينة استقرت بها الحامية التركية التي كانت من أكبر النوبات في الجزائر، وكانت تتشكل من عشر سفرات[3]، وتضم كل سفرة تسعة عشر من المشاة، وأربعة فرسان، ما مجموعه مائة وتسعون من المشاة، وأربعون من الفرسان، هذا إضافة إلى حوالي أربعة آلاف من فرسان المخزن، الذين كانوا يتواجدون على أبواب المدينة، وعند قصر الباي[4]، وكان قائد هذه المحلة يسمى الأغا، ويساعده في مهامه البلوك باشي، والاوده باشي، والسقفر باشي رئيس الطباخين، ووكيل الخرج المكلف بالتموين، وهؤلاء الموظفون المسؤولون على المحلة يسمون بديوان العسكر، ويتلقون رواتبهم كل على حسب رتبته، إضافة إلى الهدايا التي يمنحها لهم الباي[5]، وتشكل هذه الفرق المحلة العسكرية الموجودة في وهران، ترافق الباي

---

[1] - سعيدوني، ورقات جزائرية، ص: 239 .

[2] - المرجع نفسه، ص: 238 .

[3] - طابي معمر، المرجع السابق، ص: 43 .

[4] - بلبروات، المرجع السابق، ص: 269.

[5] - شويتام، المرجع السابق، ص: 48.

أثناء خروجه لجمع الضرائب من القبائل الموجودة في أرياف بايلك الغرب، مرتين في السنة، في فصلي الربيع والخريف[1].

وبهذا يتبين أن هذا الجهاز الإداري المتميز، كان مؤهلا ليسير ويراقب جميع المرافق الاقتصادية، والاجتماعية، في مدينة وهران، وما يلاحظ في هذا الجهاز أن هناك بعض المناصب الإدارية كانت لها أهمية كبيرة، خاصة قمة هرم هذا الجهاز، الذي يمثله الباي فقد تمتع بالصلاحية المطلقة في تسيير المدينة، وبايلك الغرب، ولكنها كانت محدودة في بعض الأحيان. ومن المناصب المهمة أيضا منصب قايد البلاد، المشرف على المصالح الاقتصادية والاجتماعية في المدينة .

[1] - المرجع نفسه، ص: 47 .

الفصل الثاني

الوضع السياسي والعلاقات الداخلية والخارجية

الفصل الثاني

الوضع السياسي والعلاقات الداخلية والخارجية

تمهيد

شهدت إيالة الجزائر في بداية القرن التاسع عشر عدة تحولات سياسية، واقتصادية وخاصة تلك الثورات التي ضربت أماكن مختلفة من الإيالة، والتي تميزت بالطابع الديني الوطني، وقد قادها السكان ضد السلطة العثمانية، والذين اعتبروها حكما ظالما؛ وحكم أقلية للأغلبية. لم تكن مدينة وهران بمعزل عن هذه التحولات، فقد شهدت ثورات واضطرابات سياسية، طيلة الثلث الأول من القرن التاسع عشر.

ولعل أن مدينة هران كان لها أهمية في محيطها الدولي الإقليمي، فقد ربطتها علاقات سياسية، واقتصادية، خاصة مع إسبانيا، والمغرب الأقصى.

المبحث الأول

الثورات بوهران وضواحيها

تمهيد

عرفت مدينة وهران خلال العهد العثماني عدة اضطرابات سياسية، وعسكرية، والتي كان أطراف النزاع فيها بايات وهران المتعاقبين، وهذا دفاعا على السلطة العثمانية، أما الطرف الآخر فهم أصحاب السلطة الدينية أو الطرق الصوفية، والمرابطون المتواجدون في بايلك الغرب، و لعل أخطر هاته الاضطرابات، كانت ثورة درقاوة، والتي قادها عبد القادر بن الشريف، والصراع السياسي القائم بين الباي حسن، والشيخ محي الدين.

ومن الأزمات السياسية التي عاشتها المدينة ثورة الباي بوكابوس، والتي لم تتسم بالطابع الديني، وكان غرضها الأساسي الاستقلال عن السلطة المركزية، لكنها فشلت.

1- المرابطون والسلطة التركية في مدينة وهران

المرابطون والطرق الصوفية هما السلطة الروحية للجزائريين، وهذا لما يقدمونه من خدمات اجتماعية، وتعليمية، وإرشادية، وقد جعل هذا علاقتهم بالسكان روحية ومتينة، عكس علاقة السكان بالسلطة العثمانية ، والتي غاب عليها التوتر فهم غرباء ولا تربطهم بالسكان سوى الولاء السياسي، وأداء الضرائب، وجباية الأموال[1]. أما بعض الطرق الصوفية فكانت علاقتها ودية مع السلطة، مثل الطريقة القادرية، إلا أن هذه المودة لم تستمر، وانتهت بمجرد استرجاع مدينة وهران من الاحتلال الاسباني، و توقف الجهاد الذي كان يقوده المرابطين، وتزامن أيضا مع تقلص النشاط البحري، وسنوات القحط،

[1] - العيد، مسعود، المرابطون والطرق الصوفية خلال العهد العثماني؛ مجلة سيرتا، جامعة قسنطينة ، ع 10 ؛ أفريل، ص: 14 .

والجفاف، التي مرت بها وهران، وبقية المدن، وأرياف بايلك الغرب.[1] فنتيجة لذلك شاب هذه العلاقة الشك، والتخوف.

هذا بخصوص علاقة الطريقة القادرية بالسلطة، أما الطرق الصوفية الأخرى، خاصة الدرقاوية، والتجانية منها، فقد دخلت في صدام عسكري استمر طيلة الربع الأول من القرن التاسع عشر. وبسبب هذه الثورات التي باءت بالفشل، قام بايات وهران بإعدام عدد كبير من المرابطين، والعلماء، المنتمين للطرق الصوفية، فتم إعدام محمد الصادمي، مرابط أولاد سيدي بن حليمة، والشيخ عبد ا بن حوا، والشيخ فرقان الفليتي، ولم ينجو منهم سوى محمد بن عبد ا بن سحنون، والشيخ محي الدين بن مختار[2].

وقد شهدت المصادر التاريخية أن من أقسى بايات وهران على رجال الطرق الصوفية كان الباي بوكابوس، إذ وصل به الأمر أنه كان يعاقب كل من وشي به دون التحقق في أمره، كما يقول المزاري، وكان يلقى على المتهمين صنوف مختلفة من أنواع العذاب، ولا يقبل فيهم شفاعة، فمنهم من كانت تدق أعضاءه حيا، ومنهم من كانت تقلع عينه، ومنهم من تقطع أعضاءه حيا، إلى أن يموت، ومنهم من يشنق،[3] ونتيجة لذلك فر الكثير من الثوار من المنتسبين للطرق الصوفية إلى المغرب الأقصى.[4]

ثورة درقاوة

---

[1] - شاطو، محمد، السلطة العثمانية في الجزائر و علاقتها بالطرق الصوفية: 1792-1830م، المواقف، العدد 03 ديسمبر2008 ، جامعة معسكر، ص: 159 .

[2]- شويتام، المرجع السابق، ص: 177 .

[3] - المزاري، المصدر السابق، ج: 1، ص:330.

[4] - أبو القاسم، سعد ا ، المرجع السابق، ج 1، ص:427 .

ينتسب ثوار درقاوة إلى الطريقة الصوفية الدرقاوية التي ترجع أصولها إلى الطريقة الشاذلية، أما الشيخ الذي ينتسبون إليه فهو الشيخ العربي الدرقاوي المغربي.

ظهرت هذه الثورة في عهد الباي مصطفى المنزالي،[1] الذي انهزم في معركة فرطاسة، حيث التقى جيش الباي بجيش ابن الشريف الدرقاوي، فانهزم هذا الباي، وتراجع إلى مدينة وهران، وقد قتل في هذه المعركة عدد كبير من رجال المخزن، وقادة رجال الدولة العثمانية، منهم كاتب الباي أحمد بن هطال، وأبو عبد ا أحمد الغزلاوي[2].

ثم واصل الثوار الدرقاويين إحكام سيطرتهم على معظم مدن بايلك الغرب، فاستولوا على معسكر العاصمة السابقة للبايلك، إضافة إلى مدن مليانة، ومازونة، والقلعة، وتلمسان[3]، وتم القضاء على الحاميات التركية الموجودة في هذه المدن[4]. ولم تسلم من هذه السيطرة إلا المدن الساحلية بما فيها مستغانم التي بقي جنود الأتراك محاصرين فيها[5]؛ ومدينة وهران التي انقطعت اتصالاتها بالمرسى الكبير[1]

حصار وهران

[1] - تولى هذا المنصب سنة 1800م، وظهر في أيامه ثورة عبد القادر بن الشريف الدرقاوي, وفي سنة 1801م، غزا أنكاد إلا انه انهزم أمامهم وتصفه المصادر بأنه كان جبانا، وبسبب ضعف الباي مصطفى في مواجهة ثورة درقاوة، عزله داي الجزائر، المزاري، المصدر السابق، ج 1، ص:301.

[2] - المزاري، المصدر السابق، ج 1، ص:305.

[3] - Lapene, ibid ,p: 12, Grammont (D), histoire d'Alger sons la domination turque 1515-1830, Paris, 1887, p: 365 .

[4] - Fey,ibid, p: 292 .

[5] - Estrahz (W), domination turque dans l'ancienne régence d'Alger ,libraire de Charles Gosselin,paris 1840, p: 203.

بعد انهزام الباي مصطفى المنزالي في معركة فرطاسة، رجع مسرعا إلى وهران، وتحصن بقصبة المدينة[2]، بينما ابن الشريف رجع لأهله وأنصاره في مدينة معسكر، ثم شرع في الزحف إلى مدينة وهران، من أجل الاستيلاء عليها، فعند قدومه إلى ضواحي المدينة، أطاعه جميع الناس خوفا منه، ونكل برجال المخزن، فاستولى على أملاكهم، وتطورت أحداث الثورة فانقطع الاتصال بين وهران، ومركز السلطة في الجزائر، وهذا لسيطرة الثوار على الطريق البري، التي تربط بين المدينتين إلا طريق البحر[3]. ونتيجة لذلك كان ابن الشريف متأكد من أنه أصبح في متناوله الاستيلاء على وهران ولن يجد أي مقاومة تعترضه، وقد اعتمد على أسلوب المفاجئة، ولكنه فشل في ذلك، لأن سكان مدينة وهران تأهبوا من أجل الدفاع عن مدينتهم[4].

وزاد الأمر تعقيدا بانهزام قوات الباي مصطفى المنزالي في بلاد المجاهر، في 13 ربيع الأول 1219هـ/22 جوان 1804م، التي كان يقودها خليفة الباي عدة بن فريح، الذي طرده سكان مازونة مع فرقه العسكرية، فبعد أن خرج من هذه المدينة قاصدا وهران هاجمته قبائل المجاهر، وأولاد خلوف، وسنجاسن، وبني زروال، و قضو على وحداته العسكرية، فهرب لاجئا مع ما بقي من عساكره إلى مستغانم، وكان بإمكان هذه القوات أن

---

[1] - Fey, ibid, p: 293.

[2] - Lapene, ibid, p: 12 .De Grammont, ibid, p: 365 .

[3] - المزاري، المصدر السابق، ج 1، ص:309.

[4] - Dechaud(E), Oran son port son commerce, publie sous les auspiges, Oran, 1914, p: 44.

تغير الأوضاع في مدينة وهران، وبهذه الهزيمة زادت الأمور تعقيدا، وتواصلت مدة الحصار[1].

أما عن الأوضاع التي كانت تعيشها المدينة أثناء حصارها، فيكاد المؤرخ الفرنسي فاي ينفرد بذكر تلك الأحداث، الذي يذكر أن الباي مصطفى المنزالي أغلق أبواب المدينة وبنى عليها أسوار، وشلت القوات العسكرية المتواجدة في المدينة، وقد تخوف الباي من انقلاب السكان عليه، وأحس أن هناك صراع على وشك الوقوع بين سكان المدينة والأتراك، ووجد نفسه غير آمن فأصبحت تصرفاته غير مفهومة، فأغلق على نفسه في داخل أحد منازل قصبة المدينة، وحصن نفسه فيها، وكان لا يخرج منها، وبقي هناك مع القليل من خدمه، وخواصه، ووضع وحدات عسكرية تحاصر القصبة، من أجل حمايته، ثم وجه المدافع على بعض السكنات، مهددا بتحطيمها إذا تجرؤوا بفتح أبواب المدينة، أو تآمروا مع الفرق العسكرية المقيمة عند أبواب المدينة، ونتيجة لهذا الوضع حدثت معركة في طرقاتها ، تغلب فيها سكانها على الفرق التي تحمي القصبة، وأرغموهم على البقاء في ثكناتهم، هذا ما دفع العلماء والأعيان من أجل اتخاذ الإجراءات المناسبة، فذهبوا للباي، وطلبوا منه أن يوضح لهم سبب هذه التصرفات التي يقوم بها، واعتبروها قاسية، ومجحفة، وفي غير محلها، وبينوا له أن قد بالغ في خوفه، وتردده، لأن ابن شريف لا يستطيع الاستيلاء عليها، لأنه لم يكن يملك الأسلحة الكافية، بما فيها المدفعية[2].

وهذه الأحداث التي جرت في المدينة أثناء حصارها، انفرد بها المؤرخ الفرنسي فاي، ولم تذكرها المصادر الوهرانية المعاصرة للحدث، فضلا عن المصادر الفرنسية الأخرى، فلذلك لا يمكن التأكد من مدى صحتها.

---

[1] - Fey, ibid, p: 295.

[2] - Fey, ibid, p p: 293- 294 .

ومع استمرار هذا الحصار، اضطر داي الجزائر في البداية إرسال مستشاره علي أغا لقتال ثوار درقاوة، وفك الحصار، فخرج من العاصمة من طريق البر، فتعرض له الثوار في نواحي وادي شلف، وحاصروه ومنعوه من شرب الماء، فكاد يهلك هو وجنده، فاستجار بشيخ العطاف، فمنعهم عنه بمقابل مال يدفعه إليهم، فتراجع على إثر ذلك إلى مدينة الجزائر[1].

وقد واصل الدرقاوي حصاره وهران حتى نفذت أقوات أهل المدينة. ويصف لنا المشرفي أثار هذا الحصار فيقول: " فحصر الملك في ثغر وهران...وانسدت طرق البر للجزائر، فلم يأته إلا في البحر الخبر الزائر، وانقطع عليه المدد"[2]. ويختلف المؤرخون في مدة هذا الحصار فيقول لابان أن مدته دامت ستة أشهر[3]، بينما يقول دونوغو أنه لم يمكث إلا شهرين[4]، في حين أن فاي يقول أنه دام ثمانية أشهر[5]، بينما يذهب المؤرخ الجزائري المشرفي إلى أبعد ذلك، ويرى أن هذا الحصار دامت مدته سبع سنوات[6]، ويبدو أن هذا القول مبالغ فيه كثيرا، ولعله يقصد بهذه المدة الطويلة مدة الثورة الدرقاوية في بايلك الغرب. ويظهر للباحث أن القول الأقرب للصواب، هو قول لبان وفاي، الذي تترواح فيه

---

[1] - الجزائري، الامير محمد باشا بن عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر ، تحقيق، ممدوح حقي، الجزائر، دار ثالة، ج:1، ص: 148، الزهار، المصدر سابق، ص: 84 .

[2] - المشرفي، العربي بن عبد القادر، الحسام المشرفي، تحقيق: عبد الحق شرف، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، ص: 390.

[3] - Lapene , ibid, p:12.

[4] - دو نوقو ،ادوارد، الإخوان، دراسة اثنولوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر، ترجمة: كمال فيلالي، الجزائر، دار الهدى، ص: 95 .

[5] - Fey, ibid, p:296.

[6] - المشرفي، الحسام المشرفي، ص: 390 .

مدة الحصار بين ستة وثمانية أشهر، لأن السكان تعرضوا لضائقة شديدة في التمويل بالأغذية، أما المدة التي عرضها دونغو فلا يكون السكان قد تعرضوا لتلك الضائقة.

ولعل أن سبب طول حصار المدينة، يرجع إلى تأخر وصول الإمدادات من العاصمة، لانشغال داي الجزائر بالأحداث التي كانت في شرق الإيالة الجزائرية[1]. وعلى إثر ذلك لجأ الداي إلى تغيير باي وهران مصطفى المنزالي[2]، بسبب تردده في فك حصار ومحاربة الدرقاويين[3]، ويعين محمد المقلش الذي كان مقيما في مدينة البليدة، فاستدعاه إلى العاصمة، وبين له الحالة التي تعيشها وهران، وأنها على وشك السقوط في يد الثوار، وعينه كباي جديد، فلذلك ذهب إلى وهران برفقة 1150 جندي[4]، وخمسين خيمة تركية[5]؛ تركية[5]، عن طريق البحر، فنزل جيش الأتراك في ميناء مدينة المدينة[6]، وكان أول ما قام قام به أن ألقى القبض على الباي المعزول، وأرسله إلى العاصمة[7].

بعد أن جمع الباي المقلش قواته العسكرية من الأتراك، وجنود المخزن التي كانت متواجدة في البلانصة[8]، إضافة إلى الكراغلة، ورفع معنويات السكان وجنوده[1]، كما

---

[1] - Estrahzy, ibid, p:203.

[2] - ibid, p:105.

[3] - دو نوقو، المصدر نفسه، ص: 95.

[4] - Estrahzy, ibid, p:105.

[5] - بورويبة، المرجع السابق، ص: 115.

[6] - بن عبد القادر، مسلم، أنيس الغريب والمسافر في تاريخ بايات وهران، تحقيق، رابح بونار، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1974، ص: 96.

[7] - بورويبة، المرجع السابق، ص: 115.

[8] - Lapene, ibid, p:12.

استعان بثلاثة مدافع[2]، ففتح أبواب المدينة الخمسة[3]، وفاجأ الدرقاويين بالهجوم عليهم دون يعطيهم الوقت من أجل التهيؤ للدفاع عن أنفسهم، وأمام هذه الهجمة المفاجئة والقوية تشتت جموع الثوار، فعلى إثر ذلك، فر ابن شريف مع من بقي من جنودة إلى منطقة سيق في ضواحي مدينة معسكر[4]، واستطاع الباي المقلش بذلك أن يبعد العدو عن أسوار المدينة[5]؛ كما استولى على الغنائم التي تركها الثوار، من جمال، وأحصنة، وأمتعة أخذها إلى وهران[6]. وبشجاعة وإصرار الباي المقلش قلص من مدة التمرد الدرقاوي، التي لم تدم حسب قول المؤرخ الفرنسي غارمون سوى أربع سنوات[7].

دور الشيخ العربي الدرقاوي في فك الحصار عن وهران

يذكر المشرفي أنه عند حصار وهران، بعث داي الجزائر إلى السلطان سليمان، الذي قال فيه: "إن أسلافكم ملوك الدولة العلوية مع ملك الدولة التركية، كانوا يدا واحدة، لا تشاجر بينهم، غير أن هذا القائم علينا درقاوي الوسيلة، وشيخه من إيالتكم بجبال بني زروال، وهو الذي يمده بطائفته، فرأس الحية عندكم، وذنبها عندنا". فاستجاب السلطان لهذا الطلب، فتكلم مع الشيخ العربي الدرقاوي[8]، وقام بإرساله في سفارة رسمية إلى

---

[1] - Estrahzy, ibid, p:205.

[2] - Lapene, ibid, p:12.

[3] - المزاري، المصدر السابق، ج 1، ص:311 .

[4] - Lapene, ibid, p:12.

[5] - بورويبة، المرجع السابق، ص: 115.

[6] - Lapene, ibid, p:13.

[7] - Grammont, ibid, p:366.

[8] - المشرفي، الحسام المشرفي، ص: 395 .

الجزائر، من أجل الصلح مع الثوار، ففعل ذلك، وجاء ومعه الطاهر بادو المكناسي[1]؛ وصحبه ما يزيد عن مائة من أتباعه، ومريديه، من أجل إخماد هذه الفتنة[2].

وبهذا الخصوص لا تشير المصادر الفرنسية التي تكلمت عن الثورة الدرقاوية عن دور الشيخ الدرقاوي في فك الحصار عن المدينة، وإقناع مريده وتلميذه ابن الشريف في التراجع عن هذا الحصار، وحرب الأتراك، هذا الدور الذي تكلمت عنه كل من المصادر المغربية، والوهرانية التي اختلفت في طبيعة هذا الدور، فهناك من قال أنه كان للشيخ دور ايجابي في فك الحصار، بينما القول الأخر فيرى أنه زاد من تأجيج الصراع بين الأتراك والدرقاويين.

فيذكر المشرفي أن الدرقاوي نجح في مهمته بعد أن لبى دعوة السلطان لهذه المهمة الدبلوماسية، فذهب للشيخ ابن الشريف فوجده في أحسن حاله، ممتثلا للسنة مجانبا للبدعة، وملتزم بتعاليم الطريقة، واستجاب له بفك الحصار عن المدينة، والتوقف عن حرب الأتراك، فقال المشرفي عن استجابة ابن الشريف لشيخه بقوله : "وحين خاطبه شيخه لم يظهر تمنعا، بل صد عن الدنيا، وهي تطلبه ... ففرق المحال، وفارق المحال وأناخ مطيته... واشتغل بالتهجد وعوارف التحقيق"[3].

بينما ينقل الناصري أنه عند مجيء الدرقاوي عند ابن الشريف شكا له ما ناله الدرقاويين من ظلم الأتراك، وجورهم، فأيد الشيخ رأي ابن الشريف، فزاد غضب القبائل

---

[1] - الناصري، احمد بن خالد، الاستقصا في أخبار المغرب الاقصى تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء ، المغرب، دار الكتاب، ج: 3 ص 439 .

[2] - الصغير، عبد المجيد، خصوصية التجربة الصوفية في المغرب مفاهيم وتجليات، القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع، مصر، 2011، ص: 110.

[3] - المشرفي، الحسام المشرفي، ص: 395 .

على الأتراك، وبذلك فشلت مساعي الشيخ العربي الدرقاوي من أجل الصلح، فلجأ الباي إلى استعمال المدافع من أجل فك الحصار عن المدينة، فانهزم الثوار الدرقاويين[1].ويرد المشرفي على هذا الاتهام، من خلال رده على الكنسوس المراكشي، صاحب كتاب جيش العرمرم الخماسي الذي اتهم فيه الشيخ العربي الدرقاوي، وقال انه لما بعثه السلطان سليمان لإطفاء نار الفتنة أوقدها[2].

ومن خلال المصادر الوهرانية، يذكر الزياني أنه عند مجيء الشيخ الدرقاوي لابن الشريف، شجعه على مواصلة حصار المدينة، والاجتهاد في فتحها، ولكنه تراجع عن هذا الأمر، عندما رأى فساد جيوش ابن الشريف، وسمع الأذان في مدينة وهران، وقد كان يظن أن الأتراك لا يصومون، ولا يصلون، ولا يتبعون الشرع، كما قال له ابن الشريف، فلذلك تراجع عن أمره له بالاستيلاء على المدينة، وغضب منه لكذبه عليه ففارقه وقد قال له "إن الجهاد فيك وفي قومك جائز، لا في أهل وهران، ولاشك أن الدائرة عليك لا لك... وهذا فراق بيني وبينك، وإني بريء مما أنت مرتكبه"[3]، ويوافق المزاري الزياني في قوله فقال إن الشيخ الدرقاوي تراجع عن أمر ضرب المدينة بعد أن أزعجه قتال المخزن، وما فيه من الأعيان[4].

ومن خلال هذا الرد، يتبين أن هناك اختلاف كبير بين المؤرخين في النتائج حققها الشيخ الدرقاوي بالمهمة الدبلوماسة التي فوض بها من قبل السلطان المغربي سليمان،

---

[1] - الناصري، المصدر السابق، ج: 3، ص: 439 .

[2] - المشرفي، الحسام المشرفي، ص: 395.

[3] - الزياني، المصدر السابق، ص ص: 212، 213 .

[4] - المزاري، المصدر السابق، ج 1، ص: 311.

ولعل أن هذا الخلاف تحسمه الوثيقة التي أظهرها أحد الباحثين[1]، والتي تؤكد أن الشيخ العربي الدرقاوي لم يلقى صعوبات كبيرة في إعادة الأمن، وفك الحصار عن مدينة وهران، فقد امتثل له ابن الشريف ففرق جموعه، وفي هذه الوثيقة أيضا، أوصى ابن الشريف الأتراك بالرعية خيرا، وقال أنه "ردني عنكم شيخ التربية - يقصد الدرقاوي - وإلا فلا أفارق رحاب تلك الأفنية...أعمى الناس بغيكم...رفعت يدي عنكم حين تمت النهاية، فأنا أعرضت عن الرياسة، وطاوعت شيخي في الخمول، وإن أحسنتم إلى الرعية أحسنتم إلى أنفسكم، وإن أسأتم فلها"[2]. وبالتالي كف الدرقاويين عن الثورة، مقابل كف أذى الأتراك عن السكان[3].

إلا أن هذه الوثيقة تدخل الباحث في مجموعة من التساؤلات، التي محورها طبيعة العامل الأساسي لفك الحصار عن مدينة وهران، هل ترجع لجهود الباي المقلش بهجومه على المحاصرين؟ أم أن فك هذا الحصار كان طواعية من قبل ابن الشريف بعد أن طلب منه شيخه ذلك؟

مواصلة الحروب بين الثوار وبايات وهران

ويمكن القول أنه بعد هذا الفشل في اقتحام وفتح مدينة وهران، تدخل الثورة الدرقاوية في مرحلتها الثانية، وهي مرحلة الانهزامات المتتالية والنهاية، فقد ثارت قبيلة

---

[1] - يتعلق الأمر بالباحث المغربي عبد المجيد الصغير في كتابه خصوصية التجربة الصوفية في المغرب مفاهيم وتجليات.

[2] - نقلا عن وثيقة عبد المجيد الصغير الموجودة بالخزانة العامة بالرباط رقم 1492، وهي تحمل عنوان رسالة إلى والي الجزائر إلى سلطان المغرب.

[3] - الصغير، المرجع السابق، ص: 113 .

الغرابة.[1] على الدرقاويين فهزمتهم من أجل أخذ الثأر منهم، بعد مقتل رجالهم، ونساءهم، وكذلك ثارت عليهم قبائل البرجية،[2] وبني شقران، فهزموهم، وغنموا منهم غنائم كثيرة، وعلى إثر ذلك فروا إلى مدينة معسكر، التي كانوا قد استولوا عليها من قبل، فمنعهم أهلها من دخولها، فقبض سكان هذه المدينة على أهل قائد درقاوة، عبد القادر بن الشريف، ورجاله فسجنوهم[3].

ولما وصلت أنباء هزيمة الدرقاوي إلى الباي على يد هذه القبائل، جمع جيشه من رجال المخزن، والأتراك، من أجل القضاء النهائي عليهم، فخرج إلى مدينة معسكر، وانتظر بها أياما ليتقصى الأخبار، وفي أثناء ذلك جمع ابن الشريف جيشا، بعد أن تحالفت معه قبائل المجاهر، وبني عامر، لمواصلة حروبه، فلما بلغ الباي ابن المقلش ذلك أصابه القلق، فاستشار رجال مخزنه، فأشار عليه البعض بالرجوع إلى وهران، وأشار عليه قدور ابن إسماعيل بلقاء العدو، بعد أن يتحالف المخزن مع قبائل الغرابة، والبرجية، فوافق الباي على هذا الرأي، فلقوا جيش الدرقاوي فهزموه. ثم واصل الباي في اللحاق بفلول القبائل الثائرة .

ومن الهزائم التي ألحقها الباي المقلش بالدرقاوي، هزيمة قرية سيدي امحمد ابن عودة، فنكلوا برجال الدرقاوي، فأسروا، وسبوا، وغنموا، ومن هزائم الدرقاويين أيضا،

---

[1] - الغرابة، ويطلق عليهم لفظ العبيد، أو عبيد البخاري، الذين جاءوا مع السلطان إسماعيل عندما غزا الغرب الجزائري 1100- 1700م وقد بقيت من خلفة فلول جيشه التي شكلت هذه القبائل، وتنقسم إلى العبيد الشراقة، وموقعهم شمال سيق، وعبيد الغرابة بين واد المقطع وبوقيراط، وتضم ثمانية اعراش وهم الورارذية، والعلايمية، والخدايمية، والوناونية، والسهايلية، والمحاميد، والعوايلية .

[2] - البرجية، قبيلة مخزنية تتشكل من مجموعة من الأعراش وهي البلاغة والنقايبية، وسجرارة، والحوارث، والخلافة وكانت رئاسة البرجية بين النقايبية والبلاغة، وموقعهم في مدينة البرج وضواحيها قرب معسكر. ينظر: المزاري، المصدر السابق، ج2، ص:325.

[3] - المزاري، المصدر السابق، ج 2، ص:312 .

هزيمة بني مرانن، وهزيمة أولا الزاير، التي تحالف فيها ابن الشريف مع بني عامر ثانية، ولقد انتصر الباي في هذه المعركة، انتصارا كبيرا، فجمعت رؤوس قتلى الثوار، التي بلغ عددها ستمائة، فبعثها إلى الداي الجزائر[1]. ثم واصل الباي حروبه معهم، فهزمهم في عدة مواضع ، إلى إن عزله داي الجزائر.

وفي عهد مصطفى المنزالي في فترته الثانية، واصل حروبه مع الثوار، وتفوق عليهم، ولكن عزله داي الجزائر، وعينه خزناجيا، وعين في مكانه، محمد الصغير بن عثمان الملقب ببوكابوس، وقد واصل أيضا حروبه مع درقاوة، وتتبع أثارهم، وقال عنه بن عبد القادر: " إذ أراد هلاك الرجل، ينسب إليه ذلك، ومهما دخل إليه أحد منسوب إليه ذلك، وإلا فعل به ما فعل، ولا يقبل شفاعة شفيع."[2] وبذلك استعمل أسلوب الاستبداد في مقاومة معارضيه[3].

وفي عهد الباي قارة باغلي تختفي أنباء ابن الشريف وثورته. وهناك من يقول أنه توفي بالطاعون في المغرب الأقصى، وبذلك تنهي هذه الثورة، التي دامت طويلا وشغلت أغلب بايات وهران.

ثورة الباي بوكابوس

وقعت هذه الثورة عقب الخلاف والصراع بين تونس وإيالة الجزائر، التي اضطرت للدخول في الحرب معها. فأرسل داي الجزائر للباي بوكابوس من أجل الالتحاق بهذه

---

[1] - المزاري، المصدر السابق، ج 2، ص ص:313 ، 321.

[2] - بن عبد القادر، المصدر السابق، ص: 97.

[3] - المصدر نفسه، ص: 99 .

الحرب، فاستجاب لذلك فجهز جيشه، وفي طريقه للجزائر في وادي يلل، تراجع عن قراره فرجع إلى وهران، وأعلن تمرده وثورته على السلطة المركزية[1].

وهناك اختلاف كبير بين المؤرخين عن الأسباب الفعلية التي دفعت الباي بوكابوس للقيام بهذه الثورة، وعدم مشاركته في حملة تونس، فيرجع المؤرخ الجزائري الزهار[2] إلى أن الباي بوكابوس رفض المشاركة في حملة تونس، لوجود صراعات وخلافات مع عمر أغا، بسبب قتل الباي لأخيه. بينما يذهب حمدان خوجة[3] أن سبب الرفض، يعود إلى أن باي تونس كان كرغليا مثله، وكان هذا الاتهام قد وجهه إليه داي الجزائر.

أما في المصادر الفرنسية، فيرى المؤرخ لابان[4] أن بوكابوس لم يكن له إلا خيار الثورة أو انتقام الداي، فاختار الثورة، وقد وافقه المؤرخ استرازي في هذا القول[5]، أما المؤرخ المغربي الرباطي[6] فيذهب برأيه إلى أبعد من ذلك، فيرجع سبب ذلك، إلى خوف

---

[1] - بن عبد القادر، المصدر السابق، ص: 104، الزياني، المصدر السابق ص: 231 ، الزهار، المصدر السابق ص: 107 .

[2] - الزهار، المصدر السابق، ص ص: 107-109 ، بلحميسي ، الثورة على الأتراك، مجلة الثقافة، الجزائر، ص:48.

[3] - خوجة، ابن عثمان حمدان; المرآة، ترجمة، محمد العربي الزبيري، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر، 1982م، ص: 172.

[4] - Lapene, ibid, p:17.

[5] - Estrahzy, ibid, p:212.

[6] - الرباطي، محمد الضعيف، تاريخ الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، تحقيق:أحمد العماري، الرباط، دار المأثورات، 1986م، ص: 377 .

الباي من حركة ثوار درقاوة الاستيلاء على وهران. بينما يرى المؤرخ الفرنسي فاي أن قيامه بإعلان هذه الثورة كان تصرفا غريبا ومشوشا وغير مفهوم[1].

وعلى كل ففي ربيع سنة1228هـ/1813م أمر بوكابوس بقتل جميع الأتراك[2] أينما وجدوا[3]، في الحاميات العسكرية ببايلك الغرب، في وهران، ومعسكر، ومستغانم، وتلمسان، وقد بلغ عدد قتلى الأتراك حوالي 350 قتيل،[4] ومن بينهم أخ عمر أغا[5] وقتل من لهم قرابة بالأتراك، ولو من أصهاره، وكان قد أمر بني عامر بقتل الأتراك الموجودين بمحلتهم[6]، وأوقف عدد كبير من أعيان هذه المدن وأدخلهم السجن[7]؛ وقد نجا نجا البعض من هذه المذبحة فلجأوا إلى المراكب الاسبانية، المتواجدة في المرسى الكبير، وكان عددهم17[8]، وهرب عدد قليل منهم إلى الجزائر[9]، كما فر خليفة الكرسي صهر الباي بوكابوس، علي قارة باغلي مع من معه من الأتراك إلى مدينة مازونة، وتحصن

---

[1] - Fey, ibid, p: 303 .

[2] - دودو، أبو العيد، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1989، ص: 62.

[3] - بن عبد القادر، المصدر السابق، ص: 104 .

[4] - دودو، المرجع السابق، ص: 62، بلحميسي الثورة على الأتراك، ص: 45، المزاري، مصدر سابق، ج1، ص:336

[5] - الزهار، المصدر السابق، ص 107 ، دودو، المرجع السابق، ص: 62 .

[6] - المزاري، مصدر سابق، ج: 1، ص: 337. الزياني، المصدر السابق، ص: 232.

[7] - Fey, ibid, p:303.

[8] - بلحميسي، الثورة على الأتراك، ص: 41 .

[9] - دودو، المرجع السابق، ص: 62 .

بأهل المدينة.[1] واستعان بوكابوس بالكراغلة من أجل التحالف معهم لمواجهة قوات الداي، وأعطاهم ضمانات على ذلك وامتيازات[2]، ثم قام بالخروج إلى مختلف مناطق البايلك من أجل ضمان وقوف شيوخ القبائل إلى جانبه في هذه الثورة[3].

وفي هذه الأثناء انهزمت القوات الجزائرية في حربها مع تونس، على الجبهتين البرية والبحرية، فاضطروا للانسحاب إلى قسنطينة[4]، وكان هذا سببا في حقد وغضب الداي على بوكابوس لعدم التحاقه بالجيش[5]، فصب عليه غضبه[6]، فلم يتأخر في إرسال الأغا عمر مع القوات التركية، التي كان قوامها 50 خيمة، و1150رجلا على طريق البر، وسفينة حربية كما أشار إلى ذلك لبان[7]، أو ثلاثة مراكب قرصان كما يقول الزهار[8]؛ الزهار[8]، أو فرقاطة[9] حربية يقودها الوكيل الملا أحمد في تعبير فاي[10]، ويجب التوضيح التوضيح بأن هذه القوات البحرية توجهت إلى ميناء وهران تحمل عددا من الجنود من

---

[1] - المزاري، المصدر السابق، ج: 1، ص: 337، الزياني، المصدر السابق، ص: 232، بلحميسي، الثورة على الاتراك، ص: 47.

[2] - Estrahzy, ibid, p:213.

[3] - دودو، مرجع سابق، ص: 62 .

[4] - Lapene, ibid, p:17.

[5] - Estrahzy, ibid, p:212 .

[6] - ibid, p: 213.

[7] - Lapene, ibid, p:17.

[8] - الزهار، المصدر السابق، ص: 107 .

[9] - الفرقاطة هي نوع من أنواع السفن الحربية، التي كانت مشتهرة في ذلك العصر.

[10] - Fey, ibid, p:303.

أجل محاربة الباي بوكابوس، وعزله[1]. وبذلك قد وجه الداي قوات بحرية، و أخرى برية، برية، من أجل القضاء على هذه الثورة[2].

وأثناء تواجد بوكابوس بمليانة علم بمسير الأغا عمر الذي كان يتقدم بسرعة، فأثناء محاصرته مينا، تراجع عن القتال، وتخلى عن بعض ممتلكاته، ورجع مسرعا بمفرده إلى وهران[3]، ولما وصل الملا أحمد إلى مينائها، لجأ بوكابوس إلى البرج الأحمر، وأغلق أبوابه وهدد بنسف الذخيرة[4]؛ لتفجير المدينة، فيهلك هو وسكانها.[5] وأمر بطرد رسول الداي[6]، فخاف السكان وهرب بعضهم[7].

وتشير الرواية المحلية أنه رجع إلى وهران ومعه جنود مخزنه الذين تظاهروا بموافقته, من أجل تجنب القتال، التي ستكون مع التونسيين،[8] خديعة له ويقضوا عليه عند دخولها[9]، وأثناء ذلك انقلب عليه رجال المخزن، وكبار رجال دولته.[10]

---

[1] - بن عبد القادر، المصدر السابق، ص: 104.

[2] - المصدر نفسه، ص: 104.

[3] - Lapene, ibid, p:17, Estrahzy , ibid, p:213,fey , ibid, p:303.

[4] - Estrahzy, ibid, p:213 , fey, ibid, p:303.

[5] - المزاري، المصدر السابق، ج 1، ص:337.

[6] - Lapene, ibid, p:17 .

[7] - الزياني، المصدر السابق، ص: 232 ، المزاري، المصدر السابق، ج 1، ص:337.

[8] - بن عبد القادر، المصدر السابق، ص: 104 .

[9] - الزياني، المصدر السابق، ص: 232 ، بن عبد القادر، المصدر السابق، ص: 104.

[10] - بن عبد القادر، المصدر السابق، ص: 104.

وبعد لجوئه إلى البرج الأحمر وتهديده بنسف الذخيرة، ذهب إليه أعيان المدينة[1]؛ والعلماء بأيديهم المصاحف، وصحيحي البخاري، ومسلم، وطلبوا منه عدم القيام بذلك، ووعظوه بالتسليم لقضاء ا ، فاستجاب لهم، وبعد قليل قبض عليه رجال المخزن[2]، حيث كان يضع فيهم ثقته من أجل تكوين فرق عسكرية لحمايته، وسلموه للقوات التركية[3]. التي التي نزلت بميناء وهران[4]. وكاتب رجال المخزن والأعيان عمر أغا بفعلهم[5]. ويصرح الزهار أنه قبل وصول عمر أغا كاتب إلى دائرته من أجل إلقاء القبض على الباي بوكابوس[6]. فلما دخل المدينة أودعه السجن، ثم توجه إلى مختلف مناطق البايلك، للقضاء على الموالين له[7].

وبخصوص مفاوضات تسليم الباي، فتقول الروايات الفرنسية خلافا لما نقلته المصادر الوهرانية أن مستشار الباي الخوجة مصطفى بن جلول، هو الذي تفاوض مع بوكابوس بعدما أن أمره الأغا عمر بهذه المهمة، ولكن قبل دخوله حاف بن جلول على صحيح البخاري ووعد بوكابوس بعدم تسليمه[8]، ولكنه أخبره بأنه ارتكب أخطاء كبيرة لا

---

[1] - المزاري، المصدر السابق، ج 1، ص:337.

[2] - الزياني، المصدر السابق، ص: 232 ، دودو، المرجع السابق، ص: 62، المزاري، المصدر السابق، ج: 1، ص337.

[3] - دودو، المرجع السابق، ص: 62 .

[4] - المزاري، المصدر السابق، ج 1، ص: 337، بن عبد القادر، المصدر السابق، ص: 104.

[5] - بن عبد القادر، المصدر السابق، ص: 104 ، الزياني، المصدر السابق، ص 232 .

[6] - الزهار، مصدر سابق، ص: 107 .

[7] - المزاري، مصدر سابق، ج 1، ص:338 .

[8] - Estrahzy, ibid, p:213 .

تغتفر بخروجه عن طاعته للداي، وقتله للأتراك، ومحاولته ضرب المدينة. وأقنعه بعدم جدوى المقاومة، وبأن أنصاره قد تنازلوا عن نصرته، فاقتنع وسلم نفسه للخوجة، وأمر باعتقاله وربطه بالسلاسل، فدخل عمر أغا، والملا أحمد، و ألقوا القبض عليه وذهبوا به إلى سوق المدينة[1].

وقبل دخول عمر أغا لوهران، نصب علي قارة باغلي بايا على بايلك الغرب، والذي كان متواجدا في مازونة، وألبسه القفطان المعد لهذا المنصب[2]، ثم توجه إلى وهران فلما دخلها وجد بوكابوس في السجن، فتوجه إلى مناطق البايلك ليتفقد الرعية[3]، ثم قصد جبال ترارة، التي كانت تتواجد بها دار ابن الأحرش، والتي أمر بهدمها. ثم توجه بعد ذلك إلى قبائل الحشم بمعسكر، فأمر بقتل أنصار الباي بوكابوس[4]. وألقى القبض على الثوار العرب الذين تحالفوا مع هذا الباي[5]. ثم رجع إلى وهران، وذهب للباي فسأله عن مكان وجود أمواله فلم يخبره[6]، وهذا ما جعله يعجل بقتله[7]، وذبح أولاده الذين هرب

---

[1] - Lapene, ibid, p: 18, fey, ibid, p: 304, Estrahzy, ibid, p:214 .

[2] - المزاري، مصدر سابق، ج: 1، ص: 336.

[3] - بن عبد القادر، المصدر السابق، ص 105 .

[4] - المزاري، المصدر السابق، ج 1، ص:338 .

[5] - دودو، المرجع السابق، ص62 .

[6] - الزهار، المصدر السابق،ص:107.

[7] - المزاري، المصدر السابق، ج: 1ص 338 .

البعض منهم[1]، ثم سلخه، و تم حشو جلده قطنا، وأرسله إلى داي الجزائر، فعلقه على باب جديد بالعاصمة.[2]

ثورة الباي بوكابوس والمساعدات العسكرية الاسبانية

إن المصادر التي في متناول الباحث سواء كانت فرنسية أو جزائرية، لا تشير إلى أي علاقة اتصال أو تعاون بين بوكابوس واسبانيا وانجلترا، بينما الوثائق التي اكتشفها بعض الباحثين[3] تبين هذه العلاقة، وبذلك يكون بوكابوس قد أسس لمشروع ثورته طمعا في هذه المساعدات، بعد سلسلة من الاتصالات، وهكذا لا يمكن أن تكون هذه الثورة حادثا عرضيا كما تبينه المصادر، أو أنه خاف من انتقام الداي فأعلن الثورة، كما تشير بعض المصادر الفرنسية، إنما هي عملية مدبرة كانت تنتظر الوقت المناسب لإعلانها، فاختار ظروف انشغال قوات إيالة الجزائر في الحرب مع تونس.

وقد كان أمل بوكابوس كبيرا في أن يتلقى الإعانات، والإمدادات، من انجلترا، واسبانيا، ووعدهم بأن يفتح لهم وهران للامتيازات الاقتصادية، والتجارية، مقابل تلقى تلك المساعدات العسكرية، وكل هذا من أجل إنجاح مخططه في الاستقلال عن الإيالة، وظهر ذلك من خلال المراسلات التي كانت بين الباي، والمسؤولين الإسبان.[4] إلا أن اسبانيا لم

---

[1] - الزهار، المصدر السابق، ص: 107 .

[2] - دودو، المرجع السابق، ص: 62، محمد باشا، المصدر السابق، ص: 153؛ المزاري، المصدر السابق، ج: 1، ص: ص:335،336 ، بن عبد القادر، المصدر السابق، ص: 105.

[3] - يتعلق الأمر بالباحث الجزائري مولاي بلحميسي في مقاله الثورة على الأتراك الذي نشر في مجلة الثقافة.

[4] - يرجع الى المراسلات التي نشرها مولاي بلحميسي في مقال الثورة على الأتراك.

تستطع مساعدته، بسبب الاتفاقيات التي أبرمتها مع إيالة الجزائر، بعد تحرير وهران أما المغرب فقد كانت إمكاناته العسكرية محدودة[1].

و هناك نص الرسالة المؤرخة في12جمادى الاولى 1228هـ/13 ماي 1813م، التي أرسلها نائب القنصل الاسباني بوهران، إلى القبطان العام بقرطاجنة، ويخبره بأن العرب متحمسون، ولهم رغبة كبيرة للاستقلال، وذلك اعتمادا على المساعدات الاسبانية، والبريطانية[2]. وجاء في رسالة أخرى لنائب قنصل اسبانيا، أنه من المتوقع أن يصل الأسطول المغربي لمساعدة الباي، الذي هو في وفاق تام مع سلطان المغرب سليمان[3].

وقد طالب الباي في أحد الرسائل، بالسماح لليهودي داود كابيزا بشراء الأسلحة، التي كانت عبارة عن 200 قنطار من البارود، والبنادق من اسبانيا، مقابل شحنة من القمح،[4] وتكررت مراسلات الباي بشأن الحصول على هذه الأسلحة، ولكن اسبانيا لم تقدم له ما كان يتمناه، ففي إحدى الرسائل التي جاءت من مدينة قادش الاسبانية،[5] إلى وزير الحربية، يخبره أنه لا يمكن مساعدة الباي، ولو كرر طلبه مرارا، ولا يكون الرفض صريحا ويكون في شكل اعتذار[6]. وهكذا يتضح أن النصارى كانوا أشد حرصا على بقاء مصالحهم مع الجزائر، لا الدخول في مواجهة معها من خلال مساعدة الباي.

---

[1] - هلايلي، حنيفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، الجزائر، دار الهدى، 2008، ص: 24.

[2] - بلحميسي، الثورة على الأتراك، ص: 41 .

[3] - المرجع نفسه، ص: 42 .

[4] - المرجع نفسه، ص: 40-41 .

[5] - كانت هذه المدينة مقر الحكم الاسباني بعد احتلال نابليون في حروبه الأوربية مدينة مدريد.

[6] - بلحميسي، الثورة على الاتراك، ص: 44.

أما طمع الباي في مساعدات المغرب فكان من خلال بيعته السلطان سليمان، فقد أشارت المصادر الوهرانية لهذه البيعة بشكل مضطرب، فقال المزاري[1] أن بوكابوس قام ببيعة سلطان المغرب، بينما مسلم بن عبد القادر[2] ينقل أنه تظاهر فقط بالبيعة له، في حين أن المصادر الفرنسية لم تتناول هذه المسألة، أما المصادر المغربية، فقد انفرد الضعيف الرباطي[3] بذكر بيعة أهل تلمسان، ومستغانم، ووهران، والبليدة، الذين ذهبوا إلى سلطان المغرب وبايعوه، وذلك بعد دعوة الباي أهالي بايلك الغرب لمبايعة السلطان سليمان. كما انتمى بوكابوس إلى الطريقة الدرقاوية، ذات الأصول المغربية، من أجل عقد التحالف مع السلطان، الذي تربطه به علاقات سياسية جيدة [4].

أسباب فشل هذه الثورة

أما سبب فشل هاته الثورة، فهو تراجع قوات المخزن عن نصرته، وعدم تلقي المساعدات من حلفائه[5]، الذين كان يتوقع منهم نصرته، خاصة اسبانيا[6].

ولعل ما منع اسبانيا عن مد يد المساعدة إلى الباي المشاكل الاقتصادية، والعسكرية، التي تعرضت لها في تلك الفترة، فقد كانت تواجه حروب نابليون، التي شنها

---

[1] - المزاري، المصدر السابق، ج1، ص:336، هلايلي، المرجع السابق، ص: 24 .

[2] - بن عبد القادر، المصدر السابق، ص 103.

[3] - الرباطي ، المصدر السابق، ص 377 .

[4] - يرجع إلى المراسلات التي نشرها مولاي بلحميسي في مقال الثورة على الأتراك.

[5]- يرى الزهار أن بوكابوس طمع في فمساندة البربر، ولكنه لم يوفق أيضا. ينظر: الزهار مصدر سابق، ص : 109

[6] - الزهار، المصدر السابق، ص: 109 .

على أوربا، كما أنها ملتزمة بمعاهدة صلح مع إيالة الجزائر، منذ انهزامها وتسليمها لمدينة وهران .

محي الدين والباي حسن

كان للشيخ محي الدين والد الأمير عبد القادر علاقات وزيارات مع بايات وهران، والقبائل في بايلك الغرب، في التل، و في الصحراء، وهذا ما أهله لأن يكون ذا سمعة واسعة الصيت، في القطاع الغربي لإيالة الجزائر، وكان يخص بالثقة، والاحترام بين هذه القبائل[1].

وكان ذهابه لأداء مناسك الحج في عام 1238هـ/1823م، فرصة سانحة لجمع عدد كبير من الناس من مختلف القبائل لمرافقته، وهذا لمحبتهم له، وفي اليوم السادس من الرحلة وعند نزوله على ضفة واد جديوية، حل مبعوث من باي وهران الباي حسن إلى الشيخ محي الدين، يدعوه فيه من أجل المجيء عنده إلى وهران، وأمام هذا الوضع انتشرت الفوضى في الموكب الكبير، فهناك من طلب منه عدم الذهاب ومواصلة طريق الحج، إلا أنه أقنعهم بأن من واجبه أن يطيع أمر الباي، حتى ولو كلف ذلك حياته[2].

فرجع الشيخ محي الدين برفقة إبنه عبد القادر إلى مدينة وهران، فاستقبلهم الباي حسن، وبرر له هذا الاستدعاء بأنه خاف عليه من داي الجزائر، بقوله: "إنك تعلم يا صديقي أنك تتمتع باحترامي، وحظوتي، وقد أحزنني ماسمعته عنك من الأنباء السيئة، وإن أعداءك كثيرون، وقد خفت أن تقع في يدي داي الجزائر، الذي إذا قد دخلت ترابه

[1] - تشرشل، شارل هنري، حياة الأمير عبد القادر، ترجمه: أبو القاسم سعد ا ، تونس، الدار التونسية للنشر، 1974م، ص: 42.

[2] - تشرتشل، المصدر السابق، ص: 43.

بطريقة أعرف أنها تثير شكوكه، لذلك أرسلت من ورائك لكي أنقذك من خطر محقق، إن قلبي كان يموج بالقلق عليك". أما إجابة محي الدين فكانت بسخرية بقوله: "ولكي أخلصك من هذا القلق، أطعت أوامرك"[1].

ومن خلال قول الباي حسن يتبين مدى تخوفه من الشيخ محي الدين، والشعبية الكبيرة التي حضي بها. إلا أن هذا لم ينقص من احترامه له ومعرفة قدره الديني، والسياسي، وكان الشيخ محي الدين يدرك هذا التخوف فلذلك كانت إجابته على ذلك النحو، وكان الباي يعرف مكانة الشيخ لدى قبائل بايلك الغرب، خاصة أن ثورة درقاوة لم يمضي على نهايتها الوقت الطويل، فيمكن اعتبار هذا التخوف من أثار هذه الثورة، وما تسببت به من وضع المرابطين في موضع الشك، والمراقبة من قبل السلطة العثمانية في مدينة وهران .

وقد ظهرت نوايا التوجس من الشيخ محي الدين بشكل واضح لما وضعه تحت الإقامة الجبرية بوهران، ووضع له حراسا يراقبونه مع ابنه عبد القادر[2]، فكان الحراس يدخلون معهما منازل أصدقائهما، كما يقفون عند أبواب المساجد عند أدائهما فريضة الصلاة، وقد أستمر هذا الوضع لمدة سنتين، فخلالهما لم يقم الشيخ بأي احتجاج[3].

وفي الأخير قرر الباي حسن الإفراج عنهما، بعد تدخل بعض الأطراف من حاشيته، فقد تدخل مصطفى بن إسماعيل المرصالي، أحد رجال المخزن، إضافة إلى

---

[1] - المصدر نفسه، ص: 44.

[2] - وقد استفاد الأمير كثيرا من مدة مكوثه في المدينة، فكان يحضر المجالس العلمية التي كان يعقدها علماء المدينة ، وبعد نهاية مدة الإقامة الجبرية، واصل الشيخ محي الدين وابنه عبد القادر طريقهما إلى الحج مباشرة دون الرجوع إلى القيطنة خوفا من تجمع الناس من حولهم، فيثير ذلك حفيظة الباي. ينظر: تشرتشل، المصدر السابق، ص: 44.

[3] - تشرتشل، المصدر السابق، ص: 44.

وساطة بعض أفراد أسرة الباي، فقد تدخلت زوجة الباي، وأمه، من أجل إطلاق سراح الشيخ وابنه[1]، وبذلك أذن لهما بمواصلة الطريق للحج من دون العودة إلى القيطنة، التي قد يتجمهر الناس من حولها، فتثير مخاوف الباي، فلذلك قرر محي الدين وابنه الذهاب مباشرة إلى الحج، وبسرعة في ربيع الثاني1241هـ/ نوفمبر1825م.

وهران عشية الاحتلال الفرنسي

إن الوضع السياسي الذي كانت تعيشه وهران، عشية الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر، هو الصراع المتواصل بين القبائل، والسلطة العثمانية، ممثلة في الباي حسن على الخصوص، فلذلك أدرك أن مكانته في أوساط الناس سيئة، فكان يبحث عن خلاصه، ومن يلجأ إليه لحمايته، فالأتراك الموجودين في وهران لم يكونوا قادرين عن الدفاع عن المدينة، وقبائل المخزن العربية كانت في صراع مع قبائل الرعية، التي كانت تشعر أن هذه ساعة الانتقام من الأتراك وحلفائهم[2].

وفي خضم هذا الوضع، رأى الباي أن يرسل إلى الشيخ محي الدين من أجل حمايته، وقد تفاجأ الشيخ لهذا الطلب، وبعد استشارة قبيلته بني هاشم الذين كان موقفهم العام هو رفض طلب الباي، وهذا لمواقفه الغير المشرفة اتجاه زعيمهم، بينما كان رأي عبد القادر بن محي الدين أن حماية الباي سيؤدي إلى سخط وغضب قبائل بايلك الغرب من الشيخ محي الدين، وعشيرته، وقال عبد القادر أيضا: "إن إعطاء أسرتنا ملجأ إلى ذلك الممثل البغيض للجبروت التركي، سيفسره العرب على أنه نوع من النسيان الضمني لكل

[1] - سعيدوني، ورقات جزائرية، ص: 340.

[2] - تشرتشل، المصدر السابق، ص: 50.

مواقفه الماضية، ونتيجة لذلك فإننا سنجعل من كل القبائل التي تمقت الباي أعداء لنا، وبعبارة أخرى فإن أعداءنا سيكونون هم عرب إقليم وهران"[1].

وأمام هذه المواقف الرافضة لحماية الباي، قرر الشيخ محي الدين التخلي عنه، فأرسل مبعوثا له يعلمه برفض طلبه، لأنه لن يصبح مسؤولا عن سلامته. ولم يبقى للباي حسن إلا التسليم للأمر الواقع، ففي 20 رجب 1246هـ/4 جانفي 1831م دخل الجنرال دامريمون ميناء وهران، فاستسلم له الباي، وسمح له بالهجرة إلى الإسكندرية[2].

وقال أبو القاسم سعد ا عن مكانة الباي حسن السياسية والاجتماعية في وهران وبايلك الغرب، "الباي لم يكن يسيطر على الوضع في إقليمه، كما سيطر عليه الحاج احمد في إقليمه، ولم تكن له علاقة مع الحضر، وأهل التصوف، وغيرهم من ذوي النفوذ، مثل الحاج أحمد، بل أن إدارته لم تكن فيما يبدو بنفس قوة إدارة زميله، في الشرق، ولا شخصيته، وأصوله تسمح له بان يكون مثل الحاج احمد وكان الباي حسن مقطوع عن ذلك كله، جاء أجنبيا وبقي أجنبيا وخرج أجنبيا فلم يحزن احد على رحيله"[3].

وأمام هذا الوضع الذي واجهه الباي حسن، والعثمانيين، يظهر مدى الانفصال، والصراع، الذي كان يعيشه بايلك الغرب من تشتت بين القبائل العربية، والمرابطين، اتجاه حكم العثمانيين، كما يتبين أن مدينة وهران غير قادرة على مواجهة هذا الزحف، للضعف السياسي، والعسكري الموجود داخل مجتمع المدينة، كما هو موجود عند بقية مدن الإيالة الجزائرية، في ذلك الوقت.

---

[1] - المصدر نفسه، ص: 51.

[2] - المصدر نفسه، ص: 52.

[3] - ابو القاسم سعد ا ، الحركة الوطنية الجزائرية القسم الاول، ص: 167 .

ولذلك إن مشروع مقاومة الاحتلال الفرنسي عند الباي حسن لم يكن وارد، كما أنه كان كبير السن، غير قادر على مواجهة هذه التحديات الكبيرة، وقد وصفه حمدان خوجة بقوله أنه " كان شيخا قد مل الحكم، ولذلك لم يكن يطمع إلا في حياة هادئة، وكان يأمل ذلك من الفرنسيين، إذا ما أظهر أنه لا يضمر لهم العدوان"[1].

وعند احتلال فرنسا لمدينة الجزائر ظهر الانفصال السياسي، وهشاشة الحكم في المدينة، فقد رفض سكان بايلك الغرب مواصلة اعترافهم بسلطة الباي حسن، واتضحت هذه الصورة بنهب القبائل العربية للمزارع التابعة للباي، في ضواحيها، من الدواب، والخيل، والأنعام[2]. وظهرت سلطة المرابطين في بايلك الغرب، بالمبايعة الواسعة الأمير عبد القادر، والذي جاء بمشروع سياسي وطني، يهدف إلى المساواة بين جميع الفئات الاجتماعية، وكأن هذه المبادرة هي تصحيح للوضع الاجتماعي، والسياسي، الذي كان سائدا في عهد السلطة العثمانية، في داخل مدينة وهران، وخارجها، فكان رد الفعل للعثمانيين، والكراغلة، ورجال المخزن على المشروع بإعلان العصيان على دولة الأمير الناشئة، ويبين كذلك مدى الصراع الكبير الذي كان قائما بين فئة المرابطين، وفئة الحاكمة في العهد العثماني، ووصل الأمر بهذه الفئات إلى إعلانها لموقف عدائي، وتحالفت مع العدو الفرنسي المحتل للبلاد.

ومما تقدم يتبين أن ثورة درقاوة كانت من أخطر الثورات التي ضربت القطاع الغربي من الإيالة الجزائرية، والتي كادت أن تعصف بالسلطة العثمانية في البايلك، وقد تعاقب على لأجل إخمادها، عدة بايات، فمن الباي مصطفى المنزالي، خلال فترتي حكمه

---

[1] - خوجة، المصدر السابق، ص: 188.

[2] - المصدر نفسه ، ص: 187.

إلى الباي المقلش، والباي بوكابوس، الذي كان صارما، وقاسيا في مواجهة المنتسبين لهذه الثورة، وتنتهي أخيرا فصول الثورة الدرقاوية في أيام قارة باغلي.

ويقدوم فترة حكم الباي حسن، التي تعتبر مدة حكمه طويلة مقارنة بالذين سبقوه، والذي اعتمد في سياسته على مضايقة ومحاصرة المنتسبين للمرابطين، والطرق الصوفية، وذلك تخوفا من تكرار حوادث تشبه الثورة الدرقاوية التي لم يمر عليها الوقت الطويل، ولعل هذه السياسة ظهرت جليا من خلال الصراع السياسي الذي لم يصل إلى درجة المواجهات العسكرية، التي كانت بين هذا الباي وشيخ إقليم الراشدية محي الدين ابن مصطفى ابن المختار.

ويبدوا أن هذا ما ميز الحالة السياسة الداخلية للمدينة خلال الفترة، التي عاشتها المدينة، تحت الحكم العثماني الممتد من1206هـ الى 1246هـ/ 1792م إلى 1831م

المبحث الثاني

العلاقات الداخلية والخارجي

تمهيد

لم تكن وهران معزولة عن المتغيرات الداخلية، التي تشمل إيالة الجزائر، والخارجية خاصة مع إسبانيا، والمغرب الأقصى. أما العلاقات التي تربطها بهاته المجالات فهي ذات طابع سياسي، واقتصادي، وتجاري، بحكم الموقع الاستراتجي للمدينة، والأهمية السياسية كونها عاصمة بايلك الغرب.

علاقة السلطة المركزية في الجزائر بوهران

كانت العلاقة بين مدينة وهران، والجزائر، علاقة تبعية، بحكم أن وهران من أهم مدن الإيالة، فقد كانت تتلقى منها بعض الإعانات من أجل مواجهة المخاطر التي تواجهها كما سبق بيانه، غير أن هذا لم يمنع بايلك الغرب ومدينة هران خصوصا من أن يتمتعان ببعض الاستقلالية المحدودة .

فمن مظاهر الارتباط الإداري، تعيين وعزل البايات من طرف السلطة المركزية، كما كانت تعين بعض المناصب الإدارية الأخرى، مثل قايد البلاد. ومن صلاحيات داي الجزائر في بايلك الغرب أيضا، تعين قائد الوطن، ولكن بعد أن يقترحه الباي عليه، شريطة أن يكون تركي، أو كرغلي، أو من العلوج[1]، والذي يحكم القبائل بمساعدة شيوخها[2]. كما كان الداي يستعين بباي الغرب في بعض الحملات العسكرية، التي كانت خارج مقاطعته الإدارية، فقد غزا الباي بوكابوس قبائل عريب، وحمزة، بين بايلك المدية، وقسنطينة، وقد نجح في غزوته ورجع إلى المدية، ومكث فيها بعض الوقت وأرسل الغنائم إلى داي الجزائر، ثم رجع إلى وهران.[3]

وكانت المدينة تتأثر كثيرا بالأوضاع السياسية التي تجري في مدينة الجزائر، فقد شهدت السلطة المركزية اضطرابا سياسيا في الفترة الممتدة من1205هـ/1791 إلى 1230هـ/ 1818م، أي من وفاة الباي محمد عثمان باشا إلى تولي الداي حسين[4] الحكم

[1] - الأعلاج هم الأجناس الأوربية المختلفة

[2] - شويتام، المرجع السابق، ص: 40.

[3] - بن عبد القادر، المصدر السابق ،ص: 99 .

[4] - الداي حسين، أخر دايات الجزائر تولى في سنة 1818 إلى غاية احتلال الجزائر سنة 1830 .

في سنة1230هـ/ 1818م[1]؛ فخلال هاته الفترة تعاقبت عدة أحداث مضطربة، أدت إلى سلسلة من الاغتيالات لدايات الجزائر، ما أثر ذلك على مدينة وهران، وهذا ما يمكن مشاهدته في التغير الكبير على المستوى الداخلي للبايلكات، وتغير الموظفين الإداريين، والبايات[2].

تعيين وعزل بايات وهران

يمكن القول أن البايات كانوا يعينون من قبل السلطة المركزية في الجزائر، وهذا على حسب الكفاءات والقدرة على التسيير، ومع الوقت أضيفت شروط أخرى، منها اشتراط وجود علاقات مصاهرة مع أهالي المنطقة[3].

وقد تمكن بعض بايات وهران، مثل الباي محمد بن عثمان الكبير من المكوث في حكم بايلك الغرب مدة طويلة، وذلك بسبب علاقاته الحميمة مع داي الجزائر، وحاشيته، إضافة إلى دوره السياسي، والاجتماعي، خاصة نجاحه في تحرير مدينة وهران، بعد مدة طويلة من احتلالها، ومشاركته بجيوش بايلك الغرب في مواجهة الحملات الاسبانية على مدينة الجزائر، كل هذا مكنه من أن يبقى مدة طويلة في الحكم. وكذلك ساعده ذلك في أن يورث ابنه عثمان الحكم بعد موافقة الداي، ومع هذه المكانة التي تمتع بها هذا الباي كان أغلب البايات الذين حكموا وهران بعد1206هـ/1792م من أسرته،[4] سواء كانت علاقته

[1] - خوجة، المصدر السابق، ص: 135.

[2] - شويتام، المرجع السابق، ص: 51.

[3] - شويتام، المرجع السابق، ص: 37.

[4] - تنتمي أسرة الباي محمد الكبير إلى أبيه الباي عثمان حاكما على مليانة، ثم صار بايا على التيطري وهو أول ملوك الأسرة العثمانية والذي ولدان هما محمد الكبير وأمه جارية اسمها زائدة أهداها له ملك المغرب والأخر اسمه محمد

مباشرة معهم أو غير مباشرة، فقد حكم هذه المدينة بعد وفاته ابنه عثمان، وابنه محمد المقلش[1]، كما حكمها أخوه محمد الصغير الملقب ببوكابوس، وما يفسر تعيين السلطة المركزية لأقارب الباي محمد الكبير، هي المكانة التي كان يحضى بها، وأقاربه لدى سكان وهران، وقبائل بايلك الغرب .

إلا أن هذا لم يمنع من تعيين بعض الدايات الذين لم تكن لهم كفاءة كبيرة، مثل الباي مصطفى المنزالي، الذي كانت له مكانة عند الخزناجي، والذي سعى من أجل حصوله على منصب باي وهران مقابل أن يجمع له مبالغ ضخمة من المال، لذلك فإن هذا الباي لم تكن له أي علاقة بالسكان قبل تقلاده هذا المنصب، ولا حتى بشيوخ القبائل، ولا المصاهرات معهم، أما ميزته الوحيدة فهي تتمثل في"نهب الشعب، وإرسال أسلابه إلى الخزناجي"[2].

وكان تغيير البايات وعزلهم عنيفا، فكان أغلبهم يقتلون، مثل الباي المقلش، وقارة بغلي وبوكابوس، فمن الذين تم قتلهم أيضا الباي محمد الكبير، وهذا بعد رجوعه من الجزائر أثناء زيارته للداي، والذي كان يغار من شعبيته، فوضع له السم[3]، وينقل الرباطي أنه توفي في وهران بعد أن رجع من دفع الدنوش لداي الجزائر[4].

الصغير الملقب بالباي بوكابوس وأمه حرة اسمها خديجة بنت محمد بن عيسى من مرابطي المدية. ينظر: المزاري، مصدر سابق ج1، ص:291 .

[1] - انتقل الباي محمد المقلش مع اخيه عثمان الى البليدة الذي نفي اليها بعد عزله من حكم مدينة وهران وتولى المقلش سنة 1805/1220م وهو ابن 18 سنة. ينظر: المزاري، المصدر السابق، ج1، ص:310.

[2] - حمدان خوجة، المصدر السابق، ص: 130.

[3] - بورويبة، المرجع السابق، ص: 115.

[4] - الرباطي، المصدر السابق، ص: 300.

وكان الباي عثمان أول البايات المعزولين، وسبب عزله انه اشتغل باللهو عن شؤون الحكم، وأصبح مجلسه لا يخلو من الأدباء، والظرفاء[1]، وكان لا يخرج للحكم إلا بعد مرور أيام عديدة، وتكفل بالحكم رجال دولته، الذين استغلوا مناصبهم، وانتفعوا بها ونالوا من الرعية مالا كثيرا[2] "ورجعت الأمور الملوكية بأيدهم"، كما يقول مسلم ابن عبد القادر.[3]

و لما علم الباي عثمان بأمر عزله، جمع أمواله ووضعها في حصن القديسة تيريزا، واستعان بسفينة انجليزية من أجل الهروب من المدينة، فلما علمت أخته بالأمر أخبرت الأغا التركي الذي كان يحكم المرسى الكبير، فألقى عليه القبض، وسجنه في أحد سجون قصبة المدينة[4]، ويذكر المؤرخ المغربي الرباطي أن في رمضان 1215هـ/ جانفي 1801م هرب ولد الباي محمد للنصارى خوفا من داي الجزائر[5]، ومن مقارنة هذا القول مع بقية المصادر، يتبين أن هذا الباي حاول الهرب، ولكنه لن ينجح، ومن أسباب عزله، رغبة الداي الجديد مصطفى الوزناجي في تعيين مصطفى المنزالي[6]. وبعد عزل الباي

---

[1] - المزاري، المصدر السابق، ج1، ص:299 .

[2] - المصدر نفسه، ج1، ص:300 .

[3] - بن عبد القادر، المصدر السابق، ص: 66 .

[4] - بورويبة، المرجع السابق، ص: 115.

[5] - الرباطي، المصدر السابق ص 320 .

[6] - De Grammont, ibid, p:365 .

عثمان تم نفيه مع أهله إلى مدينة البليدة، إلا أنه عين فيما بعد بايا على مدينة قسنطينة[1]؛ لكن أثناء ثورة ابن الأحرش الدرقاوي في بايلك الشرق، لقي حتفه[2].

كما عزل داي الجزائر الباي محمد المقاش، وأمر بقتله، بسبب حمله الأمتعة على الثيران[3]. وتشير بعض المصادر أن السبب الحقيقي للعزل كون الباي كان فاسقا، مسرفا في الإنفاق من الخزينة، وسلك طريق اللهو، والبذخ، والفساد، فأصبح مدمنا على الخمر، والمخدرات، وكان يظلم سكان مدينة وهران، فكان يختطف بنات العائلات الشريفة من بيوت أبائهن، وبسبب هذه التصرفات التي سلكها، أرسل أعيان المدينة شكوى لداي الجزائر أحمد باشا، الذي استجاب لهم، وبعث الداي الأغا عمر لمراقبة حسابات البايلك، فأستنطق الباي بالتعذيب، فأقر بأنه أنفقها، فأمر الأغا بخنقه[4]، ومن الغريب أن المصادر المحلية لا تشير أو تلمح لفساد أخلاق هذا الباي.

أما الباي مصطفى المنزالي فعزله كان سلميا بعد ترقيته لمنصب آخر، فقد عينه داي الجزائر خزناجيا، وعين في مكانه محمد الصغير بن عثمان الملقب ببوكابوس.[5] الذي الذي عزل بعد الثورة التي قام بها، كما سبق ذكره[6].

---

[1] - المزاري، المصدر السابق، ج1، ص:300 .

[2]- بن عبد القادر، المصدر السابق، ص: 68.

[3] - المصدر نفسه ، ص: 96 .

[4] - Estrahzy, ibid, p p: 208-209, Lapene, ibid, p: 15, Grammont, ibid, p: 366.

[5] - بن عبد القادر، المصدر السابق، ص: 97 .

[6] - المزاري، المصدر السابق، ج1، ص:341.

كان داي الجزائر قد أمر بقتل الباي علي قار بغلي[1] في مدينة مليانة، أثناء مجيئه لتقديم الدنوش، والسبب يعود للإصلاحات التي قام بها، ما جعل قلوب الناس تميل له، وتتعاطف معه، وكانت سيرته تختلف عن سيرة داي الجزائر، الذي كان طاغيا مستبدا، فأمر بقتله بالقرب من مدينة مليانة، وهو في طريق العودة إلى مدينة وهران، بعد أن أدى مراسيم الدنوش[2].

في حين يذهب المزاري في تفسير هذه التصفية ،[3] أن الداي علي باشا[4] لما تولى الحكم في الجزائر نفى بعض الأتراك من أصحاب عمر باشا لوهران، ثم بعث في أثرهم أمرا للباي بقتلهم، لكنهم تفطنوا لهذه المكيدة، ففروا إلى محلة الشتاء بهبرة، فبلغ ذلك الداي وغضب لذلك، واتهم الباي أنه هو من سمح لهم بالفرار، فقرر قتله حين تحين الفرصة.

مراسيم الدنوش

إن مراسيم الدنوش وهي عبارة عن حصيلة الضرائب التي يقدمها البايات لخزينة الدولة، التي تعتبر إحدى المراسيم الهامة التي تبنتها لساطة المركزية، وتجديد العهد من أجل المواصلة الباي في مهامه، أو عزله، فكانت هذه المراسيم تقرر مصير البايات، فإما

[1] - الباي قارة باغلي، نسبة الى بلدة من بلاد الترك، التي جاء منها في وقت الباي محمد الكبير، وكان موصوفا بالعقل والرياسة، تزوج ابنة الباي بوكابوس، ثم تولى منصب خليفة الكرسي، ثم منصب باي وهران في سنة 1813م/1228هـ. ينظر: المزاري، المصدر السابق، ج 1، ص:340.

[2] - بورويبة، المرجع السابق، ص: 116 .

[3] - المزاري، المصدر السابق، ج1، ص:348.

[4] - الداي علي باشا، تولى بعد قتل عمر باشا في سنة 1232هـ - -1816م، وتوفي بالوباء سنة 1233هـ - - - 1818م، وتولى مكانه الداي حسين باشا أخر دايات الجزائر، وكان يخافه جميع الأتراك لأنه يقتل دون مبالاة. ينظر: الزهار، مصدر سابق، ص: 160.

تجدد ولايتهم لمدة ثلاث سنوات أخرى، فإذا رضي الداي عن الباي، يحضره عنده في قصره، ويسأله عن أحوال الرعية، والشؤون الداخلية لمقاطعته الإدارية، وهناك من لا تجدد ولايته إن لم يرض عنه فيعزله ويعين آخر مكانه[1].

إلا أنه و خلال هذه المراسيم، كان البايات يقسمون بعض الأموال على موظفي الإيالة، وتكون عبارة عن هدايا من أجل حفظ مكانتهم عند الداي[2]، وكانت هذه الدنوش تحتوي على 40000 أربعين ألف ريال بوجو، وأربعين فرس من النوع الممتاز، إضافة إلى العبيد، والحياك،[3] و كان الباي مضطر إلى تقديم الهدايا إلى الداي، والموظفين، كما يبعث خليفته بالدنوش الصغرى التي تشمل عددا من العبيد، والإماء، والبرانس السوداء، والأحصنة، والبغال، وغيرها، و قد نقل شالر في مذكراته، أن الزيارة التي يقوم بها الباي إلى الجزائر تكلف ملا يقل عن 300000 دولار، وهي عبارة عن رشاوي إلى الضباط، والموظفين، وهذا المبلغ لا يدفع منه شيء لخزينة الجزائر[4].

كما كان للبايات بعض الالتزمات اتجاه دايات الجزائر، ويظهر ذلك من خلال بعض الرسائل المتبادلة بين الباي حسن آخر بايات وهران، ووكيل الحرج في الجزائر، ففي بعضها أرسل تكرمة البياشي، معها عائدات المرسى الكبير ووهران الجمركية،

---

[1] - طابي معمر، المرجع السابق، ص: 68 .

[2] - سعيدوني، ناصر الدين، النظام المالي في الجزائر في الفترة العثمانية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979م، ص: 100 .

[3] - بورويبة، المرجع السابق، ص: 125.

[4] - شالر، المصدر السابق، ص: 46 .

للأشهر الممتدة من جمادى الأولى إلى أواخر شوال 1442 / 1826م[1]، وهذه الرسالة مؤرخة في 14 ذي القعدة 1242هـ /1826 م.

وهناك رسالة أخرى بين له فيها أنه قد وصلته البضائع، وذلك وفق ما أمر به الداي حسين، من أجل فقراء، ومساكين وهران، كما أخبره أنه قد شحن له مائة وسبعة قناطير من البارود، وخمسين قنطار من الكتان، وكمية من السمن، والأرز، وهذا تكملة لدنوش الخريف الماضي، وحررت هذه الرسالة في أواخر شعبان1241هـ /1825م[2].

وفي محرم 1242هـ/ 1826م أرسل باي حسن رسالة هدايا بمناسبة حلول عاشوراء، وذلك على حسب العرف المعمول به، وسلمها إلى الداي وأولاده ولداره[3]. وفي أحد الرسائل تتعلق بباشكاش عيد الأضحى حسب العرف الجاري إلى الداي حسين، وأولاده[4].

وقد أرسل الباي حسن إلى الداي حسين في عام 1243هـ /1827م يبين له فيها ،نه قد أرسل له لزمة البياشي ثمانية أشهر، مع لزمة المرسى الكبير، من ذو القعدة 1242هـ/ جوان 1827م إلى آخر جمادى الثانية 1243ه/ جانفي 1828م، وأخبره أنه يسعى لإعادة الأمن في الأغواط، وأنه حجز عددا من رهائنهم، لإرغامهم على إيقاف النزاع. وطلب منه المشورة في ذلك[5].

---

[1] - الارشيف م و ج المجموعة 3206 ملف 1 رسالة 11 .

[2] - الأرشيف، م و ج، المجموعة: 3206، ملف: 01، الرسالة: 07 .

[3] - الأرشيف م و ج، المجموعة: 3206، ملف: 01، الرسالة: 09 .

[4] - الأرشيف، م و ج، المجموعة: 3206 ، ملف: 01، الرسالة: 37 .

[5] - الأرشيف، م و ج، المجموعة: 3205، ملف: 03، الرسالة: 51 .

العلاقات الخارجية

عرفت مدينة وهران علاقات مع مجموعة من الدول الأوربية والمجاورة، ولعل من أهمها اسبانيا، والمغرب الأقصى، التي كانت قريبة منها.

علاقات وهران باسبانيا

بقيت مدينة وهران طوال حوالي ثلاث قرون تحت وطأة الاحتلال الاسباني، إلى غاية تحريرها سنة 1206هـ/ 1792م، و لم تنتهي علاقة اسبانيا بهذه المدينة المهمة، فكانت تربطها علاقات سياسية واقتصادية قائمة، بموجب معاهدة الاستسلام التي سبق ذكرها.

وبخصوص العلاقات الاقتصادية، فقد تمكنت إسبانيا من إنشاء الشركة الملكية الإفريقية في مدينة وهران، التي مكنتها من استغلال هذه المدينة كقاعدة تجارية لتصدير القمح الجزائري إلى أراضيها[1]، إضافة إلى حصول إسبانيا على حق تصدير صيد المرجان في السواحل الغربية القريبة من وهران، وتحصلوا حق شراء ألف 1000 حمولة قمح مع تخفيض الرسوم الجمركية، فكانت لا يتجاوز 56 **ريال،** ما يعادل 63 فرنك، مقابل إتاوة سنوية تقدر ب120الف فرنك[2]، كما رخص هذا الاتفاق بالتوسع التجاري

---

[1] - الزبيري، محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص: 207.

[2] - سعيدوني، النظام المالي، ص: 74، ، فارس، العيد، الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الغرب وانعكساتها على المقاومة الوطنية، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، ص: 28.

بوهران، وكانت هياكل هذا المشروع المخازن العسكرية القديمة، ومما يجدر ذكره أن التجارة الاسبانية كانت ترتكز أساسا على تصدير الحبوب، والماشية[1].

وقد استغل الباي محمد الكبير هذه العلاقات من أجل الاستفادة من الخبرة الاقتصادية، والصناعية لدى الإسبان، فعند فتح وهران دعا العائلات الاسبانية التي لديها مهارات صناعية وحرفية البقاء في المدينة، مقابل حمايتها ودعمها، فأثمر هذا الطلب بظهور مشروعين، هما مشروع صناعة المدافع، ومشروع صناعة الصابون[2].

مشروع صناعة المدافع وعلاقات اسبانيا بوهران

أما مشروع صناعة المدافع فكان وسيطه ومساعده في ذلك سانتياغو غيرمو، الذي أحضر للباي شخصين مختصين في المناجم وصهر البرونز، الذي تصنع منه المدافع، والبارود، فبعثا للتنقيب على المادة الأولية في مناجم معسكر، ولما تم ذلك أمرهما باستقدام عائلاتهما من إسبانيا للاستقرار في وهران، من أجل البداية في هذا المشروع.

وقد فشل هذا المشروع، لتخوف إسبانيا من التطور العسكري للباي، فطلب القنصل دون مانويل دي اسبريس من الباي تسريح الصانعين الاسبانيين، وعائلاتهما، فاستجاب الباي لذلك في جمادى الثانية 1207هـ / فبراير1793م[3]، وكان طلب القنصل بناءا على أحد الرسائل الاسبانية الموقعة في 13 محرم 1207هـ/ 31 أوت 1792م، يصر فيها الملك الإسباني كارلوس الرابع على مغادرة العائلات الاسبانية مدينة وهران، ومنع أيضا

[1] - بلبروات، المرجع السابق، ص: 201.

[2] - المرجع نفسه، ص: 201.

[3] - بلبروات، المرجع السابق، ص: 202 .

الهجرة الفوضوية من اسبانيا إلى هذه المدينة، وهذا بقصد ضرب المشاريع الاقتصادية، والصناعية، التي كان يطمح إليها الباي[1].

مشروع صناعة الصابون

كما شرع الباي في إنجاز مشروع صناعة الصابون، من خلال شراكة بينه وبين الشركة التجارية الاسبانية المسماة كامبانا، علما أن المادة الأولية في هذا المشروع هي نبتة عشبية مستوردة من اسبانيا، إضافة إلى اليد العاملة من نفس البلد، إلا أن هذا المشروع لم ينجح أيضا، لمواجهة هذه الشركة مشاكل تتعلق بالتمويل بالمادة الأولية، لأن الإسبان رفضوا توفيرها، مما اضطر الباي لتوفيرها وغرسها في أراضيه، ولكنه لم ينجح[2].

ومن العلاقات الاقتصادية، والسياسية، التي شهدتها وهران وإسبانيا، تلك المراسلات التي كانت بين الباي بوكابوس، والمسؤولين الإسبان، بخصوص تزويده بالأسلحة، والذخيرة، من أجل القيام بثورته ضد السلطة التركية ، كما تمت الإشارة إلى ذلك سابقا.

العلاقات مع المغرب الأقصى

إن العلاقات بين وهران والمغرب الأقصى كانت منذ عهد الباي محمد الكبير، إذ تميزت بالتفاهم وحسن الجوار، فمن خلال الزيارة التي قام بها والي مدينة وجدة أبو القاسم الزياني إلى وهران، أظهر له الباي محمد الكبير التأسف لما أصاب مدينة وجدة، من قبائل أنقاد، التي فر منها، فأحسن وفادته، وأظهر له التأسف على ما أصابه، وأقسم له بالأخذ

---

[1] - بلبروات، المرجع السابق ، ص: 169 .

[2] - المرجع نفسه، ص: 201.

بثأره، وتعويضه عن جميع ما ضاع منه[1]، كما سأله عن أولاد السلطان محمد بن عبد ا ، وعن سلطان المغرب الحالي، فقال له هو السلطان سليمان، فمدح له أوصافه، ثم توجه مع الباي إلى زيارة قصبة المدينة، وأبراجها، ومدافعها، ومخازنها ولما أنهى زيارته سافر إلى تلمسان[2].

ومن مظاهر حسن الجوار والتفاهم بين باي وهران وسلطان المغرب، منع الباي محمد الكبير عامله في ندرومة من حماية المعارض السياسي لسلطان المغرب أخوه الأمير مسلمة بن محمد، الذي كانت له سلسة من الحروب، من أجل انتزاع الملك من أخيه سليمان[3].

وكان الأمير مسلمة بن محمد قد توجه إلى المشرق، وعند عودته دخل وهران وطلب من الباي الشفاعة عند السلطان سليمان، فكتب له فقبله، على أن يذهب إلى سجلماسة، واشترط عليه أن لا يتدخل في الشؤون السياسية، ولكنه لم يرض بذلك، فعاد إلى المشرق، فبقي هناك إلى أن توفي[4].

أما في عهد الباي عثمان ابن محمد الكبير فقد حاول هذا الباي السيطرة على وجدة، بعد أن تنازل عنها أبوه للسلطان سليمان، ويقول الرباطي أن الباي محمد الكبير ندم على

---

[1] - بلحميسي، المرجع السابق، ص ص : 151 -153.

[2] - الزياني، أبو القاسم، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تحقيق: عبد الكريم فيلالي، الرباط، دار نشر المعرفة، 1991م، ص ص: 140،141 .

[3] - الناصري، المصدر السابق، ج:3، ص: 421 .

[4] - المصدر نفسه، ج: 03 ، ص 442 .

ذلك، وأراد إرجاعها، فلذلك يذكر أن ابنه عثمان كان له محاولة استرجاعها، وينقل أن هناك مراسلات بين والي وجدة، والسلطان بشأن هذه التجاوزات[1].

ثورة درقاوة وعلاقة المغرب بوهران

من المعروف أن أصل الطريقة الدرقاوية يرجع إلى مؤسسها الشيخ العربي الدرقاوي المغربي الأصل، فلذلك كان ثوار درقاوة وعلى رأسهم عبد القادر بن الشريف لهم علاقة مباشرة معه، فكان يمتثل لأوامره التربوية، والدينية، والسياسية، فقد كان بن الشريف يزوره سنويا إلى قريته ببني زروال، في ضواحي مدينة فاس، وكان يأتي له بهدايا كثيرة كالخدم، والإبل، والبغال، والأموال[2] .

وللطريقة الدرقاوية دور كبير تنشيط العلاقات السياسية بين وهران والمغرب، خاصة أثناء حصار المدينة الذي سبق وتم الكلام عليه، وقد انتهى فك الحصار بعد جهود الشيخ العربي الدرقاوي، بشرط عدم ظلم الأتراك للدرقاويين، إلا أن الأتراك خرقوا عهد الأمان، فعاد ابن الشريف إلى الثورة من الجديد[3].

فنتيجة لذلك لجأ وفد من الدرقاوية إلى السلطان من أجل البيعة بسبب الظلم الذي يلقاه السكان في الجزائر من الأتراك[4]. ومن بعض المراسلات طلب الدرقاويون من العربي الدرقاوي أن يطلب من السلطان سليمان رغبتهم بالدخول في طاعته، وبيعته، فوافق الدرقاوي على هذا الطلب، فجاءته إجابة السلطان المغربي التي نقلها المعسكري في

---

[1] - الرباطي، المصدر السابق، ص: 303.

[2] - الصغير، المرجع السابق، ص: 110.

[3] - المرجع نفسه، ص: 114.

[4] - الناصري، المصدر السابق ج 3 ص 440.

كنز الأسرار: "سيدي العربي الدرقاوي ... ما ذكرت من قدومك ببيعة ولدكم السيد عبد القادر بن الشريف مع أصحابه، فمرحبا به، وبأصحابه"[1].

وبعد احتدام الثورة بين درقاوة والأتراك، طلب السلطان سليمان من العربي الدرقاوي أن يرسل لأصحابه فقال "فأكد على سيدي عبد القادر بن الشريف، إذا سمع بوصولنا لوجدة أو تلمسان، يقوم إلينا إن شاء ا "[2].

اتفق سكان تلمسان والقبائل المحيطة بها على بيعة السلطان، والخروج على طاعة الأتراك، فنتيجة لذلك فتحت مدينة تلمسان للثوار الدرقاويين، وأخذت بها البيعة للسلطان، ووجه ابن الشريف وفدا مع شيخه الدرقاوي، للسلطان مع الهدايا لأجل ذلك، فنتيجة لذلك انقلب الحضر والعرب على كراغلة تلمسان فحاربوهم، من أجل إرغامهم على الدخول في سلطة المغرب[3].

وفي17 جمادى الثانية1220هـ/ 12سبتمبر1805م جاء كتاب السلطان لأهل فاس، يخبرهم بأن أهل تلمسان بايعوا السلطان، وقد أتوا مع الشيخ العربي الدرقاوي، فلذلك أمر بإظهار الفرح والسرور في سوق الرباط، وسلا[4]، وفي البداية قبل السلطان هذه البيعة ولكن في الأخير تراجع وتنازل عنها، والتزم الحياد بسبب المشاكل الداخلية التي كان يتخبط فيها المغرب الأقصى[5].

---

[1] - الصغير، المرجع السابق، ص ص: 116-117.

[2] - المرجع نفسه، ص: 117.

[3] - الناصري، المصدر السابق، ج 3 ص 440 .

[4] - الرباطي، المصدر السابق، ص: 339 .

[5] - المصدر نفسه، – كلام المحقق – ص: 339 .

ومن مظاهر حسن الجوار بين المغرب ووهران، مراسلة السلطان سليمان لباي وهران، الذي طلب منه حسن السيرة مع رعية الأتراك، الذين ردهم إلى بلادهم، بعد أن فرو إلى المغرب[1]، وهذا ما يؤكد عدم رغبة السلطان في بيعة سكان بايلك الغرب.

وقد تدخل السلطان من أجل إقامة الصلح بين الكراغلة والحضر، بأرسل القائد أبو السرور عياد من أجل أن يقيم الصلح بين الأطراف المتنازعة، وبعد مجيء الباي المقلش تلمسان، سلمه المدينة، بعد ضبط الأمور[2].

وعند حصول المجاعة في مدينة تلمسان وما جاورها، ارتحل الكثير من الناس إلى المغرب الأقصى، فكاتب باشا الترك أن يرد رعيته فأبو ذلك، فوافق السلطان على بقائهم وإعطائهم رواتب من أجل سد نفقاتهم، ولكن بعد تحسن الظروف المعيشية قي بايلك الغرب، أمر السلطان هؤلاء الناس بالرجوع إلى أوطانهم، وكاتب الباي في شأنهم، من أجل حسن السيرة معهم، فوافق الباي على ذلك، وأمر الكراغلة بعدم ظلمهم[3].

ومن خلال هذا المبحث، يمكن القول أنه رغم المدة القصيرة التي عاشتها وهران تحت السلطة العثمانية التي لم تتجاوز الأربعة عقود، إلا أنها رغم ذلك، فقد عرفت مكانة مهمة داخل إيالة الجزائر، وخارجيا على مستوى البحر الأبيض المتوسط.

فعلى المستوى الداخلي كانت هذه المدينة عاصمة للقطاع الغربي لإيالة الجزائر، وتعاقب عليها عدة بايات، كان يعينهم داي الجزائر، كما يعزلهم متى شاء، فلذلك كانت هذه العلاقة مبنية على التبعة التامة للإدارة المركزية، ولكن هذا لم يمنع المدينة من أن

---

[1] - الصغير، مرجع سابق، ص: 118.

[2] - الناصري، المصدر السابق، ج: 3 ، ص: 440.

[3] - المصدر نفسه، ج: 3 ص 440.

تكون لها علاقات مع محيطها الخارجي، خاصة مع اسبانيا والمغرب الأقصى، أما هذه العلاقات مع إسبانيا فقد غلب عليها الطابع التجاري والاقتصادي، أما الجانب السياسي فكانت نادرة إلا ما تعلق بثورة الباي بوكابوس .

وفيما يخص علاقات وهران مع المغرب الأقصى، فشهدت حضورا سياسيا كبيرا، منذ تحرير المدينة خلال عهد الباي محمد الكبير، ولعل ما زاد من تطورها ثورة درقاوة، التي أدخلت المغرب في نشاط سياسي، من أجل تسيير أحداث هذه الأزمة فى عهد السلطان المغربي سليمان، الذي لم تكن له أطماع سياسية في الغرب الجزائري، وكان يفضل السلم وحسن الجوار.

الفصل الثالث

فئات المجتمع والظروف الصحية والمعيشية

الفصل الثالث

فئات المجتمع والظروف الصحية والمعيشية

تمهيد

عرف المغرب الأوسط خلال القرن العاشر الهجري تحولا سياسيا، واجتماعيا، فقد انضم إلى الإمبراطورية العثمانية كإيالة تسمى الجزائر، هذا ما أدى إلى تغير في النظام السياسي، والإداري، إضافة إلى تغير في التركيبة الاجتماعية، بانضمام فئات اجتماعية جديدة، كفئة الأتراك، والكراغلة، التي كان لها دور مهم في الجانبين السياسي، والإداري للبلاد، كما تطورت المدن الجزائرية فعرفت حركة من الهجرات، داخلية وخارجية، فهاجر أهل البوادي و المدن الصحراوية، فعرفت بفئة البرانية، وهجرة خارجية تمثلت في نزوح الأندلسيين بعد سقوط غرناطة .

كل هذا أدى إلى ظهور نسق إجتماعي جديد داخل مجتمع مدينة وهران، صنعته عدة مؤثرات، فأصبح هذا المجتمع يتميز بالتنوع. بالإضافة إلى ظهور الكثير من الأزمات الصحية، والمعيشية، الأوبئة، والمجاعات، وهذا أثر بشكل كبير في حياة السكان.

المبحث الأول

الفئات الاجتماعية

تمهيد

إن المدينة بإعتبارها مجال حضري، وجغرافي، له خصوصيته من خلال تنوع التركيبة السكانية مقارنة بالبادية، وهذا سواء من ناحية الإنتماء العرقي أو الديني، فمدينة وهران قد عرفت عدة فئات اجتماعية، فمنذ أن أعاد الباي محمد الكبير تعميرها، سكن المدينة الأتراك، والكراغلة، والبرانية، والمغاربة القادمين من المغرب الأقصى، واليهود الذين أتو من داخل الإيالة الجزائرية، وخارجها.

فئة الأتراك والكراغلة

كان عددهم قليلا في وهران، فقد وصل عدد الأتراك في كل بايلك الغرب 1300، أما الكراغلة فكان عددهم لا يتجاوز 1400[1]، ورغم قلة هذه الفئة، إلا أن مكانتهم مهمة، فعملوا كجنود في حامية المدينة، وموظفين في مناصب إدارية، وما يميز هاتين الفئتين هو احتقارها للسكان العرب، وأصحاب البادية، وتحاول بعض الكتابات الغربية تشويه صورة هذه الفئة من خلال الادعاء بأنهم يكرهون العرب ويبررون موقفهم هذا عندما يتعرضون للحديث عن قضية مقاومة الأمير عبد القادر. وبلغ بهم التشويه إلى حد القول بأن الأتراك والحضر يفضلون الحكم الفرنسي على حكم الأمير.

---

[1] - شويتام، مرجع سابق، ص:84.

ورغم هذا فإن هذه الفئة لم تستطع الاندماج في مجتمع مدينة وهران، كما أن بقية السكان لم يكونوا على ود معها، لقساوة معاملتها وترفعها عليهم، وقد عاين الأمير عبد القادر أثناء تواجده بوهران هذه التصرفات الجائرة، والمعاملة السيئة لبعض رجال هذه الفئة[1].

ومما لاشك فيه أن فئة الأتراك كانت تمثل قمة الهرم الاجتماعي، ثم تليها فئة الكراغلة، ولكن هذا لم يمنع من أن يكون باي وهران من الكراغلة، أما جيش الحامية فكان أغلبه من الأتراك، إضافة إلى تمتعهم بمناصب إدارية، كحسن خوجة، وقايد عمر، والحاج حسن باشتارزي[2]

وتجدر الإشارة أن الأتراك مثلوا أقلية في المجتمع و شغلوا كجنود الانكشارية، وحسبنا أن قلة عددهم ترجع إلى حالة العزوبية[3] التي كانوا يعيشونها، وعدم تبني أبنائهم الكراغلة، الذي اعتبروه عنصرا لا يرتقي إلى مستواهم، والعزلة التي فرضوها على أنفسهم فترجع إلى اعتقادهم بأهمية أدوارهم، مما دعاهم للحفاظ على امتيازاتهم، فقد كان بعض الجند الأتراك يفقد هذه الامتيازات بمجرد مصاهرته واختلاطه بالسكان[4].

وكانت قواتهم تضع في مقدمة جيش الباي أثناء القيام بحملاته العسكرية،[5] ويركبون البغال، وكان الشواش يمشون وراءهم على إقدامهم، ويتسلمون 10ريالات بوجو

[1] - سعيدوني، ورقات جزائرية، ص: 340.

[2] - Benkada, ibid, p: 86 .

[3] - وقد أطلق عليهم تسمية الزبنطوط لأنهم لم يكونوا متزوجين. ينظر: بوروبية، المرجع السابق، ص: 124

[4] - سعيدوني، الجزائر في التاريخ، ص ص: 94،92.

[5] - بوروبية، المرجع السابق، ص: 124 .

من غنائم الحرب، وإذا كانت هذه الغنائم قليلة يتسلم الجندي التركي ثلاث ريالات[1]. ويشكلون الفرق العسكرية الموجودة بوهران، تتسلم كل خمسة أيام القمح، وكبشا، وعشرين رطل من السمن، وجرة من الزيت، إضافة إلى عشرين رطلا من الصابون شهريا. ولجنود الأتراك مقهى خاص بهم الذي كان يسيره أربعة منهم، يعينهم الباي كل مرة جزاءا على انضباطهم، وأداء مهامهم[2].

أما الكراغلة فهم نتيجة تزاوج جنود الانكشارية مع نساء جزائريات، ويمارسون التجارة ويقومون بالوظائف الإدارية، والاستثمار في الأراضي الفلاحية الموجودة في ضواحي وهران، وفي مستهل القرن التاسع عشر، وأصبحت غالبية الوظائف الإدارية في البايلكات من اختصاصهم .

ويشكل الأتراك، والكراغلة الفئة الحاكمة في مدينة وهران، فهي تشغل مختلف المناصب الإدارية، والسياسية، وهذا تماشيا مع سياستهم التي كانوا يسيرون عليها في السيطرة على شؤون الحكم في إيالة الجزائر، ومختلف المقاطعات الإدارية التابعة لها. هذا إضافة إلى ما كانت تتمتع به هذه الفئة من امتيازات اقتصادية، واجتماعية [3].

إلا أن الأتراك استحوذوا على المناصب السياسية،[4] والعسكرية المهمة في المدينة، ثم تليها فئة الكراغلة التي شغلت المناصب الإدارية الأخرى، وتجدر الإشارة أن بايات وهران كانوا من فئة الكراغلة، لأنها كانت الفئة الوسط بين الأقلية الحاكمة المتمثلة في

---

[1] - المرجع نفسه، ص: 124 .

[2] - المرجع نفسه ، ص: 125.

[3] - الواليش، فتيحة، الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، ص: 112.

[4] - الواليش، المرجع السابق، ص: 113.

الأتراك من جهة، وبقية المجتمع الوهراني من جهة أخرى، فلذلك يشترط على من يترشح لمنصب الباي، أن تكون له علاقات ومصاهرات مع المجتمع، بما لها من أبعاد سياسية تساعد الباي على أداء عمله في مقاطعته الإدارية، فقد قال المزاري[1]: "لا يتولى منصب الباي، أو الخليفة، أو قيادة المدينة، أو المرسى، أو فليتة، إلا من كان تركيا، أو كرغليا".

الحـضـــــر

يطلق لقب الحضر أو البلدية على السكان القاطنين في المدن منذ الفترة الإسلامية، أو ما انضم إليهم من الطائفة الأندلسية، فضلا عما كانوا يتمتعون به من عادات، وتقاليد خاصة بهم، هذا ما جعلهم يتمتعون بوضع اجتماعي يميزهم عن بقية سكان الإيالة في الريف، وكانوا يشتغلون بالحرف، والتجارة، والأعمال الإدارية[2].

ولا يخفى أن هذه الفئة تواجدت في مدينة وهران منذ فتحها، إلا أن لها خصوصية تختلف عن باقي حضر مدن الإيالة، فهم لم يتوطنوا وهران منذ العصور الإسلامية، بل هم من المدن المجاورة، كمستغانم، ومليانة، ومعسكر، والمدية، التي جاءوا منها بعد أن استدعاهم الباي محمد الكبير، عقب فتح المدينة.

ورغم الامتيازات والمكانة التي كان يتمتع بها الحضر في المدينة، إلا أنهم أبعدو عن السلطة، وكانوا يشكلون فئة ثالثة في المجتمع بعد الأتراك والكراغلة، فلذلك لم يكن لهم تأثير سياسي يذكر، وكان اشتغالهم الأساسي في حرفهم، وتجارتهم، وتنمية أموالهم، وأصبحوا بذلك يشكلون ما يسمى ببرجوازية المدن الصغيرة [3].

---

[1] - المزاري، المصدر السابق، ج1، ص:290 .

[2] - سعيدوني، الجزائر في التاريخ،ص: 97.

[3] - شويتام، المرجع السابق، ص: 95 .

إن هذا الضعف السياسي الذي كانت تتميز هذه الفئة، راجع إلى اختلاطهم بالفئة الحاكمة، وتأثرهم بها، فضلا عن عدم تجانسهم مع سكان المدينة، عكس الوضع الذي كان موجودا في الريف، الذي كان يقوده شيوخ القبائل، والمرابطين. وكان الحضر قرب مركز الحكم، فلذلك لم يكن لهم مجال للمناورة، إضافة إلى أن مصالحهم لم تكن مهددة، وهذا ما جعل مسألة صراعهم مع السلطة غير مطروحة[1].

الأشراف

كان بمدينة وهران فئة اجتماعية لها مكانتها، واحترامها في المجتمع، وهم الأشراف، الذين كانوا ينتسبون إلى النبي صلى ا عليه وسلم، و تواجدوا بالمدينة منذ فتحها في عام 1206هـ/ 1792م، وقد جاؤوا من عدة مدن، مثل مازونة، ومعسكر، وإقليم بني راشد[2]، وغريس، وقد كان لهؤلاء دور إلى جانب المرابطين، والعلماء في تحرير المدينة من الإسبان.

ويمكن تصنيف الأشراف على النحو التالي

أشراف مازونة، ومنهم محمد الصادق الحميسي المازوني، الذي كان قاضيا بوهران.

أشراف أولاد المبطوح، ومنهم الشريف القرقالي، ومحمد بن البشير بن الغوثي.[3]

---

[1] - المرجع نفسه، ص: 96.

[2] - اقليم بني راشد، يمتد هذا الإقليم على نحو خمسين ميلا من الشرق الى الغرب، وعرضا تقريبا خمسة وعشرين ميلا، فالجهة الجنوبية منه أغلبها سهول أما الشمالية فكلها مرتفعات، وأهم مدن هذا الإقليم قلعة هوارة، وتسمى أيضا بقلعة بني راشد ومدينة معسكر. ينظر: الوزان، المصدر السابق، ج: 2، ص ص :26،27 .

[3] - Benkada, ibid, p: 89.

أشراف بني راشد، ومنهم محمد مصطفى ابن زرفة الدحاوي، الذي كان كاتب، ومؤرخ الباي محمد الكبير.

أشراف البرج، ومنهم محمد بن البشير الحريزي الزياني، وأحمد بن يوسف الزياني المؤرخ، ومحمد قوجيل، وأحمد بن فغول .

أشراف أولاد مراح، ومنهم مصطفى ابن الهاشمي، وأحمد ابن الهاشمي الذي كان قاضيا بمعسكر، والحبيب بن الهاشمي .

أشراف الحشم، ومنهم أحمد بن التهامي، وإبنه مصطفى ابن التهامي[1]، وينتسبون إلى شرفاء الشهرة ببني راشد، ومن العلماء التي أنجبتهم هذه الأسرة الطيب بن عبد الرحمن الذي كان من تلامذته العربي المشرفي[2]، وتنتسب هذه الأسرة إلى الشيخ أحمد بن علي دفين غريس[3].

المرابطون

---

[1] - ibid, p: 88.

[2] - المشرفي، العربي بن عبد القادر، ياقوتة النسب الوهاجة في ذكر نسيب سيدي علي مولى مجاجة، تحقيق: حمدادو بن عمر، الجزائر، دار قرطبة للنشر، ص: 302.

[3] - البوعبدلي، المهدي، رسائل في التراث والثقافة، تحقيق: أبو القاسم سعد ا ، الجزائر، منشورات المجلس الاسلامي الأعلى 2010م، ص: 142 .

عرفت مدينة وهران هذه الفئة كممثل لحركة التصوف وطرقه في المجتمع، فكانت لها مكانتها الاجتماعية، والدينية، والسياسية، وقد كان لهم دور هام، فكانوا يحكمون في النزاعات بين الأهالي وأصحاب السلطة، و يحمون المهاجرين، والضعفاء من الناس، فلذلك تمتعوا باحترام كبير[1].

وينتسب مرابطي وهران إلى مجموعة من الأولياء، وعلى رأسهم ذرية الشيخ محمد بن عمر الهواري، ولهذه الأسرة تأثيرا كبيرا امتد إلى خارج المدينة ، إضافة إلى دورهم الثقافي ، ومن المرابطين أيضا أولاد الشيخ إبراهيم التازي، الذين كانوا يتمتعون بالدور نفسه، والبواشرية، الذين ينتسبون إلى جدهم البشير بن يحي، ويرجع أصلهم إلى غريس، والدواودية وجدهم داود دفين سيق، إضافة إلى أولاد علي الشريف، وأولاد أحمد بن يوسف، وأولاد سعيد الذين يرجع أصلهم إلى عين تموشنت، وأولاد مسعود من تاغية، وأولاد قادة بن المختار من القيطنة.[2]

فئة البرانية

هم الذين دخلوا وهران كمهاجرين، ويمكن حصرهم في قبائل البربر، والمزابية، والمغاربة، والأفارقة، وكان لم دور ونشاط اقتصادي هام في المدينة، ويبدو أنه غير معترف بهم كسكان للمدينة، فكانوا يعيشون نوعا من التهميش، ولذلك قاموا بتأسيس

---

[1] - Benkada, ibid, p: 102.

[2] - Benkada, ibid, p: 90 .

نقابات للدفاع عن حقوقهم [1]. وأغلب نشاط هذه الفئة القيام بالمهن البسيطة، كما كان لهم محلات، أغلبها قرب الأبواب الرئيسية للمدينة، وقرب الحمامات والأسواق[2].

1-المزابية

ينتسبون إلى بني ميزاب الموجودين في مدينة غرداية وضواحيها في الصحراء، إلا أنهم جاءوا من مستغانم، ومعسكر بعد فتح المدينة، وكان عددهم كبيرا فيها مقارنة بتلمسان، وبمعسكر، ومستغانم[3]، وكان البعض من هذه الفئة يخيم في سهل وهران، وأمام أبواب المدينة[4].

2-القبائل أو القبايل

وأصولهم بربرية أمازيغية من زواوة، وبني عباس، وأقبو، وهناك من جاء من بعض الجبال القريبة من وهران من الظهرة، وفليتة، وجبال ترارة بتلمسان، وبني سنوس، وولهاصة، ومسيردة، وجبال ندرومة، وكانوا باعة متجولين، وصناع، وحرفيين، وبنائين. وقد حافظوا على عادتهم القبائلية، ويطلق عليهم اسم زواوة، وأولاد عباس[5].

---

[1] - Benkada, ibid, p: 106.

[2] - الواليش، المرجع السابق، ص:103 .

[3] - Benkada, ibid, p: 107 .

[4] - ibid, p p: 108-109.

[5] - ibid, p 100.

3-المغاربة

جاءوا من المغرب الأقصى، وكانت أصولهم بربرية أمازيغية، جاؤوا من درعة[1] وفقيق[2]. و كانوا يشتغلون بنفس الأعمال التي كان بربر الجزائر يزاولونها، إلا أن هجرتهم موسمية غير دائمة، كما كانوا يقومون بتدريس القرآن في ضواحي وهران. وتجدر الإشارة أن المغاربة كانوا متواجدين بكثرة في المدينة. وكانت هناك علاقات ثقافية، وعلمية بين المغرب ووهران، وهناك بعض من المغاربة يأتي من أجل الدراسة في هذه المدينة، وفي مازونة.[3]

النصارى

لم يكن النصارى والأوربيين متواجدين في وهران بجنسيات متعددة، إلا بعض العائلات الاسبانية التي بقيت في المدينة بعد تحريرها التي تراوح عددها بين 70و80 عائلة، التي حضيت بحماية الباي محمد الكبير[4]، إلا أنها لم تقو على العيش في المدينة، ففضلت العودة إلى اسبانيا، ولم يمكث بوهران إلا فرنسي واحد يسمى دومينيك، الذي

[1] - درعة، إقليم يمتد من المحيط الأطلسي إلى مسافة مائتين وخمسين ميلا في الصحراء، وهو إقليم ضيق، وأغلب سكانه على ضفاف نهر درعة، ويبنون قصورهم بجواره، وتحيط به البساتين، والنخيل. ينظر: الوزان ، المصدر السابق، ج: 118/2 ، 119 .

[2] - فقيق، هي عبارة عن ثلاثة قصور في وسط الصحراء، وتحيط به عدد كبير من النخيل، ويتعاطى أهلها التجارة، والصناعة، وقصور فقيق تبعد بنحو مائتين وخمسين ميلا شرقي سجلماسة. ينظر: الوزان، المصدر السابق، ج: 2 ، ص ص :132، 133.

[3] - Benkada, ibid, p p 110 -111.

[4] - Lespes, ibid, p 92.

شغل مهنة الجوهري بعد إسلامه لدى الباي محمد الكبير[1]. أما النصارى الذين كانوا أسري نتيجة الجهاد البحري، فقد تواجدوا بكثرة في المدينة، ولكن عند حملة أكسموث في سنة1231هـ/1816م، تم تسليم كل الأسرى بما فيهم الأسرى المسيحيين الموجودين في هذه المدينة[2].

اليـ ـهـ ـ ـ ـود

تواجد اليهود بوهران[3] بكثرة، حيث وصل عددهم بعد الفتح الثاني للمدينة إلى حوالي 2800 يهودي[4]، أما عن كثرتهم في المدينة رغم حداثة تعميرها، وتأسيسها من طرف الأتراك، فيعود إلى تشجيع الباي محمد الكبير لليهود المتواجدين داخل إيالة الجزائر، وخارجها، إلى تعمير مدينة وهران، وذلك بسبب نشاط ومهارة اليهود، في الميدان التجاري، والحرفي .

وقد استقر بالمدينة اليهود القادمين من تلمسان، وندرومة، ومعسكر، ومستغانم، ومدينة الجزائر، ومن المغرب الأقصى،[5] إضافة إلى جماعات يهودية من جبل طارق،

---

[1] - بلبراوات، المرجع السابق، ص ص: 169 - fey, ibid, p p 267-268

[2] - المزاري، المصدر السابق، ج1، ص:347.

[3] - يعود تواجد اليهود في مدينة وهران إلى قبل العهد العثماني، فعند احتلال الإسبان لهذه المدينة بقي اليهود فيها، إلا أن الكاردينال خمينيس حاكم وهران فرض عليهم ضرائب باهضة في عام 1509م، ثم تم طردهم نهائيا من المدينة سنة 1669م، فتوجهوا الى ايطاليا، لكنهم عادوا إلى وهران بعد استرجاعها سنة 1708م، ثم عادوا لها ثانية بعد الاسترجاع الثاني سنة 1792م. ينظر: نجوى طوبال طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر 1700م- 1830م من خلال سجلات المحاكم الشرعية مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، ص: 45.

[4] - فارس العيد، المرجع السابق، ص: 19.

[5] - شويتام، المرجع السابق، ص: 133، طابي معمر، المرجع السابق، ص: 55.

ومن تطوان، وكانت تنتمي لهذه الجالية اليهودية الجديدة عائلات تجارية ثرية، مثل كوهن سلمون من مدينة الجزائر، وعائلة كابيزا من المغرب، وعائلة قابسون من جبل طارق، وعائلة لفي برام ابولكر، وعائلة تميم، وكانت هذه العائلات تمارس المبادلات التجارية مع أوربا خاصة اسبانيا[1].

ويرجع تأسيس الجالية اليهودية بالمدينة إلى أيام الباي محمد الكبير الذي باع لهذه الطائفة بعض الأراضي والأماكن، بدون وثائق إلى غاية سنة1216هـ/1801م، التي تم توثيق فيها هذه الممتلكات[2]، أما محتوى هذا العقد، فيتضمن بيع الباي محمد بن عثمان قطعة أرض في شارع ارحى الريح، إلى غاية دار بونقاب، ثم ينزل إلى حديقة اليهود، ومن تحت قطعة الأرض، يوجد واد، وتم البيع لممثلي الطائفة اليهودية، وهم ولد يعقوب، وهارون بن داود، وهذا الموضع كانت به بيوتا خشبية، خلفها الإسبان بحي رحى الريح، في غرب المدينة، واشتروا هذه الأرض بسعر820 سلطاني جزائري، وهذا ما يعادل 8200 فرنك فرنسي، وشهد على هذا العقد المكي بن عيسى، ومحمد بن حسن، و أحمد بن حطراب في شوال1215هـ/ فبراير1801م، وكان هذا الموضع قاعدة لبناء حيهم، حيث بنو منازلهم، ومحلاتهم التجارية، والحرفية، وغيرها، وأعطاهم موضع أخر مجانا بصفة دائمة، قرب سيدي شعبان، بضواحي المدينة، من أجل دفن موتاهم[3]. إلا أن ملكية اليهود للأراضي في إيالة الجزائر محدودة بما في ذلك مدينة وهران، ولم يكن يسمح لهم

---

[1] - بلبروات، المرجع السابق، ص: 171، فارس العيد، المرجع السابق، ص: 19 .

[2] - Bloch, ibid, p p 05 -06 .

[3] - بلبراوات، المرجع السابق، ص: 170 ، شويتام، المرجع السابق، ص: 134 ، bloch, ibid, p: 06

بامتلاك الأراضي الفلاحية، وهذا بسبب كون معظم اليهود يمارسون التجارة والعمل الحرفي[1].

وكان لليهود علاقة جيدة بسكان المدينة، والحكام العثمانيين، فهم محل ثقة، أما أغنياء الحضر فيفضلون التعامل معهم، وذلك لتشابه أسلوب حياتهم، فأغلب الحضر من أصول أندلسية، وكذلك الأمر بالنسبة لليهود، أما علاقتهم ببقية الفئات الأخرى فكان الحذر يميزها، وكانت علاقاتهم مبنية على المصالح[2] .

و لهذه الفئة مجموعة من العادات والطقوس الدينية التي كان يمارسونها في هران، هي حركة القبالة، التي ظهرت في الجزائر في القرن الـ 18م، وتمركزت على قراءة الزوهر، التي انتشرت في مدينة الجزائر، وقسنطينة، وغرداية، إضافة إلى الحركة السبتية التي استمرت بصفة خاصة في المدينة ، وتزعمتها إحدى الأسر الثرية وهي عائلة كاسينو.[3]

الصراع داخل المجتمع اليهودي

لم يكن المجتمع اليهودي في مدينة وهران، على وفاق دائم، وتماسك اجتماعي، فقد كانت هناك قطيعة وصراع بين اليهود ذووا الأصل الاسباني، واليهود الذين ترجع أصولهم إلى المغرب الأقصى، المهاجرين من تطوان، وطنجة، فرغم احتكاكهم الدائم باسبانيا، وتأثرهم الكبير بالبيئة الأندلسية، إلا أنهم بقو يعاملون كيهود من الدرجة الثانية،

---

[1] - شويتام، المرجع السابق، ص: 65.

[2] - فارس العيد، المرجع السابق، ص: 19.

[3] - فوزي سعد ا ، يهود الجزائر، هؤلاء المجهولون ; الجزائر دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2004م ، ص: 157.

في السلم الاجتماعي اليهودي، فقد اعتبروا دائما من التشابيم[1]، ذوا الأصول الإفريقية البربرية القديمة، لتأثرهم الكبير بالثقافة الإسلامية العربية البربرية، هذا إضافة إلى الخلاف الاقتصادي، والمصلحي بين الفئتين، ووصلت هذه الصراعات إلى درجة أن حرم الحاخام صمويل ناهون الزواج من اليهوديات الاسبانيات[2].

ومن جانب آخر شهدت العلاقات اليهودية صراع وتنافس اقتصادي تجاري بين العائلات اللفرونية، المتمثلة في كل من عائلات بكري، وبن زكان، ودارمون، والعائلات ذات الأصول الاسبانية المتمثلة في عائلة قابسون، وكابيزا، وبن سيريا، واجل، وسانشا، فكانت هناك منافسة شديدة على السيطرة على الأسواق الداخلية، والخارجية، فاضطر كل فريق إلى تحريك تحالفاته، فيهود وهران كانوا يتعاونوا مع اسبانيا، وانجلترا، المتواجدين في جبل طارق، من أجل أن يحجز لهم الأسواق في بلدانهم، ويهود مدينة الجزائر اللفرونيين، كانوا يتحالفون مع فرنسا، وداي الجزائر الذي سيطرت عليه عائلتي بكري، وبوشناق[3].

---

[1] - ينقسم المجتمع اليهودي الى ثلاث فيئات هم

- اليهود اللفرونيين القادمين من مدينة لفرونة الايطالية، ويسمون باليهود النصارى، ويتميزن بنشاطهم التجاري وثرائهم الكبير.
- يهود الميغورشيم هو يهود ذات أصول أندلسية اسبانية.
- يهود التشابيم وهم ذات أصول افريقية بربرية، ويتميزون بقلة نشاطهم التجاري والحرفي، مقارنة بالفئين السابقتين،

[2] - فوزي، سعد ا ، المرجع السابق، ص: 147-148.

[3] - المرجع نفسه، ص: 151.

قبائل المخزن في ضواحي وهران

يمكن إضافة هذه الفئة إلى المجتمع الوهراني، لأنها كانت في احتكاك دائم مع مدينة وهران، وكان لزعمائها دورا مهما في الحياة السياسية، والعسكرية، في المدينة، وتتشكل هذه القبائل من مجموعتين كبيرتين، وهما قبائل الزمالة، والدواير، وتتشكل كل مجموعة من هذه المجموعات، عدة أعراش، وبطون .

الدواير وتضم مجموعة من الأعراش، وهي البحايثية، والكراطة، الذين يقيمون في مدينة الكرط، إحدى مدن غريس، والبناعدية الذين يقيمون في واد الحمام، وكانت قبيلة الدواير تكون من 129 منزلا، تشكل 23 تجمعا، أما الزمالة فتحتوي على 161 منزلا، تشكل 30 قرية [1]، وتتربع قبيلة الدواير على مساحة 140الف هكتار[2].إلا أن أهم هذه البطون فيرجع إلى كل من البحاثية والزمالة.

البحاثية، وينتسبون إلى قبيلة سويد الهلالية، وجد هذه الأسرة هو المسعود، الذي كان من حلفاء المرينيين الذين كانت دولتهم في المغرب الأقصى، وسكن جدهم أحمد الباحث بن المسعود ضواحي وهران، خلال القرن ال11 هـ/17 م، ومنه تنحدر أسرة البحايثية المخزنية، وتولوا قيادة المخزن منذ عهد الباي مصطفى بوشلاغم[3].

الزمالة، تتشكل من ثمانية عروش وهي المخاليف، والقرايدية، ويقال لهم المعايزة، والورادردية، والمخاترية، والونزارة، واليساسفة، والشوايلية، وتولى قيادة مخزن الزمالة

---

[1] - طابي معمر، المرجع السابق، ص: 82.

[2] - المرجع نفسه، ص: 83.

[3] - المزاري، المصدر السابق، ج: 1، ص:276 .

من المخاليف في وهران المرسلي بن محي الدين، وتولى من القدادرة محمد الوهراني بن قدور، وأخوه عدة بن قدور[1].

وكان لفئة المخزن أهمية سياسية، وعسكرية في المدينة، الذين كانوا يسمون في الشرق بنبلاء السيف، أما في الغرب فيسمون بالأجواد، وكان لهم دور كبير في حماية السلطة التركية في وهران.

وقد كانت مدينة وهران تحيط بها هذه القبائل، من أجل حمايتها من قبائل الرعية المنتشرة في أرياف بايلك الغرب، فلذلك كان نشاطها ذات طابع عسكري، كما كان قادة هذه القبائل من حاشية الباي، ومساعديه في إدارة المدينة، وبايلك الغرب، كما سبق ذكره ، وما يميز هذه الفئة أنها لم تكن حضرية متمدنة، بل هي فئة من الريف، تمارس النشاطات الزراعية، والرعوية، في الضواحي.

وبذلك عرفت مدينة وهران تنوعا من حيث السكان، فقد شكلت نسيجا اجتماعيا يتكون من عدة فئات، ذات أهمية، ومكانة اجتماعية، وسياسية. و أهم ما ميز التركيبة الاجتماعية، الاختلافات الدينية، والمذهبية، والعرقية، إضافة إلى الاختلافات في النشاط الاقتصادي.

فالأتراك والكراغلة يمثلون قمة الهرم الاجتماعي، حيث شغلوا المناصب الإدارية، والعسكرية ، تليهم فئة الحضر، والأشراف، ويمثلون في الغالب الحياة الثقافية في المدينة، إضافة لممارستهم مختلف الحرف، أما فئة البرانية فتعتبر في مؤخرة السلم الاجتماعي وهم يشغلون المهن الشاقة، وهم بذلك يشكلون أدنى مرتبة في المجتمع .

---

[1] - المصدر نفسه، ج:1، ص:276.

المبحث الثاني

الأوضاع الاجتماعية والمعيشية

والظروف الصحية

تمهيد

إن الفئات الاجتماعية التي كانت تعيش بوهران، لم تكن في المستوى المعيشي نفسه؛ فهي تختلف بحسب المكانة الاجتماعية، وطبيعة النشاطات الاقتصادية التي تمارسها كل فئة.

وقد مرت المدينة بظروف اقتصادية صعبة، أدت لحدوث مجاعات في سنوات مختلفة، هذا ما أثر على المستوى المعيشي للسكان، إضافة إلى الأوضاع الصحية المتردية، من أمراض و أوبئة، كلها أثرت سلبيا على السكان.

المستوى المعيشي لسكان وهران

يعتبر النشاط الاقتصادي في المدينة، ومكانة الفئات الاجتماعية، عوامل ساهمت في تميز المستوى المعيشي بين السكان. فكان الحضر والكراغلة والأتراك يساهمون بمداخيل اقتصادية كبيرة، نتيجة لما كانوا يملكونه من أملاك عقارية، وإقطاعيات، كالمنازل، والبنايات، والمحلات داخل المدينة، إضافة إلى إقطاعيات من الأراضي الزراعية في أحواز المدينة وضواحيها، وقد امتدت هذه الأملاك خارج المدن لتشمل مدن أخرى، ولعل هذا هو سبب التطور المعيشي لهذه الفئات، إضافة إلى تولي مناصب في الحكم سواء من العسكريين، أو من الإداريين من الأتراك والكراغلة. فكانت لهاته الفئات أراضي في

ضواحي المدينة يشتغل فيها فلاحون بنظام الخماسة، لأنهم لم يكونوا يستطيعون العمل فيها، لانشغالهم في أعمالهم الإدارية، والتجارية، والحرفية في المدينة[1].

وكان للباي محمد الكبير ثروة طائلة بسبب نشاطاته الاقتصادية المتعددة[2]، ولم تكن ممتلكاته في مدينة وهران فقط، بل امتدت في مدن أخرى كالبليدة ومليانة[3]، وكذلك الأمر بالنسبة لإبنه الباي عثمان الذي استحوذ على ثروة ضخمة، ولكنها صودرت أثناء عزله، ونقله إلى مدينة البليدة، وكانت تشمل هذه الثروة الأثاث، والتحف، والسلاح، وتسع وثلاثين جملا، وثلاثين حصانا وعشرين عبدا[4].

وكانت فئات أخرى في مجتمع وهران تشمل الصناع، والحرفيين، وأصحاب التجارة الحضرية الداخلية، في المدينة ميسورة الحال، لم تكن في عتبة غنى الحاكم، أو في مستوى الفقر[5].

وقد تمتع قسم كبير من الجالية اليهودية بمستوى معيشي عالي، منهم الأسر التجارية التي كانت تسيطر على التجارة الخارجية لمدينة وهران، فقد كان مردوخي دارمون من أغني يهودها، وهذا ما مكنه من بناء معبد لطائفته[6].

---

[1] - أبو القاسم، سعد ا ، تاريخ الجزائر الثقافي، ص: 1ج:152.

[2] - بلبروات، المرجع السابق، ص: 208.

[3] - الواليش، المرجع السابق، ص: 115.

[4] - سعيدوني، النظام المالي، ص: 122.

[5] - الواليش، المرجع السابق، ص: 117.

[6] - فارس العيد، المرجع السابق، ص: 19.

ويصف الرحالة الألماني فون مالتسان عند دخوله وهران عشية الاحتلال الفرنسي، بأنه رأى اليهود مرتدين أغلى الثياب، ويعيشون عيشة البذخ، وهكذا فإن اليهودي لا يخلو من الغرور، رغم سيطرة الروح التجارية عليه، أما عن حالتهم المادية فيصفهم بأنهم أغنى بكثير من يهود الجزائر، وعن عاداتهم في المناسبات فهم يبالغون في التأنق والتجميل[1].

الأمراض والأوبئة

بالحديث عن الأمراض والأوبئة، نجد أن كثيرا منها ضربت إيالة الجزائر، كالكوليرا والتفيس، والطاعون، والتي كانت لا تختفي في منطقة إلا لتعود للظهور في منطقة أخرى، ومما زاد من خطورتها تزامنها مع انتشار الجفاف، والمجاعات، والكوارث الطبيعية، المتمثلة في الزلازل، وفترة البرودة القارصة، واجتياح الجراد[2]، بالإضافة إلى جهل أغلبية السكان بأبسط قواعد الصحة، كما أدت قلة الأدوية أيضا إلى زيادة الحالة الصحية سوءا، فالبلاد "تكاد تخلو من صيدليات أو حوانيت تبيع الأدوية"[3].

ولم تختلف الصورة كثيرا بوهران التي عمها الطاعون بعد فتحها عام1206هـ/ 1792م، فاضطر الباي محمد الكبير إلى الفرار إلى خارجها، فتوجه هو وأسرته إلى مدرسة خنق النطاح، التي شيد مكانها مسجدا سنة 1793م[4].

ثم تعرضت من جديد لهذا الوباء سنة 1208هـ/ 1794م والذي راح ضحيته عدد كبير من الناس[1]، وسمي هذا العام ببحبوبة عثمان نسبة إلى عثمان بن الباي محمد

---

[1] - فون مالتسان، المصدر السابق، ص: 31 .

2 - عليو، محمد، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في منطقة معسكر خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر (1701-1830)؛ مذكرة ماجستير، جامعة معسكر، ص: 119.

[3] - سعيدوني، النظام المالي، ص: 54 .

[4] - بلبروات، المرجع السابق، ص: 218 .

الكبير، وعلى إثر هذا الوباء لجأ الباي محمد الكبير وحاشيته إلى سهل ملاتة، وبعد ثلاثة أشهر نقصت حدة الوباء فرجع إلى قصره بالمدينة, وترك هذا الطاعون أثرا مرعبا في حياة السكان[2]. ثم أصيبت به المدينة من جديد في سنة1211هـ/1797م بسبب الحجاج الراجعين من المشرق إلا أن حدته كانت أقل من السابق[3].

ويبدوا أن هذا الوباء لا يريد مغادرة المدينة، حيث ظهر مرة أخرى في أيام الباي عثمان بن محمد الكبير، وبالتحديد في 16شوال 1213هـ/ 23 مارس1799م، بسبب دخول الحجاج إلى مدينة وهران الذين نقلوا عدوى هذا الوباء من تلمسان، ومعسكر، وتادميت, وتواصل أثره إلى سنة1217هـ/ 1802م وانتشر في مختلف مدن وأرياف بايلك الغرب[4].

أما عن أثار هذا الطاعون، فيذكر مسلم بن عبد القادر أنه تسبب في موت الكثير من الناس، فقال: "عاد في أيامه أي الباي عثمان الطاعون بهذا الوطن ... ومات به الجل من الناس، والعلماء كالعلامة الإمام الشيخ سيدي عبد القادر بن السنوسي، ودح بن زرفة، وأخيه الفقيه الألمعي الأريب صاحب فتح وهران السيد محمد المصطفى بن عبد ا وغيرهم"[5].

---

[1] - Lespes, ibid, p: 93.

[2] - fay, p: 271, Lapene, ibid, p: 12.

[3] - Lespes, ibid, p: 93.

[4] - موساوي، فلة ، الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518 -1871) أطروحة دكتوراة، جامعة الجزائر، ص: 88.

[5] - بن عبد القادر، المصدر السابق ،ص: 69 .

وشهدت المدينة استقرارا صحيا في السنوات الممتدة من سنة 1217هـ/1802م- إلى سنة 1233هـ/ 1817م، فخلال هذه الفترة لم تشهد ظهور أمراضا وأوبئة. إلا أنه في سنة 1233هـ/1817م ظهر الوباء، بسبب دخول سفينة عثمانية حاملة للحجاج من مدينة الإسكندرية إلى مدينة الجزائر، حاملة لعدوى الوباء، وانتقل بعد ذلك إلى بقية مدن وأرياف الإيالة، ودام ثلاث سنوات[1]، فخلف أضرار بشرية كبيرة فكان يقتل يوميا في مدينة الجزائر حوالي مائتي نسمة، وانتقل هذا الوباء إلى مدينة وهران، وكانت حدته في هذه المدينة مرتفعة نسبيا[2]. وحسب شهادة القنصل البريطاني، فقد كانت جماعات كبيرة من أهالى مدينة وهران تموت في الشوارع[3]. ومن شدة هذا الطاعون، فرعدد كبير من اليهود القاطنين بالمدينة إلى المدن المجاورة[4]. وربما يكونون التحقوا بأقاربهم في مستغانم، وتلمسان، ومعسكر.

وتواصل هذا الوباء بالمدينة إلى سنة1234هـ/ 1818م، وقد نقلت بعض المصادر أن عددا الضحايا وصل إلى 7000ضحية، غير أن هذا الرقم يحمل الكثير من المبالغة بمقارنته مع عدد سكان المدينة، أما الجزائر فكان عدد ضحاياها 1438[5], وهذا الرقم فيه إشارة لقوة حدة الطاعون الذي ضرب المدينة، وهناك بعض المصادر تشير إلى أن وباء سنة 1234هـ/1818م الذي أصاب وهران، كان يودي بحياة مابين 30 و40 فرد في اليوم، ووصل عدد الضحايا في جوان من السنة نفسها إلى 80 ضحية يوميا، و

---

[1] - سعيدوني، النظام المالي، ص: 55.

[2] - دودو، المرجع السابق، ص: 72 .

[3] - Lespes, ibid, p: 94 .

[4] - موساوي، المرجع السابق، ص: 291 .

[5] - المرجع نفسه، ص: 324 .

إذا توجهنا إلى مدينة الجزائر، فنجد هذا الوباء يفتك بحياة أكثر من 200 ضحية يوميا، وقد عم هذا الوباء كل مدن الإيالة الجزائرية[1]. وتجدد ظهور وباء الطاعون بالمدينة في سنة1236هـ/1820م، فتضررت منه بقية مدن إيالة الجزائر، مثل الجزائر العاصمة، وقسنطينة وعنابة[2].

إلا أن في السنوات الممتدة مابين1239هـ/ 1823 م و1245هـ/ 1830م شهدت فيها الجزائر و وهران استقرارا صحيا, وقد ذكرت مراسلة الشبه قنصلية الفرنسية بوهران إلى أن الوضع الصحي بمدينة وهران، وبايلك الغرب مستقر، ولا توجد أمراض، وأوبئة معدية[3].

أسباب الأمراض الأوبئة التي كانت تضرب مدينة وهران

يعود سبب هذه الأمراض التي كانت تضرب المدينة بصفة متكررة، إلى عدة عوامل، منها جهل السكان بقواعد وإجراءات الصحة، والنظافة, إضافة إلى المستنقعات الغير المستصلحة، التي تنتشر في السهول المحيطة بالمدن الجزائرية، والتي منها سهول مدينة وهران، ومتيجة، وعنابة, وتسببت في وباء حمى المستنقعات "الملاريا"، والذي ينتشر خصوصا في فصلي الربيع، والخريف[4].

المجاعات التي ضربت مدينة وهران

---

[1] - موساوي، المرجع السابق ، ص ص: 97 98.

[2] - المرجع نفسه، ص: 103 .

[3] - المرجع نفسه، ص: 108 .

[4] - سعيدوني، النظام المالي، ص: 54 .

عرفت المدينة في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر عدة مجاعات, منها المجاعة الكبيرة التي ضربت المدينة في سنة1208هـ/1794م[1] ومجاعة1212هـ/ 1798م التي عصفت مختلف مدن وأرياف وإيالة الجزائر, ويعود سببها إلى النقص الحاد لمادة القمح في هذه السنة، والذي يعتبر الغذاء الأساسي للسكان, ومن الإجراءات المتخذة لمواجهة هذه المجاعة، منع تصدير الحبوب إلى الخارج، والاضطرار إلى الاستيراد، ورغم هذه الإجراءات إلا أنها لم تكن كافية, مما دفع بالسكان إلى أكل المحرمات كما يقول مسلم بن عبد القادر، الذي وصف هذه المجاعة التي عاش أيامها، وكان شاهدا عليها بأنها "مسغبة عظيمة، أهلكت فيها أمم كثيرة، وأكلوا الميتة، والدم، ولحوم بعضهم البعض"[2].

وفي عهد الباي عثمان تعرضت لموجات من الجراد الذي أفسد الزروع والثمار[3]؛ وتسبب في ندرة المواد الغذائية، هذا ما أدى إلى زيادة أسعارها. وعادت المجاعة إلى وهران في أيام الباي المقلش، حيث يقول عنها المزاري: "لا حادثة أشد في أيام الباي المقلش من الغلاء المفرط وفناء الناس"[4]، ولعلها ترجع إلى الحروب الكثيرة التي كانت في عهده ضد الثوار الدرقاويين، كما أن حصار الذي ضربه الثوار على المدينة قد أثر كثيرا على الحالة المعيشية للسكان، فيذكر المزاري[5] بأنه "لما قدم الباي المقلش لوهران وجد

---

[1] - Lespes, ibid, p: 93.

[2] - بن عبد القادر، المصدر السابق، ص: 64 .

[3] - المزاري، المصدر السابق، ج: 1، ص:301.

[4] - المصدر نفسه، ج: 1، ص:327 .

[5] - المصدر نفسه، ج: 1، ص:301.

الدرقاوي محاصرا من كل جهة، وكان والناس في ضيق شديد، وانقطاع الأقوات، باستيلاء العدو على ضواحيه".

ويظهر أن المدينة كانت قبلة لكل المصائب حيث فاجأها الجفاف في سنة 1231 هـ /1816 م فعم حتى الضواحي مما تسبب في فساد الزروع والثمار. ولا شك أنه أثر على مستوى أسعار المواد الغذائية. إلا أن هذا لم يستمر طويلا فقد نزل المطر بعد ذلك[1].

أسباب حدوث المجاعات

عرفت سهول مدينة وهران وغريس إنتاج الحبوب، التي وجهت للاستهلاك الداخلي، كما يصدر جزءا منها, وبسبب ذلك عمل البايلك على الاستيلاء على هذه الأراضي، لكي يستفيد من مداخلها[2], هذا ما أدى إلى نقصان إنتاجية الأرض، لأن مصالح البايلك كانت منشغلة بأعمالها العسكرية.

وعرفت إيالة الجزائر اضطرابا سياسيا بعد وفاة الداي محمد عثمان باشا1205هـ/ 1791م والذي تولى بعده كل من الداي بابا حسن(1205هـ/ 1791 -1213هـ/ 1798)، والداي مصطفى الوزناجي[3](1213هـ/ 1798 -1219هـ/1805) والذي كثرت في فترته الاحتكارات التجارية اليهودية، والأوربية، وقد اعتمد الدايات في أواخر

[1] - المصدر نفسه، ج: 1، ص:340.

[2] - سعيدوني، النظام المالي، ص: 32 .

[3] - الداي مصطفى باشا: تولى الجزائر بعد وفاة جده حسن باشا في سنة 1212هـ---1797م وفي عهده تولى مصطفى أغا منصب الخزناجي الذي كان مؤثرا لليهود، وانتهت ولايته بمقتله مع الخزناجي، وتولى مكانه أحمد خوجة في سنة 1220هـ---1805م الذي ألب عليه الجنود، من أجل، قتله ووعدهم بزيادة رواتبهم. ينظر: الزهار، المصدر السابق، ص: 94.

حكمهم للجزائر هذه السياسة[1]، خاصة تجارة القمح التي احتكرت نسبة كبيرة منها مؤسسة بكري وبوشناق اليهودية، ونتيجة لذلك ارتفعت الأسعار، وظهرت المجاعات، ووصل الأمر إلى مقتل نفتالي بوشناق[2]، على يد أحد الجنود الانكشارية [3].

ومع قلة الإنتاج الزراعي وتراجعه، كان اليهود يصدرون كميات كبيرة إلى الخارج دون أن يراعوا حاجة السكان المحليين لهذا الغذاء الأساسي[4]. فقد كان اليهود يحصلون من مقاطعة وهران على 70000 قنطار من القمح و60000 قنطار من الشعير سنويا، ونتيجة لذلك حققوا أرباحا ضخمة، فقد كانوا يشترون القمح بـ 10 فرنكات في1223هـ/ 1808م، و3و5 فرنك في عام1245هـ/ 1830م، وباعوه بـ 18 إلى20 فرنك بأوربا، ولم يعير اليهود للسكان أدني اهتمام حتى سنوات المجاعة[5].

إلا أن الأزمة السياسية الداخلية في إيالة الجزائر تواصلت بعد الداي مصطفى، التي تسببت في سلسلة من الاغتيالات للدايات، خلال سنوات1219هـ/ 1805 - 1229هـ/ 1814 ، وهذا ما أثر سلبا على الحياة الاقتصادية للبلاد[6].

---

[1] - شاطو، المرجع السابق، ص ص: 162-163 .

[2] - مدير المؤسسة رئيس الطائفة اليهودية في مدينة الجزائر، والذي كان يلقب بملك الجزائر بسبب توسعه نفوذه السياسي عند الداي الوزناجي.

[3] - شاطو، المرجع السابق، ص ص: 159-160.

[4] - شاطو، المرجع السابق، ص ص: 162 -.163

[5] - فوزي سعد ا ، المرجع السابق، ص: 191 .

[6] - شاطو، المرجع السابق، ص: 159-160 .

و من العوامل المساعدة على ظهور المجاعات، هو التكتل الأوربي ضد الجزائر، والحصار الاقتصادي الذي فرض عليها، من أجل وضع حد لقوتها البحرية[1]، هذا إضافة إلى الأزمات التي ضربت بايلك الغرب أثرت كثيرا على النشاط الزراعي، وقلة الإنتاج.

وكان الطابع العسكري الذي تميز به بايلك الغرب ضد الإسبان، قد أثر على الزراعة، وأصبح المصدر الأساسي هو تربية المواشي، التي يمكن الانتقال بها عند ظهور أي معركة[2]. وهذا النشاط الفلاحي لم يكن كافيا لتغطية الحاجات الغذائية للسكان، خاصة مدينة وهران، و التي كان نشاط سكانها ذا طابع حرفي صناعي، فلذلك هي في اعتماد دائم على ما ينتجه سكان الأرياف من القمح والشعير.

كما سيطرت قبائل المخزن على أراضي خصبة واسعة, فكانت تملك حوالي 78 في المائة من السهول الوهرانية، إضافة إلى عدم قدرة هذه القبائل على خدمة الأراضي، بسبب الثورات المتكررة في بايلك الغرب، خاصة ثورة درقاوة، وتجب الإشارة إلى أن هذه القبائل كان طابعها شبه عسكري، فهي في أهبة مستمرة لقمع المتمردين، فظلت هذه الأراضي بورا، واعتمدت القبائل على ما تدر عليها الحملات العسكرية من الغنائم[3].

وكانت الحملات العسكرية التركية، تخلف من ورائها الخراب في القبائل التي تغزوها، بسبب جمع الضرائب، حيث تجمع الغنائم، و التي تقدر بآلاف الأغنام، والأبقار، والعجول، هذا ما أثر على النظام الاجتماعي، والفلاحي للقبائل، وأفقدها ثروتها، وهو أحد الأسباب لعرقلة الإنتاج الزراعي[4].

---

[1] - المرجع نفسه، ص: 169 -170 .

[2] - مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزائر، مكتبة النهضة الجزائرية، ج: 3، ص:297 .

[3] - سعيدوني، ورقات جزائرية، ص: 553.

[4] - شويتام، المرجع السابق، ص: 50.

أساليب مواجهة المجاعات التي حلت بوهران

لقد استعملت إيالة الجزائر، بما فيها إدارة بايلك الغرب، مجموعة من الأساليب لمواجهة المجاعات، وغلاء الأسعار, فكانت تستورد القمح الذي يعتبر المادة الغذائية الأساسية، لتغطية العجز، فتم استيراد كميات كبيرة من القمح بأثمان باهضة من البحر الأسود، خلال مجاعة 1219هـ/ 1805م في عهد الداي مصطفى الوزناجي، وفي مجاعة 1234هـ/ 1819 في عهد الداي حسين استوردت الجزائر 50 ألف كلية من الحبوب[1]. أما في مدينة وهران وبايلك الغرب، فقد كان الباي محمد الكبير يغرق السوق بالحبوب أثناء المجاعة, فقد استورد سنة 1200هـ/ 1786م القمح من أوربا، وباعه بسعر اقل من سعر شرائه، ووزع البعض منه مجانا، واستورد القمح أيضا في مجاعة1207هـ/1793م من ايطاليا، واسبانيا، وفرنسا، وكان هذا أسلوب الباي محمد الكبير لمواجهة الاحتكار، وغلاء الأسعار، والمجاعات[2]. كما كان يراقب الأسعار في الأسواق، فإذا رآها في غير متناول الناس يخفضها، فيبيع قمحه، وشعيره الخاص به، بسعر أقل[3]. ومن الأساليب التي استعملها لمواجهة المجاعات، تشجيعه لخدمة الأرض وتوسع المساحات الزراعية [4] .

ومما سبق يتبن ّأن هناك مجموعة من العوامل أثرت على المستوى المعيشي لسكان المدينة، ويرجع سببها أيضا إلى الحالة الاقتصادية التي عرفتها إيالة الجزائر بصفة عامة، ووهران بوجه خاصة، فقد كثرت الاحتكارات التجارية اليهودية، إضافة إلى قلة الإنتاج

---

[1] - صحراوي، المرجع السابق، ص: 51.

[2] - بلبروات، المرجع السابق، ص: 211.

[3] - طابي معمر، المرجع السابق، ص: 57 .

[4] - عباد، صالح، الجزائر في عهد الحكم التركي، الجزائر، دار هومه، ص: 387.

الزراعي الذي كان يوفره سكان الأرياف، بسبب الثورات والضرائب المفروضة عليهم .
كما تعرضت المدينة للأمراض والأوبئة وهو ما سبب هلاك الكثير من سكانها.

الفصل الرابع

الحياة الاقتصادية والثقافية

الفصل الرابع

الحياة الاقتصادية والثقافية

تمهيد

سيتناول الباحث بالحديث عن الأنشطة المختلفة لأفراد مجتمع مدينة وهران، وسيتم التركيز على الأنشطة الخدماتية، والتجارية، والحرفية، كما سيتم دراسة الحياة الثقافية والدينية بهذه المدينة، من خلال التعرف على علمائها في العهد العثماني، وسيتطرق أيضا للمؤسسات الثقافية التي كان لها دور كبير في بعث الحركة العلمية.

المبحث الأول

الأنشطة الاقتصادية للمجتمع الوهراني

تمهيد

كانت مدينة وهران كباقي مدن الإيالة، لها مجموعة من الأنشطة الاقتصادية، تمارسها مختلف الفئات الاجتماعية، فكانت تتوفر على مختلف الأنشطة الحرفية، والتجارية، والخدماتية، بحكم الطابع الحضري للمدينة .

الأنشطة الخدماتية

عرفت هذه المدينة عدة مرافق اجتماعية، وخدماتية، هذا ما أهلها لكي تكون في مصاف المدن الكبيرة في ذلك العصر، فكان يوجد بها الأسواق، والمقاهي، والحمامات، وكان يعيش مجتمعها حياة حضرية.

المقاهي: كانت المدينة تحتوي على العديد من المقاهي، فهي تقع في الطريق الرئيسي وسط المدينة المسمى بالحي الجديد، وهو الطريق المؤدي إلى كنستال . ويعتبر هذا النشاط الاقتصادي الخدماتي من أهم الأنشطة الموجودة في المدينة[1].

الحمامات: أما عدد الحمامات فكان يضفى عليها الطابع الحضري، ويعطي أهلها طابعا اجتماعيا خاصا بهم، فتواجد هذه الحمامات، يكون في الغالب بجوار المساجد، فهناك

1 - Rozet (M), Voyage dans la régence d’alger ou description de pays occupe par l’armee française en afrique, T3, imp de madame hazard, paris, 1833 , p: 97.

حمام بالقرب من مسجد الباشا، وحمام آخر بالقرب من قبة الشيخ محمد بن عمر الهواري، التي بناها الباي عثمان في سنة1214هـ/1799 م[1].

النشاط الحرفي في المدينة

إن ما يميز أي مدينة في ذلك العصر هو كثرة النشاط الحرفي، ففي وهران كانت الفئة الحضرية التي انقسم نشاطها كما تقدم ذكره بين الحرفي، والنشاط التجاري، إلى جانب فئة الكراغلة، وقد عمل الباي محمد الكبير من أجل تطوير الحياة الاقتصادية، فلذلك استدعى سكان الحضر المقيمين في حواضر الإيالة الجزائرية، من أجل النهوض بالنشاط الحرفي، والصناعي في المدينة، ومن بين هؤلاء الحضر القلعيون الذين ترجع أصولهم إلى قلعة بني راشد، وكانوا يعملون بالقرب من أبواب المدينة، ويمارسون التجارة، وصناعة الزرابي، والصابون، أما المواد الأولية فيشترونها من منطقة الظهرة[2].

ومن خلال مخطط1246هـ/1831م للمدينة يوضح مجموعة من النشاطات الحرفية، كالمدابغ، والمطاحن، والقصابات، إضافة إلى الخياطين وإسكافيين، ونجارين وصانعي البرانس الذي اشتهرت به وهران، وكان يوجد أيضا بائعي المصنوعات المغربية[3]، وكانت المطاحن موجودة خاصة في وادي الرحى، الذي كما يبدو من إسمه يتواجد بجواره الكثير من ممتهني هذه الحرفة، إلا أن في هذا المخطط يشير إلى مطحنتين في العهد العثماني بالمدينة، بينما في العهد الاسباني كانت هناك أربع مطاحن.

---

1 - Benkada, ibid, p: 90

2 - ibid, p: 95 .

3 - Lespes, ibid, p: 97.

ومن الحرف الموجودة أيضا حرفية الدباغة، التي يمارس نشاطها بجانب واد مينا، وكان المغاربة يمارسون هذه الحرفة، ورغم هذا النشاط الحرفي الذي عرفته المدينة، إلا أنه لم يكن بها صناعات ثقيلة، أو معدنية[1]، ولكنها عرفت محاولة الباي محمد الكبير من أجل النهوض بهذا النوع من الصناعة، من خلال مشروعي صناعة المدافع، والصابون، ولكنهما لم ينجحا، كما سبق ذكره.

النشاط التجاري

يعتبر النشاط التجاري من أهم الأنشطة الاقتصادية التي كانت تمارسها فئات المجتمع، وقد عرفت تنوعا في نوعية التجارة، فهناك الداخلية على مستوى المدينة، وهناك من كانت على مستوى إقليم الإيالة، والخارجية، بحكم الموقع الاستراتيجي للمدينة.

1-الأسواق

تعتبر الأسواق عصب الحياة الاقتصادية في المدينة، ففيها تعرض مختلف السلع لمختلف الفئات الاجتماعية من داخل المدينة، ومن خارجها الواردة من ريف بايلك الغرب، إضافة إلى السلع التي كانت تنزل في ميناء وهران، القادمة من المدن الأوربية، كما عرفت السلع القادمة عن الجنوب الصحراوي من إفريقيا، فأسواق مدينة وهران ربطت بين المدينة والريف، وبين الداخل والخارج .

ويبين مخطط مدينة وهران الذي يرجع تاريخه إلى سنة 1246هـ/ 1831م سنة الاحتلال الفرنسي للمدينة، ويرجع هذا المخطط للقائد الفرنسي ليفريه، الذي دل على وجود سوق واحد يقع في مدخل المدينة بالقرب من البرج الأحمر[2]، وهناك سوق أخرى،

---

[1] - سعيدوني، النظام المالي،ص: 35 .

[2] - Benkada ibid, p: 163.

أشار إليها روزيه تقع في شرق المدينة، بالقرب من باب الشرق، حيث يقام فيه سوق وتحيط به مجموعة من محلات[1]. والتي تقع بالقرب من الواد الصغير المسمى عين الروينة[2].

وبخصوص أسعار السلع التي تعرض في أسواق المدينة، فيقدم روزيه لمحه عامة، وهي تختلف باختلاف المواسم من حيث الوفرة والندرة، فتجد مثلا سعر الأبقار وصل إلى 80 فرنك في سنة1223هـ/ 1808م، لينزل إلى نصف هذا المبلغ إلى 40 فرنك في سنة1245هـ/ 1830م، أما سعر الخروف فكان 4 فرنكات، والقمح كان سعره 10 فرنكات للقنطار، والأرز تراوح سعره من 10الى 12 فرنك للقنطار، وقد بيع سنة 1825 بـ ـ 144 فرنك، هذا بخصوص المواد الغذائية، أما فيما يتعلق بالمصنوعات، فكان يباع الحرير بأثمان باهضة[3].

2-المحلات التجارية

ومن المرافق العمومية التي كانت موجودة، المحلات التجارية التي كانت تسوق مختلف المنتوجات الغذائية، والصناعية، فمن خلال بعض الوثائق الوقفية، التي أوقفت بموجبها إرادات بعض المحلات التجارية، لضريح سيدي الهواري وملحقاته، فكانت هناك محلات تقع حول مسجد الباشا، كما تواجد عدد كبيرة من المحلات التجارية في الطريق المؤدي إلى كناستال[4]، أما عن وضعية هذه المحلات فيذكر روزيه أنها كانت فقيرة وغير

[1] - rozet, ibid, p: 97 .

[2] - Lespes, ibid, p: 97 .

[3] - دحماني، المرجع السابق، ص ص: 16 ـ 20.

[4] - Benkada, ibid, p: 164.

متطورة، إذا ما قورنت بغيرها من المحلات الموجودة في الجزائر العاصمة[1]، وربما يعود سبب ذلك إلى حداثة نشأة المدينة، فلم يكن لها الوقت الطويل لتتطور وتقوم بمختلف النشاطات التجارية، والحرفية، إلا أنه ما يمكن ملاحظته، أن اليهود كانوا مختصين في بيع الملابس، وصناعتها، وبيع الحلي، والمجوهرات[2].

3- التجارة الخارجية

بعد فتح مدينة وهران في1206هـ/ 1792م تجددت علاقات هذه المدينة مع الدول الأوربية، خاصة من الناحية الاقتصادية، والتجارية، لكونها تتوفر على أوسع الموانئ فتصل مساحته إلى حوالي 24 هكتارا، وقد عمل الإسبان على توسيعه وتدعيم الرصيف الذي يحميه[3]، فلذلك كان للمدينة علاقات تجارية، واقتصادية مع الدول الأوربية، خاصة التي تطل على البحر المتوسط، فكانت تصدر الحبوب ومختلف السلع للمقاطعات الجنوبية لفرنسا، وايطاليا[4].

كما حصل اتفاق بين كل من فرنسا، واسبانيا، مع داي الجزائر على أن يتم إنشاء شركة لهم في وهران، فأذن لهم في ذلك، فكانوا يصدرون الحبوب، والصوف، والأبقار، والدواجن إلى بلادنهم، ويستوردون الرصاص، والمعادن الأخرى. كما استفادت انجلترا

---

[1] - rozet, ibid, p: 97 .

[2] - Benkada, ibid, p: 164.

[3] - الزبيري، المرجع السابق، ص: 66 .

[4] - Dechaud (E), Oran son port son commerce, publie sous les auspiges, Oran, 1914, p p : 87-88.

من ميناء المدينة من أجل استيراد احتياجاتها، وصيد المرجان في السواحل القريبة منها، فكانت ترسل مابين 250إلى 300 باخرة سنويا، محملة بالحبوب، وغيرها من السلع[1].

وقد حول الباي محمد الكبير التجارة الخارجية في بايلك الغرب إلى أرزيو، ووهران، لقربها من السهول المنتجة للقمح، والشعير، والزيتون، والتين، والكروم، والفواكه، والأغنام، والأبقار، وفي أواخر الوجود العثماني بالجزائر كانت وهران من بين أهم ثلاث موانئ جزائرية رئيسية إلى جانب الجزائر، وعنابة، تستقبل السفن الأجنبية إلى مراسيها أمنة في جميع الفصول[2].

وبهذا تكون المدينة نقطة تجارية مهمة، لتصدير منتوجات القطاع الغربي لإيالة الجزائر العثمانية، أما الحصار الذي تم ضربه على الجزائر، فقد كان سببا في تحول أغلب النشاط التجاري إلى القطاع الشرقي إلى تونس، وإلى الغرب فكانت هذه المدينة من بين الموانئ التي هي في اتصال دائم مع اسبانيا، لقربها من سواحلها[3]، والتي كانت تصدر لها الحبوب بمختلف أنواعها، من قمح، وشعير، حيث صدرت وهران إلى اسبانيا حوالي 4290 كيلة من القمح، و4540 كيلة من الشعير من1205هـ/ 1791م إلى1207هـ/ 1793م[4]، ومن المواد التي كانت تصدر أيضا لاسبانيا الملح، الذي يتواجد بكميات كبيرة بالقرب من المدينة، إضافة إلى المواشي، والخيول[5]، والشمع الذي كان يصدر بكميات

[1] - طابي معمر، المرجع السابق، ص: 54.

[2] - بلبروات، المرجع السابق، ص: 206.

[3] - سعيدوني، ورقات جزائرية،ص: 378 ، سعيدوني، النظام المالي، ص: 68 .

[4] - Dechaud, pp:87-88.

[5] - Bloch, ibid, p: 10 .

قليلة مقارنة بالمواد الأخرى[1]، وتستورد منها العطور، ومواد الصباغة، والجواهر، بالإضافة إلى بعض المواد الغذائية كالسكر، والقهوة، والتوابل، إضافة إلى الورق، والأغطية، والمناديل الحريرية[2]. وكانت تستورد الأقمشة الحريرية، والقطنية، والعطور، والحلي من ايطاليا[3]. ومواد البناء التي كانت تجلب من هولندا، بغرض تزيين القصور، والمساجد[4].

وكان للباي محمد الكبير معاملات تجارية مع القبائل، والتجار الأوربيين، فيشتري الشمع، والقمح، والملح من الأسواق المحلية، ويبيعه للأوربيين، فكان يشتري القمح باثنين بطاقة شيك للقنطار، ويبيعه للأجانب بسبع بطاقات شيك[5]. ويشتري أيضا الملح الذي كان يستخرج من سبخة وهران بـ22 صولدي، ويبيعه بـ 45 صولدي[6].

وكانت هناك علاقات تجارية بين وهران والمغرب الأقصى، فتعتبر هذه المدينة أحد المحطات التي تمر عليها السلع القادمة من شرق الإيالة الجزائرية، عبر طريق شمالي، الذي يمر بسطيف، وحمزة، والجزائر، ثم وهران، وتلمسان، ثم إلى المغرب الأقصى عبر وجهة وجدة، وتلمسان، ومن أهم السلع التي كانت تسير على هذا الطريق

---

[1]- بوعزيز، يحي، المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد (1791/1780)، الديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1993، ص:115 .

[2] - احمد سليماني، التجارة في مدينة الجزائر العثمانية على ضوء المصادر المحلية والأجنبية 1792-1830؛ مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2010-2011، ص:80.

[3] - الزهار، المصدر السابق، ص: 34.

[4] - سليماني، المرجع السابق، ص: 80.

[5] - بلبروات، المرجع السابق، ص: 208 .

[6] - المرجع نفسه، ص: 209.

التجاري، الكثير من الأقمشة بمختلف أنواعها، القطنية، والحريرية، والأحذية الجلدية، والجلابيب، والبراقع[1].

كما كان للمدينة علاقات تجارية أيضا مع بلاد السودان، فهناك قوافل تجارية بين وهران، وتمبكتو، تمر عبر إقليم تافيلالات محملة بالبضائع الإفريقية[2]، فبعض القوافل تأتي بحوالي 2000 إلى 3000 بعير محملة بالتمر، وريش النعام، والذهب، والصمغ[3].

وقد شهدت المدينة منافسة اقتصادية داخلية بين مختلف الفئات الاجتماعية، فكان أصحاب القلعة ينافسون المزابيين في وهران، إضافة إلى اليهود، وكانت هناك علاقة تجارية بين مختلف مدن البايلك مثل مستغانم، ومازونة[4].

الفئات الاجتماعية ونشاطاتها الاقتصادية

ما يمكن ملاحظته من خلال النشاط الاقتصادي لمجتمع هذه المدينة، هو تعدد طبيعة هذه الأنشطة بتعدد الفئات، فكانت كل فئة متخصصة في نشاطات معينة.

المزابية: أما نشاطهم الاقتصادي فتمثل في العمل في الحمامات، والقصابات، ومطاحن القهوة، وكانوا يبيعون الخضر، والفحم[5].

---

[1] - زبيري، المرجع السابق، ص: 175 .

[2] - ويليام شالر، المصدر السابق، ص: 43.

[3] - Benkada, ibid, p: 96.

[4] - ibid, p: 96 .

[5] - ibid, p: 107 .

المغاربة: كانوا يعملون على حفر الآبار، وبناء المنازل، وقد ضمهم محمد الكبير إلى جيشه، أما المغاربة الفاسيين فكانوا يشغلون نفس عمل المزابيين، إلا أنهم لم يستقروا بوهران، لأنه لم تكن لهم عائلات بها[1].

الافارقة: تمثل نشاطهم الاقتصادي في تنظيف المنازل، وطلائها، وحفر الآبار، وصناعة الأحذية، وصناعة قرب المياه، والحليب، وكانوا يشكلون فرق موسيقية متنقلة، كما اشتغلوا كموظفين في بعض الوظائف في قصر الباي[2]، أما النساء منهم، فهن خبازات متنقلات، كما كن عاملات في المنازل، فانتشرت بين هذه الفئة المهن البسيطة، وفي غالبها ذات طابع خدماتي، و يعملون أيضا كحمالين، ودهانين، ويساعدون قايد الليل من أجل غلق أبواب المدينة[3].

قبائل المخزن: بعد التحرير الأول لوهران عام1120هـ/1708م صادر الباي بوشلاغم الأراضي المحيطة بوهران التي كانت تسكنها قبائل بني عامر، وفليتة والتي كانت متعاونة مع الإسبان، ووطن في مكانهم قبائل الزمالة، والدواير، ثم بعد التحرير الثاني أقر الباي محمد الكبير هذه القبائل على الأراضي والسهول الوهرانية[4].

فكانت الأراضي التي تسيطر عليها قبائل الزمالة والدواير في بداية الأمر لم يكن لها حق ملكيتها، أو توريثها، إنما كان لها الحق في استغلالها فقط، ولكن في مطلع القرن الـ18م أصبحت ملكية هذه الأراضي تامة لقبائل المخزن، ولهم عقود ملكية موثقة عند

---

[1] - Benkada, ibid, p: 111.

[2] - Bloch, ibid, p: 10.

[3] - Benkada, ibid, p: 108.

[4] - طابي معمر، المرجع السابق، ص:91.

قاضي المدينة، وبذلك كان لها حق البيع، والشراء، والتوريث[1]. وبهذا استحوذت هذه القبائل على 78 في المائة من السهول الوهرانية، إلا أنها ظلت في أغلبها مهملة، وظل نشاط هذه القبائل مقتصرا على تربية المواشي، وإنتاج ما يكفيها من القمح، والشعير، لأن اهتمام سكانها كان في الأعمال الحربية، والحملات العسكرية[2].

كما كان السكان المحيطين بوهران يقومون بزراعة الحبوب وأشجار الرمان، والليمون، إضافة إلى إنتاج القطن وزراعة الأرز على ضفتي واد مينا، وهو من النوعية الممتازة[3]، وتربى المواشي كالأبقار، والأغنام، والجمال، والحمير، والخيول التي تصلح للحروب[4].

نشاط اليهود الاقتصادي في مدينة وهران

كان من أسباب استدعاء الباي محمد الكبير لهم لتعمير وهران، نشاطهم الاقتصادي، والصناعي، والتجاري، فقد كان لهم دور اقتصادي كبير، فأصبحوا يسيطرون على تجارة وهران بعد تراجع الاحتكار الاسباني، بموجب معاهد تسليم المدينة في 25 محرم 1207هـ/ 12 سبتمبر 1792م التي كرست سيطرة الإسبان على تجارة وهران دون غيرهم، ولكن هذه السيطرة لم تستمر طويلا، فقد ألغاها الباي محمد الكبير ابتداء من صفر 1208هـ/ سبتمبر 1793م، ليختفي نهائيا في شعبان 1209هـ/ مارس

---

[1] - طابي معمر، المرجع السابق، ص:93.

[2] - المرجع نفسه، ص:94.

[3] - الصادقي، حسن، مدينة وهران وناحيتها في مذكرات الجنرال ديميشال، مجلة الثقافة الاسلامية، وزارة الشؤون الدينية الجزائرية،العدد06 سنة 2010م، ص: 41 .

[4] - المرجع نفسه، ص: 42 .

1795[1] مكتب وكلاء الشركة التجارية الاسبانية[2]، ولكن هذه السيطرة حلت محلها السيطرة اليهودية على التجارة الداخلية، والخارجية، وأصبح كبار التجار اليهود يتعاملون مع مختلف الدول الأوربية، واستحوذوا بذلك على ثلثي المعاملات التجارية الوهرانية الخارجية، أما الثلث الباقي فقد تقاسمه الأوربيين، خاصة الانجليز، والإسبان .

إن من العوامل التي ساعدت على نجاح اليهود، هو الثقة التي وضعها فيهم الباي محمد الكبير، والبايات الذين جاءوا من بعده، إضافة إلى استحواذهم على مناصب إدارية، وسياسية، في سلم سلطة بايلك الغرب، فهم مثلا كانوا يميزون بين القطع النقدية المزورة والغير مزورة[3]، إضافة إلى توليهم منصب الخزناجي، الذي تولاه العديد منهم كما سبق ذكره.

ومن العوامل التي ساعدت اليهود في السيطرة على التجارة الخارجية اتصالهم بوكلائهم، وأقاربهم بالضفة الأخرى من المتوسط، مثل اسبانيا، فكانوا يصدرون القمح، والجمال، والدواجن، والصوف، والخمر، والعنب الجاف، والتبغ[4]، ويتم تصدير هذه المنتجات إلى موانئ مالقة، وقرطاجنة، والجزيرة الخضراء، وجبل طارق، ومرسليا، وتونس، ولفرونة[5].

---

[1] - وذلك بعد أن قرر الداي حسان إلغاء البند المتعلق احتكار الإسبان التجارة في وهران في معاهدة الاستسلام في 1791م ونفذ ذلك يأمر الباي محمد الكبير بمنع تصدير الحبوب إلى اسبانيا، وتم إلغاء ضرائب الجمارك على الدول الأجنبية في وهران. ينظر: بلبراوات، المرجع السابق، ص:207 .

[2] - بلبراوات، المرجع السابق، ص:207.

[3] - بوعزيز المراسلات الاسبانية، ص: 171، بلبروات، مرجع سابق، ص: 208

[4] - فوزي سعد ا ، المرجع السابق، ص:131 .

[5] - Lespes, ibid, p: 95.

كما سمحت إسبانيا باستقرار اليهود على المدن الحدودية المتوسطية، مثل مالقة، والمرية، وقرطاجنة، وبذلك ربط اليهود تجارتهم مع المناطق التي جاءوا منها، فكان كل تاجر يهودي يربط علاقته التجارية بالمنطقة التي جاء منها، وذاك لتسهيل معاملاته التجارية، لمعرفته الجيدة المنطقة التي يتم التصدير إليها، والاستيراد منها، ووجود الشركاء والوكلاء بها، ومن التجار اليهود الذين كانوا يتعاملون مع الموانئ الاسبانية دافيد ليفي بالنسي، وصمويل حسان، ومخلوف بانيشو، وابراهام خلفون[1]، ودافيد دوران، و هارون كاردوزو، وباسيفو تاورال[2].

واستقر اليهود بجبل طارق ورأس ماهون التي كانت تتواجد بها الحاميات الانجليزية، التي كان يزودها يهود وهران بالقمح، واللحم، وغيره من السلع[3]، وكان لكل من جوزيف تورال، وإسحاق إسرائيل، اللذان كانا يقيمان في جبل طارق وكيلا تجاريا، هو يامين توليدانو، فيتولى شؤونهما المالية، ويشرف على نشاطاتهما التجارية في وهران، وبايلك الغرب، هذا إضافة إلى سعي مؤسسة بكري، وبوشناق عند باي وهران، من أجل شحن القمح لصالح هذه الشركة من ميناء المدينة[4]. فقد ذكر محمد الشريف الزهار[5] في مذكراته أن بوشناق كان له نفوذا كبيرا عند الداي، والخزناجي، فكانت له سفن تصدر القمح، والشعير من وهران، وعنابة، فقد شحنت هذه الشركة من وهران 100 سفينة عام 1206هـ/ 1792م، كانت تحمل 75 ألف قنطار من القمح، و60 ألف قنطار من

---

[1] - صحراوي، المرجع السابق، ص:56 .

[2] - Benkada, ibid, p: 116.

[3] - بلبراوات، المرجع السابق، ص:208 .

[4] - صحراوي، المرجع السابق، ص:90 .

[5] - الزهار، المصدر السابق ،ص:198.

الشعير[1].وكان الإخوة أوبارز اليهوديين يحملون87 باخرة في أربعة أشهر في سنة1223هـ/ 1808م، كما كان يهود وهران يستوردون النسيج، والخردوات، والزجاج، والأسمدة، والتبغ، والسكر، والتوابل[2].

ورغم الحصار الاقتصادي الذي فرضته فرنسا على إيالة الجزائر، إلا أن السواحل الغربية من البلاد بما فيها وهران بقيت في نشاطها التجاري، بفعل النشاط التجاري لليهود[3]، إلا أنه لم يكن عاملا ايجابيا دائما، فقد كان اليهود يحتكرون الإنتاج، خاصة الغذائي، فترتفع الأسعار، وتحدث المجاعات في بعض الأحيان.

ومما سبق يتبين أن مدينة وهران عرفت تنوعا في الأنشطة الاقتصادية بين مختلف فئاتها خلال العهد العثماني، فقد مارس الحضر مختلف الصناعات الحرفية، إلى جانب النشاط التجاري، أما فئة البرانية بمختلف أطيافها فكانت تمارس الأنشطة البسيطة ذات الطابع الخدماتي، بينما كان لليهود نشاط تجاري كبير، على الصعيدين الداخلي، والخارجي.

وتمتعت المدينة بموقع استراتيجي مهم، هذا ما مكنها من تحضى بمكانة تجارية مهمة في حوض البحر المتوسط، فكانت قريبة جدا من السواحل الجنوبية الاسبانية، إضافة إلى قربها من المغرب الأقصى، كما كانت نقطة وصل بين التجارة الصحراوية القادمة من بلاد السودان، والأسواق الأوربية، كما كانت هناك علاقات تجارية داخلية مع مدن بايلك الغرب، وبقية مدن الإيالة الجزائرية.

---

[1] - صحراوي، المرجع السابق، ص:59 .

[2] - Benkada, ibid, p: 117.

[3] - فارس، مرجع سابق، ص:21 .

المبحث الثاني

الحياة العلمية والدينية بوهران

تمهيد

لقد عرفت مدينة وهران تقدما في الحركة الثقافية والعلمية، أدى إلى ظهور نخبة من الفقهاء، والمؤرخين، والكتاب، والقضاة، تركوا تراثا معرفيا كبيرا، كما احتوت المدينة على مجموعة من المؤسسات الدينية، و التي كانت تقام فيها مختلف الأنشطة العلمية، والثقافية.

عوامل تطور الحركة العلمية والثقافية في المدينة

عرفت وهران حركة علمية وثقافية ملحوظة، خاصة بعد أن أصبحت عاصمة بايلك الغرب، وقد ساهم الباي محمد الكبير في تطور الحياة الثقافية في المدينة، فشجع العلماء على مواصلة نشاطهم العلمي، وبنى المرافق الخاصة بذلك، من مدارس، ومساجد، خاصة في مدينتي معسكر، ووهران، واعتنى بطلبة العلم، مما أدى إلى ظهور جيل من العلماء، والقضاة، والكتاب في الثلث الأول من القرن التاسع عشر.

و لعل من العوامل المساعدة على تطور الحياة العلمية في المدينة هو هجرة بعض العلماء من غريس ومعسكر، مثل محمد بوجلال الجيلاني، والطاهر بن حوا، ومحمد مصطفى بن زرفة الدحاوي[1].

علماء مدينة وهران

ومن العلماء الذين كان لهم نشاط علمي وثقافي في مدينة وهران والذين تم ذكرهم في المصادر.

أحمد التهامي : الذي شغل منصب الإفتاء في مدينة وهران خلال العهد العثماني، ، وكان متزوج بأخت الشيخ محي الدين والد الأمير عبد القادر[2]، وكان من العلماء والفقهاء وقد لقبه صاحب القول الأعم بشيخ الجماعة [3]، ولقبه العربي المشرفي بشيخ شيوخنا، وقال عنه أنه استفاد منه في علم الفقه، وكان يتردد إلى مجلسه الذي يعقده بالجامع الأعظم بوهران، والذي كان مليئا بالطلبة، الذين يصل عددهم إلى خمس مائة طالب، وقد يقرب من الألف، وهناك من يحضر للتبرك، وقد برع وتمكن في الفقه، فهو يملي من حفظه حاشية الخرشي على الطلبة من غير أن ينقص منها حرفا أو يزيد، ويقول العربي المشرفي أيضا أنه كان من كبار المفتين، لذلك يأتيه الناس للفتوى من أماكن

---

[1] - أبو القاسم سعد ا ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج:1، ص: 282.

[2] - بوعزيز، يحي، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1995، ص: 247 ، البوعبدلي، المرجع السابق، ص: 142 .

[3] - بوعزيز، أعلام الفكر، ص: 247 .

بعيدة[1]، وبعد احتلال الجزائر تولى رئاسة مجلس الشورى الأميري، وهو بمثابة رئيس الوزراء، في دولة الأمير عبد القادر، وتوفي بمصر أثناء ذهابه لأداء مناسك الحج[2].

مصطفى ابن التهامي : وهو ابن أحمد التهامي السابق الذكر، وكان متمكنا في علوم النحو، فكان شفيع سبويه كما يقول المشرفي، وإضافة إلى ذلك فقد برع في علوم العروض والمعاني والبيان، كما كان يقرض الشعر، وعندما أعلن الأمير عبد القادر عن دولته، وحربه على فرنسا انضم إليه، و تولى منصب الخلافة بالنيابة عن الأمير في قبائل بني عامر،

محمد بن سعد البيدري التلمساني: كان من أعلام الفقه، والحديث، والبلاغة، ومن أثاره شرح على الهمزية، وشرح على متن الرسالة في الفقه المالكي، وكان من المتصدرين لتدريس صحيح البخاري، وتفسير البيضاوي، وحاشية الخفاجي، في مدينة وهران. وتوفي بفاس سنة 1264هـ/1847م[3]

محمد بن عبد ا بن الشيخ المشرفي سقاط: وهو حفيد عبد القادر بن عبد ا سقاط المشرفي[4]. كان عالما مشاركا في مختلف العلوم الدينية، والعقلية، مثل الفقه،

---

[1] - المشرفي، ياقوتة النسب الوهاجة، ص: 302.

[2] - بوعزيز، أعلام الفكر، ص: 247 .

[3] - شرف،عبد الحق ، تراجم لبعض علماء مدرسة الباي بوهران، مجلة عصور، منشورات مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم ، جامعة وهران ، الجزائر، العدد 21 ، جويلية - ديسمبر 2013م، ص:162 .

[4] - هو عبد القادر بن عبد المشرفي الذي لقب بشيخ الجماعة، ولد ونشأ في قرية الكرط قرب معسكر، وقد درس في معهد الشيخ مصطفى بن المختار، وابنه محي الدين في القيطنة، ثم أسس بعد ذلك معهدا في قريته الكرط، كما شارك في الجهاد ضد الوجود الاسباني بوهران خلال حملة التحرير الأولى التي قادها الباي مصطفى بوشلاغم، من أشهر أثاره كتاب بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين من الأعراب كبني عامر توفي بمسقط رأسه في 19 رمضان 1192/ 2 أكتوبر 1778 م.

والتوحيد، والأصول، والبيان، وكان يدرس كتاب التلخيص، وجمع الجوامع لابن السبكي، وتفسير البيضاوي، وقد غاب عليه براعته في علم المعاني والعروض، ولذلك كان شاعرا مجيدا، وله تقيدات عليه، ومن تلامذته العربي بن عبد القادر المشرفي الذي أخذ عنه النحو، والفقه، وقد حضر عنده مجلسه في سرد صحيح البخاري، وتفسير القران[1].

وكان من كبار المحدثين والمسندين أجازه مختلف علماء المشرق والمغرب، من مصر، وتونس، والمغرب الأقصى، والجزائر بالعديد من كتب الحديث، وأجيز أيضا بمختلف الطرق الصوفية كالقادرية والخلوتية، وله فهرسة تبين ذلك[2].

وقد تولى خطة القضاء بوهران، خلال حكم الأتراك، وأثناء قيام دولة الأمير عبد القادر كان من بين المبايعين له، وقد عين عضوا في مجلس الشورى الأميري، وأرسله الأمير في مهمة دبلوماسية لسلطان المغرب عبد الرحمن بن هشام، كما حمله سؤالا إلى مفتي فاس حول موقف الشرع من المتعاونين مع الكفار المحتلين، وقد مات مسموما بمكناس، التي دفن فيها[3].

عبد القادر المستغانمي: كان يقوم بتدريس علم الكلام، والمنطق، وقال عنه العربي المشرفي: " وقرأت عليه- يقصد عبد القادر المستغانمي – علم الكلام، ومختصر الأخضري في المنطق، ومختصر السنوسي"[4].

خطة القضاء في مدينة وهران

---

[1] - المشرفي، ياقوتة النسب الوهاجة، ص: 294 .

[2] - شرف، المرجع السابق، ص: 160.

[3] - بوعزيز تحقيق سعد السعود،ج1 ، ص: 100.

[4] - شرف، المرجع السابق، ص: 162.

تولى خطة القضاء في مدينة وهران مجموعة من العلماء منهم:

الطاهر المشرفي: هو الطاهر بن عبد القادر بن عبد ا المدعو بن دح المشرفي، تولى قضاء مدينة وهران، وقد تلقى العلم في المغرب الأقصى، فدرس في مدينة فاس عن الشيخ عبد القادر بن شقرون، والطيب بن كيران، وتتلمذ أيضا عند الشيخ أحمد التهامي مفتي وهران[1]، ومن مؤلفاته عقد الجمان الملتقط من قعر ناموس الحقيقة الوسط[2]، وشرح الدرة الشريفة[3] في أصول الطريقة، وشرح في هذا الكتاب منظومة والده عبد القادر بن عبد ا المشرفي، المسماة بالدرة الشريفة[4]، وقال عنه العربي المشرفي في كتابه طرس الأخبار بأنه "كان على منهاج والده، نقله ملك الأتراك إلى وهران للانتفاع به، وكانت العلماء تختلف على مجلسه العلمي ... ورتب له إمام الوقت ستين دينار ذهبا في الشهر، على قراءته كتاب التلخيص"[5]، وقد شغل عضوا في مجلس الشورى الأميري في دولة الأمير عبد القادر[6] .

---

[1] - البوعبدلي، المرجع السابق، ص ص: 49-142.

[2] - شرف ، المرجع السابق ، ص : 159.

[3] - وهي منظومة تلخص كتاب أصول الطريقة لأحمد زروق

[4] - عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والاثبات، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج:1 ص: 466 .

[5] - شرف، المرجع السابق، ص: 159.

[6] - بوعزيز، أعلام الفكر، ص: 232 .

القاضي الطاهر بن أحمد الرزيوي: وأصله من أرزيو، وقد تولى أيضا منصب القضاء في وهران خلال الفترة العثمانية، وكان من تلامذته الأمير عبد القادر حين كان في وهران في شبابه، في أيام الباي حسن أثناء إقامته الجبرية مع والده[1].

محمد الصادق الحميسي: ويرجع نسبه إلى الشيخ المغيلي المازوني، صاحب الدرر المكنونة في نوازل مازونة، فعند فتح مدينة وهران انتقل إليها، وتولى القضاء بها[2].

عبد ا بن الطيب بن حوا التجاني: تولى قضاء الأتراك أيضا في مدينة وهران، وكان شيخا في الطريقة الدرقاوية، وقد قتله الباي حسن[3].

الكتاب والمؤرخين

ومن المثقفين الذين عرفتهم مدينة وهران خلال هذه الفترة، فئة الكتاب، والمؤرخين، الذين تولوا الكتابة عند بايات وهران، الذين كانوا في غالبهم مؤرخين، تركوا مجموعة من المؤلفات، تتحدث عن تاريخ المدينة خلال العهد العثماني ومنهم.

محمد مصطفى ابن زرفة الدحاوي: الذي كان كاتبا عند الباي محمد الكبير، وعين مساعدا لرئيس رباط افري خلال الحصار الثاني للمدينة1205هـ/1791-1206هـ/1792، وبعد فتح المدينة عين قاضيا عليها، وكان عالما في مختلف العلوم الدينية، ومن بين تلاميذه أبو راس الناصري، له كتاب فتح وهران، ويرى يحي بوعزيز أنه هو نفسه كتاب الرحلة القمرية[4]. ويتكلم في هذا الكتاب عن تاريخ وهران، وسيرة وأثار الباي محمد

---

[1] - المرجع نفسه، ص: 210.

[2] - المرجع نفسه، ص: 210.

[3] - بوعزيز، أعلام الفكر، ص: 209 .

[4] - بوعزيز، على هامش طلوع سعد السعود،ج 1، ص: 64 .

محمد الكبير، ومن مؤلفاته أيضا رسالة الاكتفاء في حكم جوائز الأمراء والخلفاء، الذي تكلم فيه عن صحة ومشروعية منح الأمراء الأراضي للناس من أجل تعميرها[1]، وقد يكون كتب هذا الكتاب لأن وهران قد تعرضت لهذه لمسألة الفقهية بعد فتحها، فقد وزع الباي الأراضي على مختلف الناس القادمين من خارج المدينة، وتوفي ابن زرفة في سنة1214هـ/ 1800م، بسبب الطاعون الذي ضرب مدينة وهران[2].

محمد بن حسن الكاتب المستغانمي: هو محمد بن حسن المعروف بالكاتب المستغانمي، وكان كاتبا لدى الباي محمد الكبير، ووصفه أبو راس الناصري في فتح الإله ومنته بأنه كان عالما فقيها، ذا يد في النحو، واللغة، وسائر العلوم، ولاسيما الأدب، وقد انتقل من خطة الكتابة إلى خطة القضاء، التي شغلها إلى غاية وفاته[3].

حسين خوجة: تولى خطة الكتابة أيضا عند بايات وهران، وهو من أسرة مستغانمية، وقد ورث هذه الخطة عن أبائه، منذ الباي محمد الكبير، وتولى هذه الخطة عند الباي حسن، وكان قد تولاها والده أيضا[4]، وألف حسن خوجة كتاب "در العيان في أخبار مدينة وهران"، الذي تحدث فيه عن أخبار بايات وهران، الذين تولوا إدارة المدينة، وبايلك الغرب بعد فتح المدينة في عام 1206ه/1792م، وقد نقل عنه كثيرا الزياني في

---

[1] - بوعزيز، أعلام الفكر، ص: 233.

[2] - بوعزيز، تحقيق كتاب سعد السعود،ج:1،ص: 64 .

[3] - المزاري، المصدر السابق، ج: 1، ص ص :97 ، 98 .

[4] - وكان أيضا من شيوخ الأمير عبد القادر أثناء إقامته الجبرية، البوعبدلي، المرجع السابق، ص: 73، بوعزيز، أعلام الفكر، ص: 210.

دليل الحيران، والمزاري في طلوع سعد السعود[1]. وينسب إليه كتاب آخر هو " بشائر أهل الإيمان في فتوحات آل عثمان"[2].

مسلم بن عبد القادر الحميري: تولى أيضا خطة الكتابة عند الباي حسن بعد حسين خوجة السابق الذكر، وقد أدرك الاحتلال الفرنسي في هذا المنصب، وله كتاب أنيس الغريب المسافر في أخبار بايات وهران، وتكلم فيه أيضا عن تاريخ بايات وهران بعد1206هـ/1792م[3].

الأسر العلمية في المدينة

عرفت مدينة وهران مجموعة من الأسر العلمية التي اشتهرت باشتغالها بمختلف العلوم الدينية، والأدبية، مثل أسرة ابن خوجة المستغانمية التي سبق الترجمة لبعض علمائها، ولها العديد من العلماء والأدباء منهم حسين بن خوجة، وابنه محمد بن حسين بن خوجة، والشريف بن خوجة، وابنه أحمد بن خوجة[4].

ومن الأسر العلمية التي وجدت في المدينة، أسرة المشارفة، وهم من أشراف إقليم الراشدية، اشتهر بها الكثير من العلماء، ولعل من أهمهم المشارف الثلاث، الطاهر بن الشيخ، وابن أخيه محمد بن عبد ا سقاط بن مصطفى بن الشيخ المشرفي، وابن عمهما

---

[1] - البوعبدلي، المرجع السابق، ص:73.

[2] - قال عنه يحي بوعزيز أنه لا يزال مخطوطا في المكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم: 2192. ينظر: بوعزيز، تحقيق كتاب طلوع سعد السعود،ج: 1، ص:98.

[3] - البوعبدلي، المرجع السابق، ص:73 .

[4] - بوعزيز، تحقيق طلوع سعد السعود، ج: 1، ص:98.

الشيخ عبد القادر بن مصطفى المشرفي[1]، وتنتسب هذه الأسرة إلى مشرف بن عبد الرحمن بن مسعود، الذي قدم من بوصمغون وتولى القضاء في العهد الزياني، ويرجع نسبه إلى الشرفاء العرصيين المتواجدين بفقيق بقصر واد غير[2]، قال ابن بكار عن هذه الأسرة " ولم تتعد الرئاسة فيما علمناه دار الشيخ المشرفي وأولاده، فهم الذين كانوا معتبرين عند ملوك الأتراك، وكانت لهم خطة الشريعة، وخطة القضاء أيام الاتراك، وأيام ابن عمنا الأمير عبد القادر"[3].

وتعتبر أسرة الزياني من الأسر العلمية، فقد أنجبت العديد من العلماء، منهم محمد بن يوسف الزياني، صاحب دليل الحيران، وعمه أحمد بن يوسف الزياني، الذي كان فقيها محدثا، من شيوخ أبو راس الناصري، ومن علماء الأسرة الزيانية أيضا، محمد بن البشير الحريزي الزياني، الذي ذكره المزاري في طلوع سعد السعود دون يترجم له[4].

فئة الطلبة

كانت هذه المدينة من المدن العلمية، التي يقصدها الطلبة لحفظ القران الكريم، أو لإتمام دراساتهم الشرعية في مختلف العلوم الدينية، ومن المدارس التي كانت متخصصة في ذلك، مدرسة خنق النطاح التي أسسها الباي محمد الكبير، وكان أغلب هؤلاء الطلبة يأتون من البادية، أو من المدن المجاورة، وكانوا يقيمون في فنادق خاصة بهم، وكانت حياة الطلبة المادية في عهد الباي محمد الكبير جيدة، وأحسن بكثير مقارنة مع بقية البايات

---

[1] - توفي سنة 1269 في مصر. ينظر: المزاري، المصدر السابق، ج:1، ص: 99 .

[2] - المزاري، المصدر السابق، ج: 1، ص: 99 .

[3] - بلهاشمي بن بكار كتاب مجموع النسب، تلمسان، مطبعة ابن خلدون، 1961م، ص ص: 334، 335.

[4] - بوعزيز، تحقيق سعد السعود، ج: 1، ص:98 .

الآخرين الذين حكموا وهران، وذلك لاهتمامه بالحياة الثقافية، والعلمية، حتى أنه كان طالبا في زاوية المختار جد الأمير عبد القادر في القيطنة [1].

وكانت نفقات الطلبة يتصدق بها الأغنياء من غذاء، وكساء، خاصة في مواسم معينة، مثل شهر رمضان، وفي الحفلات الدينية، وهناك بعض العائلات من يخصص جزءا من غذائه للطلبة التي كانت تسمى بالتصراف، كما كان الطلبة يخرجون لجمع المؤونة الغذائية، وكان الفلاحون يعطونهم ما يحتاجون إليه[2].

ويذكر المزاري أن الناس اشتكوا من الطلبة، فعزم الباي محمد الكبير على طردهم، إلا أن الأغا قدور الكبير بن إسماعيل البحثاوي أشار عليه بأن لا يفعل، لأنه لا يليق، ولكن من فعل ذنبا يعاقب عليه، فاستجاب له الباي وأمر بردهم، ودفع لهم مالا كثيرا، وقال "لهم اشتغلوا بالقراءة، وكفوا أنفسكم عن الإذاية، فما في المدينة يحبكم إلا ثلاثة، أنا، والأغا قدور بن إسماعيل، والنساء"[3].

كبار الطلبة الذين درسوا في مدينة وهران

من كبار الطلبة والتلاميذ الذين درسوا في مدينة وهران الأمير عبد القادر، وكان يحفظ أكثر البخاري، متضلعا بالعربية[4]، فقد درس على عدة شيوخ كما سبق ذكره، والشيخ العربي بن عبد القادر المشرفي في عشرينيات القرن التاسع عشر، الذي خاف عدة

---

[1] - Benkada, ibid, p: 103.

[2] - Benkada, ibid, p:123

[3] - المزاري، المصدر السابق، ج: 1، ص ص: 296-297 .

[4] - البيطار، عبد الرزاق، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق: محمد بهجة البيطار، بيروت دار صادر، 1993، ص: 887 .

كتابات في التاريخ، والأدب، والنسب، والذي كانت له مكانة كبيرة لدى سلاطين المغرب الأقصى[1]. ومن التلاميذ أيضا الشيخ مصطفى بن عب بن البقرة، الذي درس أيضا بوهران رفقة العربي المشرفي، والذي بارعا في الشعر، والأدب، واللغة، وكان يحفظ الأمهات، حتى لقب ببهرام الصغير[2]

ومن خلال هؤلاء العلماء الذين تم عرضهم، يلاحظ أن أغلبهم كانوا ينتمون إلى إقليم غريس، والراشدية، وينتسبون أيضا في أغلبهم إلى الأشراف، والمرابطين، ولذلك فإنهم حضوا بمكانة مهمة في المجتمع الوهراني، كما كانوا موضع قلق لدى بعض بايات وهران، خاصة مع قيام ثورات الدرقاوية والتجانية.

كما تأثرت وهران بالطابع الثقافي الذي كان سائدا في إيالة الجزائر في ذلك العصر، هو الطابع الصوفي، والفقه المالكي، وتأثرت بصفة خاصة بالطابع الفكري الراشدي المعسكري، الذي كان متفوقا على غيره من المدن الأخرى في الجزائر، وتلمسان، ومازونة .

موظفوا المدارس المساجد

وكان لجوامع مدينة وهران وملحقاتها موضفيها القائمين على صيانتها، والقيام بالنشاط العلمي فيها، وقد قسم الباي محمد الكبير العمل في المساجد على مجموعة من الموظفين ورتب لهم مستحقات مالية وهي على النحو التالي:

---

[1] - ينظر: كتاب شرف عبد الحق العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي حياته وأثاره، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف وتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011.

[2] - المشرفي، ياقوتة النسب الوهاجة، ص ص: 297-298 .

إمام المسجد 40ريال، خطيب المسجد 40 ريال، مؤذنو المسجد الأربعة 20 ريال ، قراء القران صباحا ومساءا وهم أربعة 10ريال، مدرس صحيح البخاري 40 ريال، المدرسون للفقه والحديث والتفسير واللغة العربية كل واحد منهم 10 ريال، مصحح ألواح الطلبة 40 ريال، وكيل المكتبة 15ريال، راوي حديث اللغو يوم الجمعة 10ريال، منظف بيوت الطهارة 40ريال[1].

وكانت هذه الرواتب تأتي من عائدات الأوقاف، وأملاك الحبوس، للنفقة على نشاط المساجد، إضافة إلى تخصيص الباي لكل بيت من بيوت الطلبة في الشهر نصف ريال لشراء زيت الإنارة، إضافة إلى نفقاته التي كان ينفقها على الطلبة في مواسم الأعياد، التي تراوحت بين دينار واحد وثلاثة دنانير للخطباء، والأئمة، والمؤذنين، والمدرسين، في كل مدينة من مدن البايلك، بما فيها مدينة وهران.[2]

كانت المؤسسات الثقافية من مدارس، ومساجد، وزوايا فضلا عن المكتبات تابعة للأحباس الدينية، والتي كانت عبارة عن بنايات، وأراضي، وبساتين، ومحلات تجارية، إضافة إلى حمامات، ومخابز[3]، كان يحبسها أهل الخير والصلاح، وهذا إما من عامة الناس، أو من الموظفين الساميين، وذلك ما قام به الباي عند دخوله المدينة، وإنجازه للعديد من المنشات العمرانية، بغرض تنشيط الحركة الثقافية، وألحق بها أحباسا هامة،

[1] - بلبروات ، المرجع السابق، ص:226 ، Benkada, ibid, p p: 93-92

[2] - ابن سحنون، المصدر السابق، ص: 143، بلبروات، المرجع السابق، ص:226 .

[3]- الواليش، المرجع السابق، ص: 193.

مثل بنائه مسجد الباشا، و خصص له أحباسا كثيرة[1]، كما سبق بيانه، وذلك من أجل دفع رواتب الأئمة، وشراء الزرابي، ودفع ثمن الترميمات، وشراء الزيت للمصابيح[2].

الطرق الصوفية

تعتبر الطرق الصوفية محرك المجتمع والسلطة الدينية، التي كان يرأسها مجموعة من المقدمين والشيوخ، ومن هذه الطرق، الطريقة الطيبة، التي كان مقدما عليها الشيخ الحاج التهامي بن عمر، الذي لم يكن بايات وهران يرتاحون لنشاطه، خاصة مع ثورة درقاوة، فتم سجنه، وأطلق سراحه فيما بعد، إلا أنهم واصلوا مضايقته، فرغم عدم قيام هذه الطريقة بأي حركة سياسية، أو عسكرية، إلا أن طبيعة تلك الفترة جعلت البايات يتخوفون من زعماء الطرق الصوفية[3].

ويذكر المشرفي أن الطريقة الدرقاوية انتشرت في مختلف مدن بايلك الغرب، بما فيها مدينة وهران، وكانوا متواجدين بكثرة في هذه المدن، فقال عن درقاوية وهران: " وفي ثغر وهران ودوره، من تجده منهم مجدا في سيره، يعرف الدرقاوي بالمرقعة من دون غيره"[4]. ويذكر المشرفي أيضا، أن والد ابن حوا المستغانمي الدرقاوي قدم وهران مع مجموعة من الدرقاويين لزيارة ابنه[5].

---

[1] - Fey, ibid, p: 272.

[2] - الواليش، المرجع السابق، ص:193.

[3] - سعد ا ز أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج:1، ص:524.

[4] - المشرفي، الحسام المشرفي، ص: 410.

[5] - المصدر نفسه، ص ص: 410، 411.

إلا أن الطريقة الدرقاوية إلى جانب الطريقة التجانية، كانت تعتبر من الفئات المهمشة في المجتمع الوهراني، بسبب نشاطها السياسي، والعسكري في بايلك الغرب، ويعتبرون ضد السلطة العثمانية، وعرفت هذه الطريقة مراقبة شديدة، خاصة من طرف الباي المقلش، وبوكابوس، والباي حسن، الذين كانوا يعاقبون كل من يدعم هذه الطريقة[1].

الارستقراطية الدينية

شكلت فئة المثقفين في مدينة وهران ما يعرف بالارستقراطية الدينية، والتي كانت تتكون من الأشراف، والمرابطين، والعلماء، والقضاة، فحظيت هذه الفئة بمكانة سياسية، واجتماعية، مند دخول العثمانيين للجزائر، هذا إضافة إلى الدور الذي لعبته هذه الفئة في أجل فتح مدينة وهران.

كما كانت هذه الفئة تسير المدارس، والزوايا الدينية، وتشرف على الأوقاف في المدينة، فهذه المكانة، والأهمية كان لها دور سياسي، وإداري، فكان يتولى منها المناصب الإدارية المهمة في المجتمع، مثل خطة القضاء، والإفتاء، ونقابة الأشراف، وأمانة الأوقاف.

وما يمكن ملاحظته في المسار السياسي لفئة الارستقراطية الدينية في مدينة وهران أنها مرت بمرحلتين، مرحلة النفوذ السياسي في إدارة الباي محمد الكبير لبايلك الغرب، الذي كانت له علاقة تعاون واحترام مع العلماء، والمرابطين، فهو الذي عقد التحالف معهم من أجل تحرير مدينة وهران، كما بنا المساجد، والمدارس التي كان يديرها العلماء، وكان مجلسه في قصره لا يخلو من هذه الفئة، وربما تفسر هذه العلاقة الجيدة بأن

[1] - Benkada, ibid, p 113.

الباي كان من العلماء، ومن الذين يقدرون أهمية العلم، فقد كان من طلبة معهد القيطنة في إقليم الراشدية ، وكانت له سياسة دعم الحركة الثقافية .

أما المرحلة الثانية فعرفت تراجعا لهذا النفوذ السياسي، وفي بعض الأحيان صداما وتقاطعا بعد وفاة الباي محمد الكبير، في عهد البايات الذين أتو من بعده، وعرف الصراع أوجه في عهد الباي بوكابوس، والباي حسن، لمجموعة من العوامل، لعل من أهمها، ثورات الدرقاوة، والتجانية، التي زرعت الخوف، والريبة، والشك بين الفئة الحاكمة، والارستقراطية الدينية. كما أن التحالف الذي كان موجودا بين الفئة المخزنية والفئة الدينية قبل فتح مدينة وهران، ضعف وتلاشي بمجرد زوال الخطر الاسباني، وفي خضم هذا الوضع الجديد تضاربت المصالح بين الفئتين[1].

المؤسسات الثقافية في مدينة وهران

تعددت المؤسسات الثقافية لهذه المدينة بتعدد النشاطات ويمكن التركيز على:

مسجد الباي محمد الكبير :

أنشأه الباي محمد الكبير بوهران القديمة، ويعرف بجامع بالناصف، وهذا اسم لشخص كان وكيلا به، أما بناؤه فكان بمدخل المدينة، حيث يقول المزاري أنه "بنا المسجد حيث وقف به فرسه عند الباب"[2].

وتعرض هذا المسجد للتخريب والطمس من طرف المستعمر الفرنسي، عند احتلاله المدينة سنة1246هـ/1831م، وتم تحويله إلى مستشفى عسكري، حيث يقدم مبروك مهيرس وصف لهذا المسجد بقوله: " يظهر من خلال مئذنته أنه من أجمل وأحسن مساجد

---

[1] - الواليش، مرجع سابق، ص: 114.

[2] - المزاري، المصدر السابق، ج: 1، ص:294 .

وهران في الفترة العثمانية، وذلك من خلال الرونقة، والزخرفة، والإبداع الفني، حيث قلدوا في بنائه مساجد المغرب، والأندلس"[1].

مسجد البرانية او بني عامر

أسسه الباي بوشلاغم عند الفتح الأول للمدينة في عام 1120هـ/ 1708م، والذي كان مخصصا للتجار الأجانب، ويقع بالقرب من باب الجيارة، وهدمه الإسبان عند إعادة احتلالهم للمدينة في سنة4411هـ/1732م، ولكن في سنة1215هـ/1801، وأعاد الباي عثمان تأسيسه، ثم حوله الفرنسيون إلى كنيسة في سنة1260هـ/ 1844م[2].

مسجد الباشا بوهران :

أسسه الداي حسان من ماله الخاص، وتحمل جميع نفقاته، عرفانا وتقديرا لجهود الباي محمد الكبير في فتح مدينة وهران[3]، وأمر الداي ببنائه، فأرسل له صندوقين من المال من أجل إنجاز هذا المشروع، وكان موقع بنائه بالقرب من البرج الأحمر[4]، وشرع في بنائه بعد فتح المدينة مباشرة، وبذلك جعله شاهدا على هذا الفتح العظيم، وكان ذلك أيضا ضمن خطته لإعادة الوجه العربي الإسلامي للمدينة، بعد أن طمسها الإسبان معالمها الإسلامية والحضارية[5]. وكان الانتهاء من بنائه في سنة1211هـ/ 1796م[6].

---

[1]- مبروك مهيرس، المساجد العثمانية بوهران ومعسكر، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009، ص: 40.

[2] - بوعزيز، مدينة وهران، ص: 94 .

[3] - Lespes, ibid, p 96.

[4] - المزاري، المصدر السابق، ج: 1، ص:296 .

[5] - بوعزيز، يحيى، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، الوكالة الوطنية للنشر والطباعة، الجزائر،2004م، ص:60.

[6] - بوعزيز، مدينة وهران، ص: 94 .

وقد أوقف عليه الداي عدة أحباس متمثلة في مجموعة من الحمامات، والحوانيت، وحرر هذا العقد في أواسط شهر رمضان سنة 1210هـ/ افريل 1795م، الذي حدد مواقع هذه الأوقاف في المدينة[1]؛ ولعل إقبال داي الجزائر على هذا العمل، يرجع إلى فرحه بالانجاز الكبير الذي تم في عهده، من فتح وهران، التى لم يكن فتحها سهلا، وشكرا على هذه المنة .

مدرسة خنق النطاح:

هذه المدرسة التي أنشأت في المكان الذي يسمى بخنق النطاح، وكانت بمثابة الرباط الذي يقوم به الطلبة، وذلك بغرض الدراسة، ومراقبة حركة الإسبان، حيث اعتبرت كقاعدة أمامية لفتح وهران[2]. ويقول يحي بوعزيز أن الباي محمد الكبير أسسها سنة1207هـ/ 1793م، لكي تكون بمثابة ضريحا له ولأهله بعد وفاتهم[3]. وهناك من يعتقد أن هذه المدرسة كانت موجودة قبل الباي محمد الكبير، وتعطلت مهامها بسبب الاحتلال الاسباني للمدينة، ثم أحياها الباي ورممها فيما بعد[4].

وبهذا كانت مدينة وهران من أهم الحواضر العلمية في إيالة الجزائر، ولعل من العوامل التي رشحتها لنيل هذه المرتبة، الهجرة الواسعة لعلماء إقليم غريس، والراشدية الذين كانوا يتمعون بتقدم علمي كبير في ذلك العصر، إضافة إلى التشجيع الذي لقيه هؤلاء العلماء من قبل الباي محمد الكبير. ومن أشهر هؤلاء العلماء مصطفى ابن التهامي، وعبد ا ابن الشيخ المشرفي، وغيرهم.

[1] - Benkada ibid, p 217.

[2] - مهيرس، مرجع السابق، ص:41 .

[3] - بوعزيز، مدينة وهران، ص: 94 .

[4] - بلبروات، المرجع السابق، ص: 222.

كما ظهرت نخبة من الكتاب، والأدباء، والمؤرخين، من أشهرهم محمد ابن يوسف الزياني صاحب كتاب دليل الحيران وأنيس السهران، ومسلم ابن عبد القادر صاحب كتاب أنيس الغريب والمسافر، وحسن بن خوجة الذي ألف كتاب در الأعيان.

إن الثقافة الدينية السائدة في مدينة وهران كان له طابع صوفي، فلذلك حضي المرابطين، وأصحاب الطرق الصوفية، بمكانية اجتماعية مهمة في المجتمع، ونجد ذلك واضحا في الكتابات التي وصلتنا، فكان علماء والفقهاء المدينة يتبنون هذا الفكر الديني، فكانوا يعتنقون مختلف الطرق الصوفية، ويحترمون ويجلون المرابطين المؤسسين لهذه الطرق.

الخـــــاتـــــمـــــــــة

الخـــاتـــمـــــــة

عرفت مدينة وهران خلال نهاية القرن الثامن عشر، مرحلة جديدة من تاريخها؛ المتمثلة في انتقالها إلى العهد العثماني، بفضل جهود الباي محمد الكبير، ورغم هذا التأخر في الدخول في السلطة العثمانية، إلا أن هذه المدينة استرجعت أهميتها بسرعة، فأصبحت عاصمة بايلك الغرب، فلذلك خضعت لجهاز إداري يقوده الباي، الذي كان يساعده مجموعة كبيرة من الموظفين، والذي كان يدير المصالح الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية.

إن طبيعة الحكم التركي في إيالة الجزائر الذي كان يتميز بحكم الأقلية التركية للسكان، أثر في طبيعة المناصب التي تشرف على تسيير الجهاز الإداري في المدينة، والذين كان أغلبهم ينحدر من أصول تركية وكرغلية.

إن أهم ما يميز مدينة وهران في وضعها السياسي الداخلي، والخارجي، خلال فترة الحكم العثماني، وجود الاضطرابات الداخلية، خاصة عقب وفاة الباي محمد الكبير، فقد ظهرت ثورة درقاوة التي امتدت لمدة طويلة مع بداية القرن التاسع عشر، منذ عهد مصطفى المنزالي، لتستمر إلى غاية حكم الباي قارة باغلي.

ولقد أثرت هذه الثورة في العلاقات السائدة بين الحكم العثماني والمجتمع، فلم تكن هناك ثقة متبادلة بين الطرفين، كالتي كانت موجودة في عهد الباي محمد الكبير، الذي كان متعاونا مع الأهالي، خاصة عند قيامه بمشروع تحرير مدينة وهران، ولكن ما إن تم هذا المشروع حتى تحولت هذه العلاقة إلى اضطراب سياسي، ثم حدثت القطيعة النهائية مع

ثورة درقاوة، والتجانية، والصراع السياسي الذي كان بين الشيخ محي الدين والباي حسن .

لم يكن لسكان مدينة وهران أهمية سياسية وعسكرية تذكر، فلم يتمتعوا بأي دور في مختلف الأزمات السياسية، كالفتنة الدرقاوية والتجانية، لأن النزاع كان في غالبه بين السلطة التركية في وهران، والريف في بايلك الغرب، ولعل من الأسباب التي تفسر ذلك، هو الضعف السياسي للسكان المدينة، والتنوع الديني، والمذهبي، والعرقي وعدم تناسق، وتوحد في المرجعية، والتفكير، والقيادة لهذه الطوائف، عكس الريف الذي كان يقوده شيوخ القبائل، والمرابطين، وشيوخ الطرق، فلذلك كان يشكل قوة سياسية وعسكرية، إضافة كثرة عدد سكانة مقارنة بعدد سكان مدينة وهران .

وعرفت مدينة وهران مع بداية تحريرها علاقات سياسية، واقتصادية مع اسبانيا، التي أسس نواتها الباي محمد الكبير، بمشاريع تعاون اقتصادي، وظهر ذلك في مشروعي صناعة المدافع، وصناعة الصابون.

وكانت كذلك هناك علاقات مع المغرب الأقصى، منذ تحرير المدينة في عهد الباي محمد الكبير، الذي كانت له علاقات ودية مع سلاطين المغرب، وتواصلت العلاقات بين الطرفين في عهد البايات الذي جاءوا من بعده، خاصة في قضية الثورة الدرقاوية، التي كان المغاربة والسلطان سليمان طرفا في بعض فصولها، وكذلك الأمر بالنسبة للثورة الباي بوكابوس، التي كان للمغرب دور فيها إلى جانب اسبانيا .

وقد عرفت وهران خلال هذه الفترة، تنوعا في أجناس السكان الذين كانوا يشكلون النسيج الاجتماعي للمدينة، ويبدوا أن طبيعة ذلك العصر أثرت كثيرا في تشكل هذا التكوين الاجتماعي، فما يمكن ملاحظته، أن مختلف مدن إيالة الجزائر خلال العهد العثماني كانت تتشكل من نفس الفئات الاجتماعية مع اختلاف طفيف، فقد كان يوجد في

المدينة كل من الأتراك، والكراغلة، الحضر، والمرابطين، والأشراف، والقبائل الأمازيغ والمغاربة، وبني ميزاب، واليهود.

إن هذه الفئات لم تكن في مستوى اجتماعي واحد، بل كان لكل فئة مكانتها الاجتماعية، والسياسة، فتمثل فئة الأتراك والكراغلة قمة الهرم الاجتماعي، لما كانوا يتمتعون بمناصب سياسية، وإدارية، ثم يليهم الحضر، والأشراف، والمرابطين الذين كانوا يمارسون النشاط الحرفي، والتجاري، إلى جانب أدوارهم المهمة في الحياة الثقافية، والدينية، وتعتبر فئة البرانية قاعدة الهرم الاجتماعي، لأنهم لم يحضون بأهمية سياسية ودينية تذكر.

أما فئة اليهود فكانت من أهم الفئات الاجتماعية، التي لعبت دورا كبيرا في الحياة الاقتصادية داخليا، وخارجيا، ولكنها كانت مهمشة اجتماعيا، بحكم الديانة التي ينتمون إليها. وبهذا التنوع شكلت مدينة وهران نسيجها الاجتماعي، داخل ايطار حضري، له خصوصياته خلال العهد العثماني .

إن الحياة المعيشية الذي كانت تعيشه مختلف الفئات الاجتماعية، لم تكن على نفس المستوى، ومن العوامل التي أثرت على الحياة المعيشية لمجتمع وهران، الأمراض والأوبئة، التي كانت تجتاح المدينة في فترات مختلفة، إضافة إلى مختلف المجاعات التي كانت تضرب المدينة، خلال العهد العثماني.

إن مجتمع مدينة وهران عرف حراكا اقتصاديا، وثقافيا، ساهمت فيه كل فئات المجتمع، إلا أن هذا النشاط كانت له خصوصياته وطبيعته، فمن الجانب الاقتصادي كان النشاط الحرفي في الغالب تمارسه فئة الحضر، والبعض من اليهود والكراغلة، أما الفئات المتعددة التي كانت تكون ما يسمى بالبرانية فكانت تمارس الأنشطة الخدماتية البسيطة.

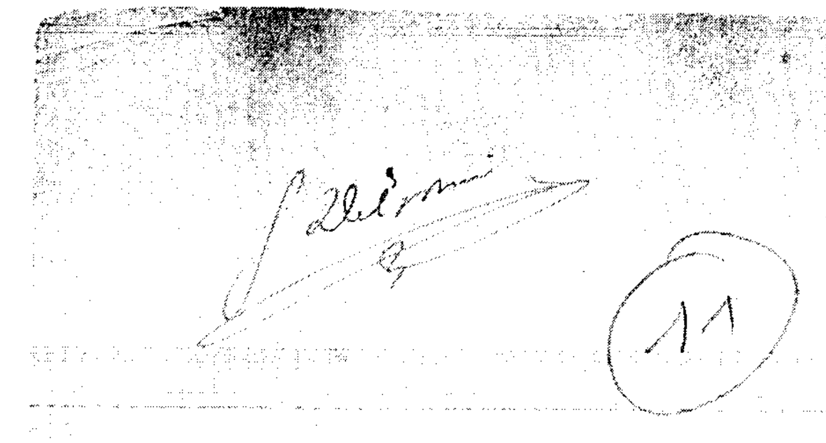
إن ما يميز النشاط التجاري في مدينة وهران هو الموقع الاستراتيجي، الذي ساعد المدينة من أجل أن تكون لها أهمية في الحركة التجارية الخارجية، خاصة لقربها من السواحل الاسبانية، وكان اليهود يسيطرون على هذا النشاط الاقتصادي الحيوي في المدينة، فقد سيطرت علية مجموعات من العائلات اليهودية الثرية .

أما النشاط الثقافي، والديني، التعليمي فكانت تستحوذ عليه فئة الأشراف، والمرابطين، الذين اصطبغوا بطابع الثقافة الصوفية، التي كانت من المؤسسين لهذين الفئتين، فلذلك كانت من الممارسين للنشاط الديني في مدينة وهران.

ورغم حداثة تحرير المدينة من الاحتلال الاسباني، وقصر مدة استقلالها، إلا أنها عرفت ازدهارا في النشاط الثقافي، وتنوعه، فقد وجد بها مجموعة من العلماء المتمكنين، الذين تمتعوا بمستوى عالي في علوم الدين، والقضاء، والأدب، والتاريخ، وخلفوا عدة اثأر ومصنفات. كما وجدت بالمدينة مجموعة من الطرق الصوفية مثل الدرقاوية، والطيبية، والتجانية صنعت المشهد الثقافي والديني في المدينة .

ومن خلال هذا البحث، لا يمكن تغطية كافة جوانب التاريخ السياسي، والاجتماعي، لوهران خلال العهد العثماني، إلا بمواصلة البحث، بالتنقيب عن مصادر ووثائق جديدة، كما أنه لا يمكن معرفة هذه الجوانب بشكل دقيق، إلا بالسعي من أجل إنجاز بحوث متخصصة في الجوانب الأخرى مثل الجانب الاقتصادي، والثقافي، وعلاقات المدينة الداخلية، والخارجية، فكل هذا سوف يساعد حتما على إكمال النقائص التي تكون موجودة في التاريخ السياسي، والاجتماعي، بحكم تداخل وتكامل وتفاعل هذه المجالات مع بعضها البعض.





الحمد لله وحده   صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم

اسعد الله بسعد الهداية والتكريم وحرس بدروع الحماية والتعظيم مقام ذات المعظم الارفع الهمام الانجع
ذي الايادي الباهرة والمحاسن الفاخرة السيد ابراهيم وكيل حرج باب الجهاد حاط الله شبابك ويسر للخيرات اسبابك
وسلام الله الاتم ورضوانه الشامل العام المطلق الاعم عليكم ورحمة الله وبركاته ما تليت ايات الله وكلماته
وبعد فان الفائز على مسامعكم الشريفة وعقولكم المنيفة هو اننا ايدكم الله وابقاكم وكان لكم وارعاكم قد وجهنا
للدار الكريمة والبركة العميمة يا باشا ستة اشهر اولها جمادى الاول واخرها شوال كالفاتحة الغريبة والطريقة
المستقيمة ومع خدمة الاعوان وما هو معروف للمرسى في الاشهر المذكورة والاوان جعل الله ورود الجميع عليكم
بالسلامة والعافية ونعم الله المتزايدة الضافية ولا قطعها الله علينا عادة وجعلها سنة معتادة ومع
دوام ايام مولانا المنصور بالله تعالى السلطان الاعظم والخاقان الافخم السيد حسين باشا بلغه الله مقصوده
وما يشاء فانه ما دام في الوجود فما لنا ولكم ولسائر المسلمين الا الفرح والسعود وهذا ما وجب اعلامكم
به ولا زايد سوى حبكم والسؤال عن كافة احوالكم المرضية ابقاها المولى على ودوام ايامكم وكتب يوم
الاحد الرابع عشر من ذي القعدة الحرام عام ١٢٤٢ وبامر المعظم الاجل الوجيه الافضل السيد حسن باي وفقه الله
وقد وصلنا من عندكم بارك الله فيكم زجاجتان من عطر الياسمين كثر الله خيرك وشكر سعيك والسلام

الملحق رقم 01: رسالة من الباي حسن إلى إبراهيم وكيل الحرج مؤرخة في 14 ذي القعدة 1242هـ /1826 م.

الحمد لله وحده   صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

حفظ الله تعالى بمنه وكرمه مقام وذات المعظم الاجل الزكي الافضل الارضى الاسعد اخونا ومحبنا السيد ابراهيم
وكيل الحرج بباب الجهاد صانه الله ورعاه واخصب بمنه روض مرعاه. امين السلام التام عليكم ورحمة الله تعالى
وبركاته وخيراته واحسانه اما بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله ان المعروف بمنكم خير ان شاء الله تعالى
ان كتابكم الاعز وصلنا صبيحة يوم الجمعة التاسع والعشرين يوما من شعبان صحبة رايس المركب متاعنا على الحجر فقراناه
وعرفنا ما فيه جملة وتفصيلا اولا استخبرنا منه صحتكم وعافيتكم والحمد لله على ذلك وله مزيد الشكر على ما منا لك
وذكرت لنا وفقك الله انك بعثت لنا ما بقي من خزان الوكاف بهذا الحال بارك الله فيك وكثر خيرك وشكر سعيك
وادام الله لنا وجودك واخبرتنا بان السلطان الجليل الجاهر الجميل ناصر الدنيا والدين المعظم الارفع والهمام الافخم
مولانا الدولاتلي سيدنا حسين باشا نصره الله فرامرك ان تبعث وتوسع من كبنا ما يتين وخمسين غرارة بشهالا
لاجل الغزاة والمساكين تقبل الله منه واعطاه النصر والظفر بجاه سيد الاولين والاخرين وكذا عن متنا العشبة
التي يقال لها الشوبية نبعث لك منها الغاية تنظره بلتعلم اخونا وفقك الله اننا سابقا كنا لم نعرف هذه العشبة
غير ان القونصل الاول كان طلب منا تسعة قسم حناها له فمنها ما فضى ونهب ولما رجع هذا القونصل
الجديد طلب منا ايضا تسعة قسم حناها له مثل زمان ولم يوجد منها الا مقدار عشرة قناطير ولم نجدها الا على قوله
وقد وصلنا ذلك اللوح من الحجر الذي مثله يوجد بمحروسة تلمسان بوادي العباد قرب ضريح الشيخ سيدي ابي مدين
الغوث نفعنا الله واياكم ببركاته عند موضع يقال له البعل وننظر مثله اعني مثل ذلك اللوح ونبعثوا لكم منه
خمسين لوحا الرماية لوح بعدها خريا نعم الاخ نبعث الى تلمسان ويقضوا لنا ما امرتنا به ونبعثوا الجميع الى
حضرتكم السعيدة ان شاء الله واما القربيط ورايسه كان قد فرغ من شغله يوم الاثنين ٢٤ يوما من شعبان
وشحناه الى حضرتكم صبيحة يوم الخميس الثامن والعشرين يوما فالله يبلغه اليكم بخير وعافية وعليكم
السلام وكتب بامر المعظم الاجل الاكرم السيد حسن باي امنه الله اواخر شعبان عام ١٢٤١
زيادة اليكم خير ان شاء الله وقد وسقنا في ذلك القربيط ملح البارود عدده ماية وسبعة قناطير لا غير
مع الكتان خمسين قنطارا ومن الذريعة متاعه اثنين وثلاثين غرارة والباقي تركناه لاجل الذريعة ووسقنا
ايضا فيه نصيب من الدهان والهوز كان باقي عندنا من نوبة الخليفة في زمان الربيع وكتبنا اليكم
كتاب ذكرنا فيه هذا العدد كله يصلكم مع رايس القربيط الذي بسر دمان والسلام
وها هو يصلك رطلان من عشبة الشوبية بالنظر كما امرتنا والسلام

الملحق رقم 02: رسالة من الباي حسن إلى إبراهيم وكيل الحرج مؤرخة في أواخر شعبان1241هـ /1825م

9

الحمد لله وحده — صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

حفظ الله تعالى بمنه وكرمه مقام ذات الوجيه الأفضل الزكي الأعدل الأرضى الأسعد
أخينا ومحبنا السيد ابراهيم وكيل الحرج بباب الجهاد صانه الله ورعاه وأخصب بمنه روض مرعاه
. أمير السلام التام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ورضوانه الأعم وخيراته وبعد فلا من يد عن عمل
الله جل جلاله وتقدس عزه وكماله سوى الخير والعافية ونعم الله الزاكية المتوالية التي
نطلب من الله تبارك وتعالى دوامها وبقاءها على الجميع بحرمة النبي الشفيع فإن المعروض به
عنكم خير إن شاء الله إننا قد وجهنا لحضرة سيدنا العالية باشكاش عاشوراء مثل العادة
وكما قد وجهنا لكم الباشكاش المعلوم لكم ولدواركم السعيدة ولأولادكم مثل ما جرت به العادة
القديمة :: والطريق الواضحة المستقيمة أبقاها الله عادة مستمرة الدوام على مر الليالي والأيام
بجاه النبي عليه السلام وإن يجعل ورود الجميع عليكم وورود خير وهنا وبلوغ كل قصد ومنى
وأنتم على أحسن حال وأتم منوال بجاه النبي والصحب والآل فإن هذا كله فضل من الله علينا
ثم من بركة مولانا المؤيد بالله المنصور بعون الله المعظم الأرفع :: والهمام الأنفع :: مولانا الدولاتلي
سيدنا حسين باشا نصره الله وخلد ملكه فإنه ما دام في الوجود ما لنا ولكم سوى الفرح والسعود
فنطلب الله الكريم رب العرش العظيم أن يطول لنا عمره ويبقيه رحمة للمسلمين بجاه سيد
الأولين والآخرين وهكذا ولا زائد بحمد الله سوى حبكم ورضى الله عنكم وأرضاكم وزين جميل الرهى
بحلاكم والسلام التام في البدء والختام وكتب بأمر المعظم الأرفع السيد حسن باي وفقه الله أوائل المحرم
١٢٤٢ هـ

الملحق رقم 03: رسالة من الباي حسن إلى إبراهيم وكيل الحرج مؤرخة في محرم 1242هـ / 1826م.

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم

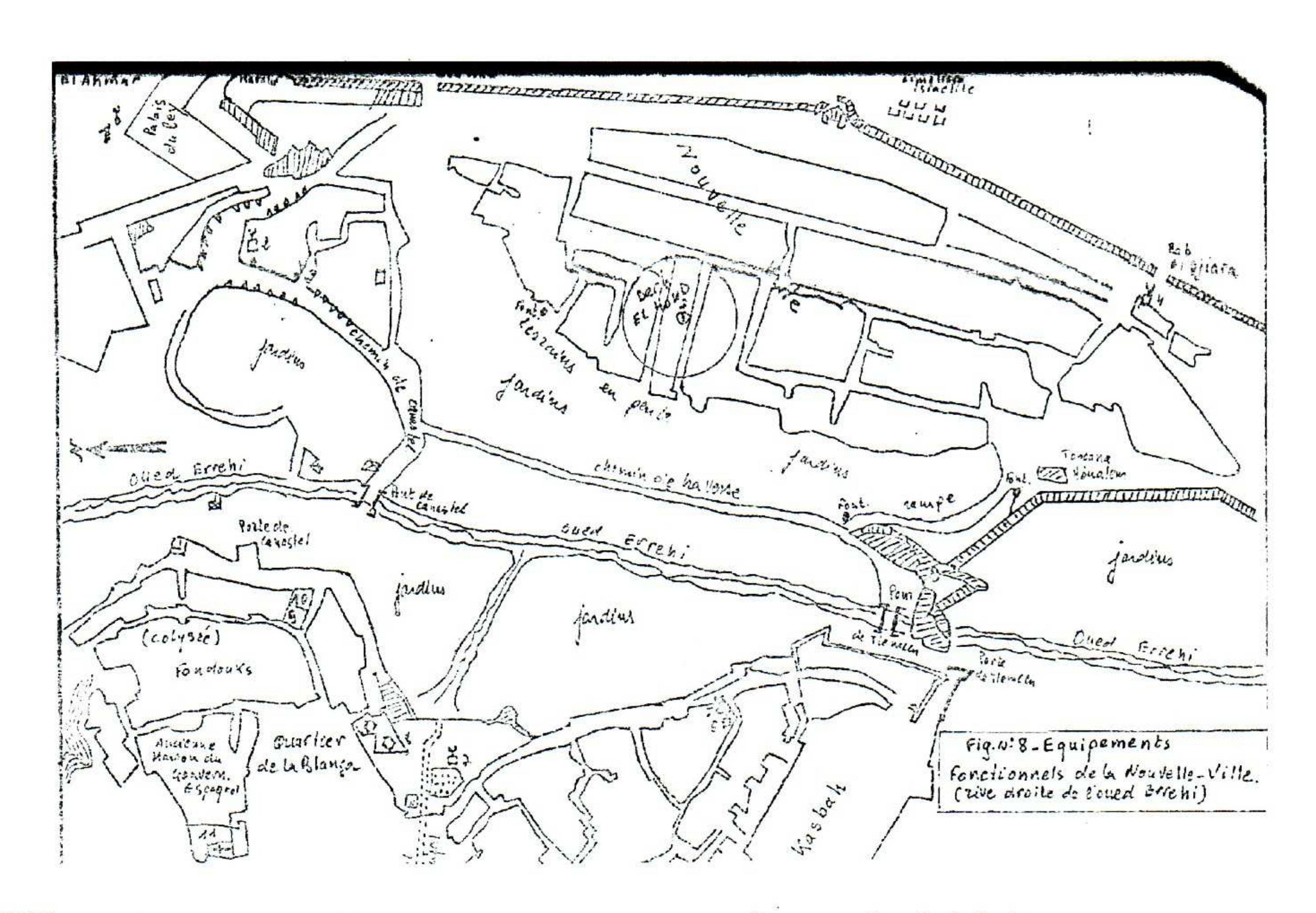
حفظ الله تعالى بمنه وعم بجميل ستره وجزيل لطفه مقام ذات الطالع الاسعد الرئيس
الاجد الموفق الارشد الاباء الطاهرة والحاسر الباهرة السيد ابراهيم وكيل حرج باب
الجهاد امنك الله ورعاك واخصب بمنه روض علاك وسلام الله الاتم ورضوانه الشامل
المطلق الاعم ورحمة الله وبركاته ما تليت ايات الله وكلمته وبعد فان المعروض به على
سمعك الشريف وذهنك الرايق المنيف هو اننا صانكم الله واعانكم قد وجهنا لصاحب
الدار الكريمه والحضرة العميمه السلطان الاعظم والسيد الاكرم مولانا حسين باشا
بلغه الله جوف المقصود وما يشا باشكاش عيد الاضحى كالعادة القديمة والطريقه
الواضحة المستقيمة كما وجهنا لكم ولاهلكم واولادكم باشكاش المعلوم لكم في هذا الوقت
جعل الله ورود الجميع عليكم بالسلامة والهنا وبلوغ كل مقصود ومنا بدوام ايام
مولينا السلطان فانه ما دام في الوجود فما لنا معكم الا الفرح والسعود نسال الله تعالى
الكريم رب العرش العظيم ان يشمل ستره على الجميع بجاه النبي الشفيع وهذا ما نابه اليكم
ولا زايد سوى حبكم والسؤال عن كافة احوالكم المرضية ابقاها المولى على دوام احكم
ورضي الله عنكم وارضاكم والسلام التام معاد عليكم كالبدي في الختام وبامر المعظم
السيد حسن باي وفقه الله .

الملحق رقم 04: رسالة من الباي حسن إلى إبراهيم وكيل الحرج مجهولة التاريخ .

M51

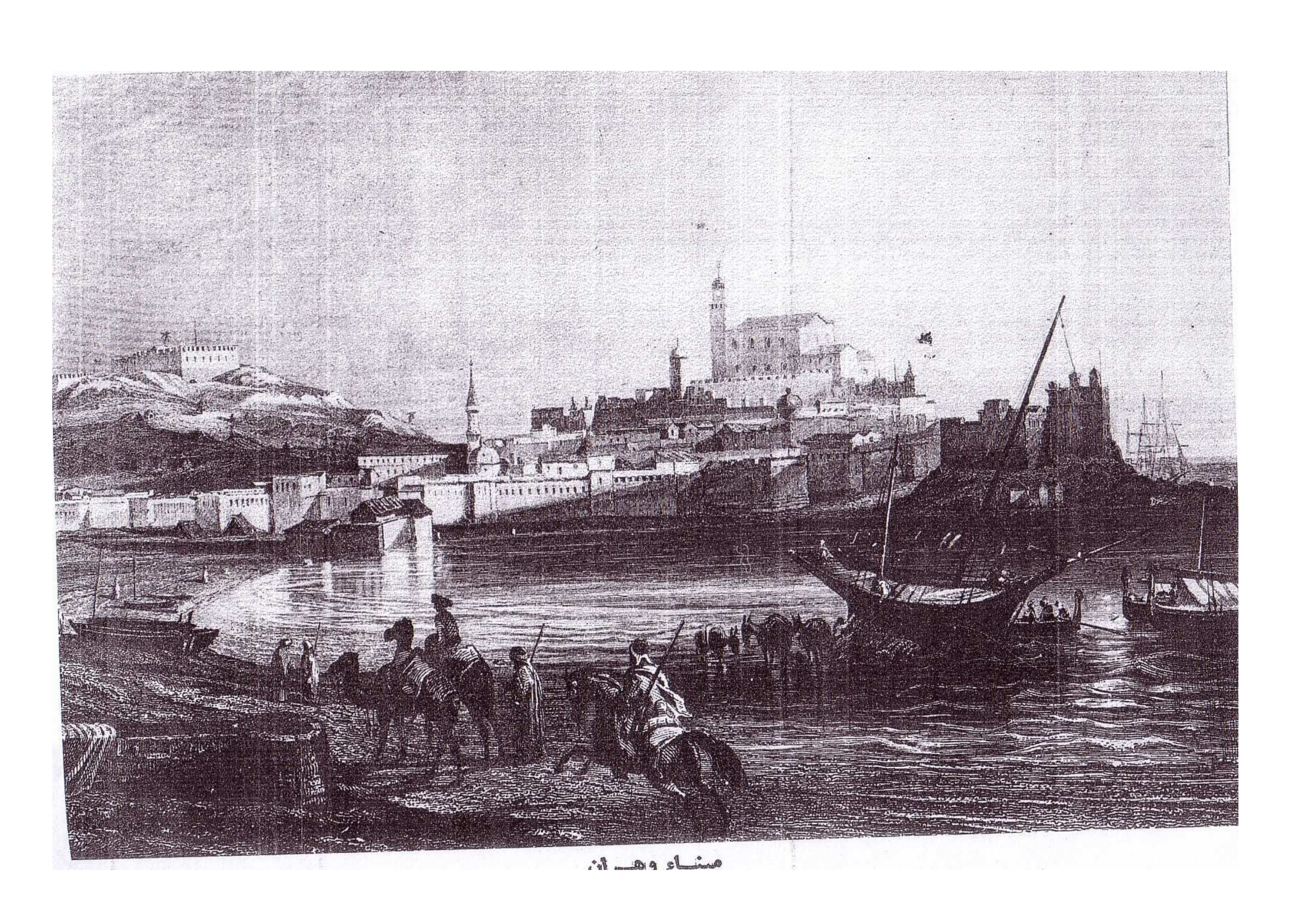
انز الله بالملك الدايم :. والسعد الملازم :. من هو سيف الدولة ولسانها :. وعين
اوليك الاعيان وانسانها :. وناصر الملة المحمدية الحنيفية :. وعضد الدولة
الجزايرية العثمانية الحنفية :. المؤيد بالله المنصور بعون الله سولانا الدولاتلي ابو
المرتضى السيد حسين باشا :. اعطاه الله ما يجب ويشاء السلام على على مقام
سيدنا الكريم المحفوف بالتبجيل والتعظيم :. ما تفتقت من اكمامها الازهار :.
وغردت على افنانها الاطيار :. ورحمة الله تعالى وبركاته :. ما تليت ايات الله و
كلماته :. اما بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله فاننا وجهنا لحضرتكم
العالية :. وطلعتكم العزيزة الغالية :. بيباشي ثمانية اشهر مع خدمة اعوانه
مع لزمة مرسى وهران والاشهر المذكورين اولهم ذو القعدة الحرام عام ١٢٤٢ م :.
واخرهن جماد الثانية عام ١٢٤٣ م الجملة مقررة بحسب العادة والقانون :. والرسم
القديم المسنون :. لا اقطعها الله من عادة :. ولا اعدمها من افادة :. مع سلامتكم
وسعادة ايامكم امين امين يا مجيب السايلين وثم اعرف سيادتكم بما سيذكر
وذلك انا كتبنا لمجموع بني الاعراط لما اركنا لحضرتكم السعيدة المباركة الحميدة
على ان يمتثلوا امركم المطاع :. الذي مخالفته بحول الله وقوته لا تستطاع :.
بان يقدم الينا منهم جماعة من الفريقين لننظر في امرهم :. والخلاف الواقع
بينهم :. وما جرى بينهم من الفتن :. التي تؤدي بهم الى المحن :. وشددنا عليهم
وهددناهم :. وبالانتقام من قبلكم اوعدناهم :. فقدم الينا اولا اخ الشيخ احمد
بن سالم ومعه رجل اخر وهم من جهة الاحلاف :. وزعموا انهم الان على
الامتثال والانصاف :. ثم قدم علينا بعدهم وذلك في اليوم الذي هو قبل اليوم الذي
ورد علينا كتاب اخينا المعظم ابنكم السيد ابراهيم اغة من الفريق الاخر وهم
اولاد سرغين الشطي ومعه واحد الاخضر ومعهما رجل ثالث وكان عندنا
اثنان [illegible] اجعلوا في موضع المراهين ولهم مدة طويلة وذلك من اخر فصل
الربيع وهم من اولاد سرغين ايضا حبسناهم عندنا سدا للذريعة :. وحسما
للقطيعة :. الجملة سبعة اناس ولقد اضفنا بعضهم لبعض واجتمعوا في
مكان واحد ورفعنا امرهم الى مشورتكم السعيدة التي عليها المعول سدد الله رايكم :.
واعذب بمنه ريكم :. وهذا ما منا به اليكم :. ادام الله لنا وجودكم :. وافاض
علينا بركتكم وجودكم :. امين امين و[illegible] ثم السلام التام :. في [illegible]

الملحق رقم 05: رسالة من الباي حسن إلى الداي حسين مؤرخة في عام 1243هـ/1827م



Symbole	Légende
(hachures)	Eléments de fortification
□	Hammams
⊠	Moulins
(symbole)	Mosquées
(symbole)	Koubbas
(symbole)	Synagogue
(symbole)	Eglise
Δ	Boutiques
•	Fontaines
1	Koubba de Sidi Daho
2	Mosquée du Pacha
3	Synagogue
4	Mosquée Mohamed Benacef
5	Koubba de Sidi El Houari
6	Mosquée attenante à la Koubba de S. El Houari
7	Mosquée Imam El Houari dite du Bey Osman
8	Bains attenants à la mosquée du bey Osman
9	Prisons
10	Tribunal
11	Eglise St Louis

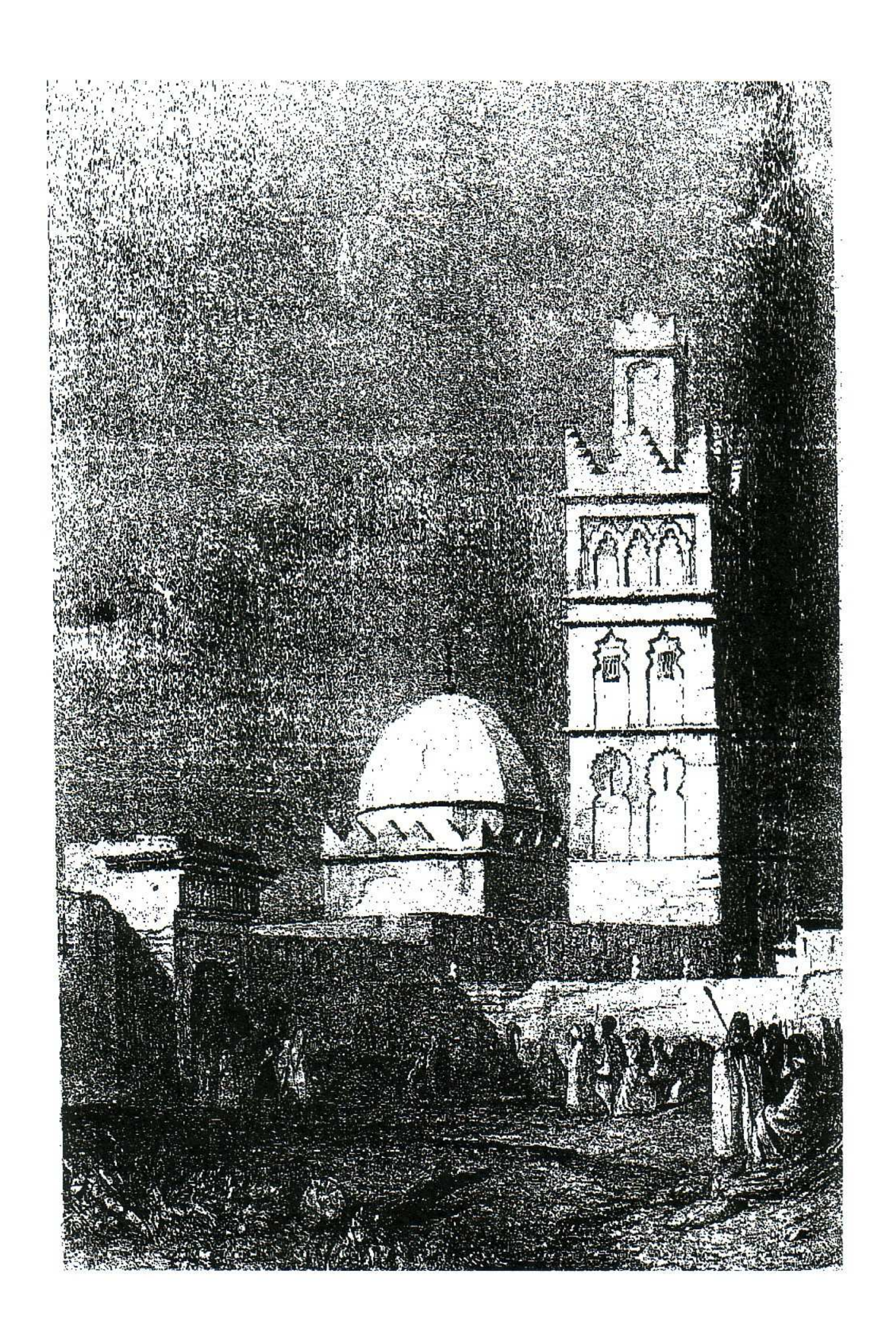
الملحق رقم 06: مخطط المرافق الحضرية بمدينة وهران.



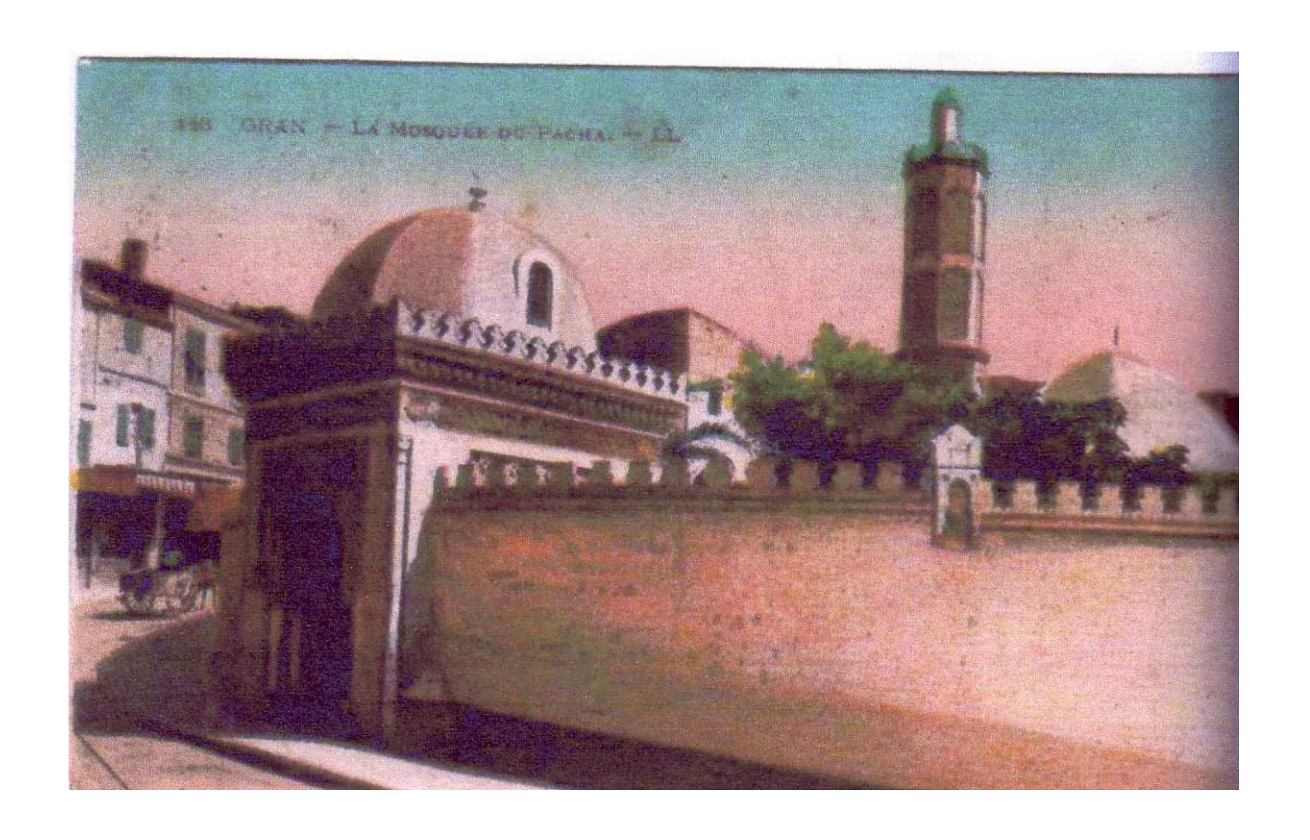
الملحق رقم 07: ميناء وهران.



الملحق رقم 08: مدينة وهران.



الملحق رقم 09: مسجد الباي محمد الكبير.



الملحق رقم 11: مسجد الباشا.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

الوثائق

1- الأرشيف م م و ج المجموعة 3206 ملف 1 رسالة 11 .

2- الأرشيف م م و ج المجموعة 3206 ملف 01 الرسالة 07 .

3- الأرشيف م م و ج المجموعة 3206 ملف 01 الرسالة 09

4- الأرشيف م م و ج المجموعة 3206 ملف 01 الرسالة 37

5- الأرشيف م م و ج المجموعة 3205 ملف 03 الرسالة 51

المصادر

6- ابن بكار، بلهاشمي، كتاب مجموع النسب، تلمسان، مطبعة ابن خلدون؛ 1961م.

7- تشرشل، شارل، هنري حياة الأمير عبد القادر، ترجمه: أبو القاسم سعد ا ، تونس، الدار التونسية للنشر 1974م.

8- التنسي, محمد بن عبد ا بن عبد الجليل التلمساني، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان" نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان", تحقيق: محمود بوعياد، الجزائر، مؤسسة الوطنية للكتاب.

9- التهامي، الحاج مصطفى، سيرة الامير عبد القادر تقديم وتعليق يحي بوعزيز، الجزائر، دار البصائر.

10- الجزائري، محمد باشا بن عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، تحقيق: ممدوح حقي، الجزائر، منشورات ثالة.

11- الحموي، ياقوت بن عبد ا أبو عبد ا ، معجم البلدان دار الفكر ، بيروت

12- الحميري ، محمد بن عبد المنعم, الروض المعطار في خبر الأقطار, تحقيق إحسان عباس, , مكتبة لبنان، بيروت ، لبنان, 1984

13- ابن خليل؛ عبد الباسط الحنفي، مشاهدات وأخبار عبد الباسط ابن خليل من خلال مخطوطه الروض الباسم في حوادث العمر والتّراجم, تحقيق:عمر عبد السلام تدمري, مجلّة التّاريخ العربي, عدد17, شتاء2011م, ص ص111-146.

14- دونوفو، ادوارد، الإخوان دراسة اثنولوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر ترجمة وتحقيق كمال فيلالي، الجزائر، دار الهدى، 2003 م.

15- الزهار، أحمد الشريف، مذكرات أحمد الشريف الزهار، نقيب الأشراف، تحقيق: أحمد توفيق المدني: الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1974م.

16- الزياني، أبو القاسم، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحران تحقيق وتعليق: عبد الكريم الفيلالي، الرباط، دار نشر المعرفة، 1991م.

17- الزياني، محمد بن يوسف، دليل لحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978م.

18- ابن سحنون، أحمد بن أحمد بن علي الراشدي.الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي، قسنطينة، منشورات وزارة التعليم الأصلي.

19- شالر، وليام ؛ مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816 م- 1824 م؛ ترجمة: إسماعيل العربي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،1982 م.

20- ابن صعد، روضة النّسرين في التّعريف بالأشياخ الأربعة المتأخّرين, تحقيق: يحيى بوعزيز، الجزائر، دار البصائر.

21- ابن عبد القادر، مسلم، انيس الغريب والمسافر في تاريخ بايات وهران، تحقيق: رابح بونار، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1974م.

22- ابن عثمان، حمدان خوجة؛ المـــــرآة، تحقيق الدكتور محمد العربي الزبيري ؛ الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2 ؛ 1982 م.

23- فون مالتسان، هاينريش، ثلاث سنوات في شمال غربي افريقيا ترجمة أبو العيد دودو، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979م.

24- ابن القاضي, أبو العباس أحمد بن أبي العافية المكناسي، درة الحجال في غرة أسماء الرجال, تحقيق محمد الأحمدي أبو النّور, القاهرة، مكتبة دار التراث.

25- ابن القاضي، أحمد، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، الرباط، دار المنصور، 1973م.

26- القلصادي, أبو الحسن علي القرشي البسطي، رحلة القلصادي "تمهيد الطّالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب", تحقيق: محمد أبو الأجفان, تونس، الشّركة التّونسية للتّوزيع, 1978م.

27- مارمول، كربخال، إفريقيا, ترجمة: محمد حجي وآخرون, منشورات الجمعية المغربية للتّأليف والتّرجمة والنّشر، المغرب, الرباط، مكتبة المعارف, 1984م.

28- المزاري، الأغا بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا الى اواخر القرن التاسع عشر، تحقيق يحي بوعزيز، الجزائر، دار البصائر.

29- المشرفي، العربي بن عبد القادر، الحسام المشرفي، دراسة وتحقيق: عبد الحق شرف أطروحة دكتوراه، جامعة وهران.

30- المشرفي، العربي بن عبد القادر، ياقوتة النسب الوهاجة في ذكر نسيب سيدي علي مولى مجاجة، تحقيق: حمدادو بن عمر، الجزائر، دار قرطبة للنشر.

31- مقلاش، عبد الرحمان بن محمد، شرح البردة البوصيرية، الشرح المتوسط ، تحقيق ، محمد مزراق ، الجزائر، دار كردادة.

32- المنجور, أحمد بن علي بن عبد الرحمن، فهرسة المنجور, تحقيق :محمد حجي, الرباط، دار الغرب للتّأليف والتّرجمة والنّشر, 1976م.

33- ابن ميمون، محمد الجزائري ،التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق:محمد بن عبد الكريم، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1981م.

34- الناصري، أبو رأس، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، حياة أبي رأس الذاتية والعلمية، تحقيق: محمد عبد الكريم، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،1990م.

35- الناصري، الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، تحقيق، جعفر الناصري ومحمد الناصري

36- المقري، أحمد بن محمد, نفح الطّيب من غصن الأندلس الرطيب, تحقيق: إحسان عباس, بيروت:دار صادر

37- ابن هطال، التلمساني، رحلة الباي الكبير إلى الغرب الجزائري، تحقيق، محمد بن عبد الكريم عالم الكتب القاهرة، مصر1969م.

38- الوزان، حسن بن محمد الفاسي المعروف بليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية، محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، دار الغرب الاسلامي، 1983م.

المـــــراجــــــع

39- بشاري، لطيفة، العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد امارة بني عبد الواد من القرن السابع الى القرن العاشر الهجريين 13م /16م، منشورات وزارة الشؤون الدينية الجزائرية.

40- بلحميسي، مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1985م.

41- بورويبة، رشيد، وهران فن وثقافة، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1983م.

42- البوعبدلي، المهدي، رسائل في التراث والثقافة، تحقيق، أبو القاسم سعد ا ، الجزائر، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، 2010م.

43- بوعزيز، يحيى، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1995م.

44- بوعزيز، يحيى، المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد (1791/1780) الجزائر، الديوان المطبوعات الجامعية،1993م.

45- بوعزيز، يحيى، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، الجزائر، الوكالة الوطنية للنشر والطباعة،2004م.

46- بوعزيز، يحيى، مدينة وهران عبر التاريخ، الجزائر، دار البصائر، 2009م.

47- حساني، مختار، تاريخ الدولة الزيانية ، الجزائر، منشورات الحضارة ،بئر توتة ، 2009م.

48- دودو، أبو العيد، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

49- الزبيري، محمد العربي التجارة الخارجية للشرق الجزائري ، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع .

50- سعد الله ، أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، القسم الأول، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1989م.

51- سعد الله ، أبوالقاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع .

52- سعد الله ، فوزي، يهود الجزائر، هؤلاء المجهولون؛ الجزائر، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2004م.

53- سعيدوني، ناصر الدين و البوعبدي المهدي ، الجزائر في التاريخ العهد العثماني،ج2؛ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م.

54- سعيدوني، ناصر الدين، النظام المالي في الجزائر في الفترة العثمانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1979م.

55- الصغير، عبد المجيد خصوصية التجربة الصوفية في المغرب مفاهيم وتجليات مصر، رؤية للننشر والتوزيع القاهرة ، 2011م.

56- عميراوي، احميدة ، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني مذكرات تيدنا أنموذجا، الجزائر، دار الهدى، 2005 م.

57- فكاير، عبد القادر، أثار الاحتلال الاسباني على الجزائر خلال العهد العثماني من (16ه-18م)، الجزائر، دار هومة.

58- الكتاني، عبد الحي، فهرس الفهارس والاثبات، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

59- المدني، أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا(1492-1792م)، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1976 م.

60- ذمهيرس، مبروك، المساجد العثمانية بوهران ومعسكر، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009م.

61- الميلي، مبارك ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزائر، مكتبة النهضة الجزائرية.

62- هلايلي، حنيفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، الجزائر، دار الهدى، 2008م.

المذكرات الجامعية

63- بلبراوات، بن عتو، الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري1779-1797م، مذكرة ماجستير، جامعة وهران.

64- دحماني، توفيق، النظام الضريبي لبايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني (1193هـ /1779م -1246 هـ /1830م)، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر.

65- سليماني، احمد، التجارة في مدينة الجزائر العثمانية على ضوء المصادر المحلية والأجنبية 1792-1830، مذكرة ماجستير، جامعة سيدي بلعباس.

66- شرماط، عبد القادر، الاقتصاد والمجتمع في مدينة وهران، مذكرة ماستر، جامعة معسكر.

67- شويتام، ارزقي، المجتمع الجزائر وفعاليته في العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر.

68- صحراوي، كمال، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في اواخر عهد الدايات، مذكرة ماجستير، جامعة معسكر.

69- طالبي معمر، سميرة، القوى المحلية في بايلك الغرب أواخر العهد العثماني من 1792 إلى 1831 ، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر.

70- طويال، نجوى، طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر 1700م 1830 م، من خلال سجلات المحاكم الشرعية، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر.

71- عليو، محمد، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في منطقة معسكر خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر (1701-1830) ،رسالة ماجستير، جامعة معسكر.

72- فارس، العيد، الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الغرب وانعكساتها على المقاومة الوطنية، رسالة ماجستير، جامعة وهران.

73- موساوي، فلة، الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518 -1871) أطروحة دكتوراة، جامعة الجزائر.

74- الواليش, فتيحة، الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر؛ مذكرة الماجستير، جامعة الجزائر.

المقالات

75- الحمدي احمد، وهران من خلال كتب الجغرافيا والرحلات،مجلة الحضارة الإسلامية ، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية جامعة وهران ، العدد 15

76- بلحميسي، مولاي، الثورة على الأتراك مجلة الثقافة، الجزائر، العدد 48

77- شاطو، محمد، السلطة العثمانية في الجزائر وعلاقتها بالطرق الصوفية: 1792-1830 المواقف العدد 03 2008/12 جامعة معسكر .

78- العيد، مسعود، المرابطون والطرق الصوفية خلال العهد العثماني؛ مجلة سيرتا، جامعة قسنطينة ، ع 10 ؛ أفريل

79- الصادقي، حسن، مدينة وهران وناحيتها في مذكرات الجنرال ديميشال، مجلة الثقافة الاسلامية، وزارة الشؤون الدينية الجزائرية،العدد06 سنة 2010م

المصادر باللغة الاجنبية:

80- Bloch (I) ,Israelites d'Oran de 1792 , a 1815 jourdan editeur,alger 1886

81- Dider: histoire d'Oran , Oran , 1931.

82- Estrahzy (W), domination turque dans l'ancienne régence d'Alger ,libraire deCharles Gosselin ,paris 1840 .

83- Fey (H L), Histoire d'Oran avant, pendent et apres la domination espagnole ,Adolphe Perrier, Oran, 1958.

84- Grammont (D) , histoire d'Alger sons la domination turque 1515-1830, Paris, 1887.

85- Lapene(M), la province doan1792-1851,lamort,imprimeur de l agademie,metz,1842

86- Rozet (M), Voyage dans la régence d'alger ou description de pays occupe par l'armee française en afrique , T3, imp de madame hazard, paris, 1833

المراجع باللغة الاجنبية:

87- chaila Houari, Oran histoire d'une ville, Elytihad, alger, 2002,

chenntouf tayeb,etudes d histoire de l algerie18et19siecles,office des publication universitaires ,alger,2004.

88- Ed Dechaud, Oran son port son commerce, publie sous les auspiges, Oran, 1914.

المقالات باللغة الاجنبية:

89- Delpech (D), "le soulevement de derkaoua de la province d'Oran "Revue Africaine, n'18 ,1874.

90- Kehl (C), "Oran et l'Oranie :avant l'occupation française ,géographie et d’archéologie de la province, Oran1942.

91-

الرسائل باللغة الاجنبية:

92- ben Kada Saddek,espace urbain et structure social a Oran de 1792 1831 mémoire de diplôme de étude approfondies , directeur:M Tayabe Chentouf , Uiversite d'oran,1988.

فهرس المحتويات

المـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـقدمـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـة...أ

الفصل التمهيدي :

الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران........................02

الفصل الأول

: التنظيم الإداري بوهران في نهاية القرن الثامن عشر..................22

المبحث الأول:

الفتح الثاني لمدينة وهران..23

المبحث الثاني:

التنظيم الإداري لمدينة وهران...39

الفصل الثاني :

الوضع السياسي والعلاقات الداخلية والخارجية........................55

المبحث الأول:

الثورات بوهران وضواحيها..56

المبحث الثاني

: العلاقات الداخلية والخارجية..83

الفصل الثالث :

فئات المجتمع والظروف الصحية والمعيشية.......................100

المبحث الأول:

الفئات الاجتماعية...101

المبحث الثاني:

الأوضاع الاجتماعية والمعيشية والظروف الصحية..................116

الفصل الرابع :

لحياة الاقتصادية والثقافية..128

المبحث الأول:

الأنشطة الاقتصادية للمجتمع الوهران...............................129

المبحث الثاني:

الحياة العلمية والدينية بوهران..142

الخاتمة 160

المــلاحــق.. 164

المصادر والمراجع 176

ملخص

عرفت مدينة وهران خلال نهاية القرن الثامن عشر، مرحلة جديدة من تاريخها، المتمثلة في انتقالها إلى العهد العثماني، بفضل جهود الباي محمد الكبير، ورغم هذا التأخر في الدخول في السلطة العثمانية، إلا أن هذه المدينة استرجعت أهميتها بسرعة، فأصبحت عاصمة بايلك الغرب.

إن أهم ما يميز مدينة وهران في وضعها السياسي الداخلي، والخارجي، خلال فترة الحكم العثماني، وجود الاضطرابات الداخلية، خاصة عقب وفاة الباي محمد الكبير، فقد ظهرت ثورة درقاوة التي امتدت لمدة طويلة مع بداية القرن التاسع عشر، منذ عهد مصطفى المنزالي، لتستمر إلى غاية حكم الباي قارة باغلي.اضافة الى ثورة الباي بوكابوس الذي حاول الانقلاب على السلطة العثمانية في المدينة .

وقد عرفت وهران خلال هذه الفترة، تنوعا في أجناس السكان الذين كانوا يشكلون النسيج الاجتماعي للمدينة، ويبدوا أن طبيعة ذلك العصر أثرت كثيرا في تشكل هذا التكوين الاجتماعي، فقد كان يوجد في المدينة كل من الأتراك، والكراغلة، الحضر، والمرابطين، والأشراف، والقبائل الأمازيغ والمغاربة، وبني ميزاب، واليهود.

الكلمات المفتاحية:

مدينة وهران؛ العهد العثماني؛ ثورة درقاوة؛ الباي محمد الكبير؛ الباي بوكابوس؛ اليهود؛ والكراغلة؛ الحضر؛ المرابطين؛ الأشراف.

نوقشت يوم 15 جوان 2014